دراسات استشراقية

فصلية تعنى بالتراث الاستشراقي عرضا ونقدا

العتبة العباسية المقدسة

الرقم الدولي ISSN: 2409-1928 السنة الخامسة ـ العدد ١٥ ـ صيف ٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

دراسات استشراقية

- الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي
  د. لخضر بن بو زيد
- الحروف المقطعة من وجهة نظر المستشرقين
  د. محمد جواد اسكندرلو
- أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الاسلامي
  أ.د. طالب جاسم العزي / ساجدة الحساني
- قيمة الدراسات الاستشراقية في المباحث الإسلامية
  د.خالد إبراهيم المحجوبي
- الإمام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين
  كريم جهاد الحسّاني
- اللهجات العربية في الفكر الاستشراقي
  عبد العالي احمامو
- المحظرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين
  د.بوها ولد محمد عبد الله

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية و المعرفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مراكز التوزيع

- **العراق:**
  - كربلاء المقدسة: العتبة العباسية المقدسة / مركز المبيعات.
  - النجف الأشرف: امتداد شارع الرسول (منطقة الجديدة).
- **إيران:** قم / مجتمع ناشران / مركز مبيعات العتبة العباسية المقدسة.
- **لبنان:** توزيع شركة الأوائل.
- **باقي الدول:** توزيع مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع.

سعر النسخة

- لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل
- المغرب: ٢٥ درهماً
- مصر: ٨ جنيهات
- الأردن: ديناران ونصف
- سوريا: ١٢٠ ل.س
- اليمن: ٣٠٠ ريال
- السعودية: ٢٥ ريال
- البحرين: ديناران ونصف
- الإمارات: ٢٥ درهماً
- السودان: ٥٠٠ جنيهاً
- تونس: ديناران ونصف
- الجزائر: ٢٥ ديناراً
- ليبيا: ٥ دنانير
- الكويت: ديناران
- قطر: ٢٥ ريال
- عمان: ريالان
- العراق ٣٠٠٠ دينار
- الجمهورية الإسلامية في إيران: ١٥٠٠٠ ريال
- سائر الدول: ١٠ $ أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي للأفراد

لبنان: ٢٠,٠٠٠ ل.ل — **المؤسسات:** ٥٠,٠٠٠ ل.ل

سائر الدول: ٥٠ $ — **المؤسسات:** ١٠٠ $

للتواصل

- موقع المجلة: www.m.iicss.iq
- البريد الالكتروني للمجلة: info@m.iicss.iq
- موقع المركز: www.iicss.iq

دراسات استشراقية

فصلية محكمة تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً

تصدر عن: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

السنة الخامسة ـ العدد ١٥ ـ صيف ٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

الرقم الدولي: ISSN 2409 - 1928

قواعد النشر

- اتباع المنهج الاكاديمي من حيث التوثيق وعرض الفكرة أو نقدها.
- التركيز على نقد التراث الاستشراقي وعدم الاكتفاء بعرض الأفكار وسرد الأقوال.
- تخضع البحوث لمراجعة هيئة التحكيم .
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المرسلة اليه من قبل هيئة التحكيم.
- يخضع تقديم البحوث وتأخيرها لظروف فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.
- عدم كون البحث منشوراً مسبقاً.
- للمجلة حق إعادة نشر المواد بلغتها الاصلية أو مترجمة، مستقلة أو ضمن كتاب، أو ضمن المواقع الالكترونية.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث ونشاطه الثقافي والعنوان العلمي مع رقم الهاتف و الايميل.

الهيكلية الإدارية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي
المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

رئيس التحرير

السيد هاشم الميلاني

مدير التحرير

أ.د. هادي عبدالنبي التميمي

تصميم وإخراج

نصير شكر

ايميل المركز:
Islamic.css@gmail.com

ايميل المجلة:
info@m.iicss.iq

Tel: (٠٠٩٦٤) ٧٨٠٨٥٠٤٠٩٢

■ الهيئة الاستشارية ■

(١) الأستاذ الدكتور المتمرس السيد فاضل الميلاني، رئيس قسم الفقه والأصول في جامعة ميد لسكس، لندن.

(٢) الأستاذ الدكتور المتمرس أحمد مهدوي الدامغاني، أستاذ الفلسفة وعلم الكلام في مركز الدراسات الاسلامية جامعة هارفرد، أمريكا.

(٣) الأستاذ الدكتور المتمرس الأب سمير خليل سمير، أستاذ في المعهد البابوي للدراسات المسيحية الشرقية، الفاتيكان، روما.

(٤) الأستاذ الدكتور المتمرس حسن عيسى الحكيم، أستاذ التاريخ الاسلامي في الكلية الاسلامية الجامعة، العراق، النجف الأشرف.

(٥) الأستاذ الدكتور أحمد موصللي، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية، بيروت.

(٦) الأستاذ الدكتور المتمرس زهير غازي زاهد، أستاذ اللغة العربية في الكلية الاسلامية الجامعة، العراق، النجف الأشرف.

(٧) الأستاذ الدكتور طلال عتريسي، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية، بيروت.

(٨) الأستاذ الدكتور عبدالجبار ناجي، رئيس قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة.

(٩) الأستاذ الدكتور أكرم محمد عبد كسار، أستاذ الآثار في الجامعة الهولندية الحرة.

■ هيئة التحرير ■

(١) الأستاذ الدكتور صلاح الفرطوسي، أستاذ اللغة العربية في كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق.

(٢) الاستاذ الدكتور محمد كريم الشمري، أستاذ التاريخ الاسلامي في الكلية الاسلامية الجامعة، العراق.

(٣) الأستاذ الدكتور طالب جاسم العنزي، أستاذ الفكر الاسلامي في كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق.

(٤) الأستاذ الدكتور علي ناصر محمد، أستاذ التاريخ في كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق.

(٥) الأستاذ الدكتور خضير مظلوم البديري، أستاذ التاريخ في كلية التربية، جامعة واسط، العراق.

(٦) الأستاذ الدكتور جواد منشد النصر الله، أستاذ التاريخ في كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق.

(٧) الأستاذ المساعد الدكتور محمد تقي السبحاني، أستاذ الفلسفة والكلام في جامعة دار الحديث، إيران.

(٨) الاستاذ المساعد الدكتور محمد علي الرضائي الأصبهاني، أستاذ القرآن في جامعة المصطفى، إيران.

(٩) الأستاذ المساعد الدكتور ستار جبر الأعرجي، أستاذ في كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق.

محتويات العدد

■ الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي د. لخضر بن بو زيد	١٣
■ الحروف المقطعة من وجهة نظر المستشرقين د. محمد جواد اسكندرلو	٤٣
■ أبعاد الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الاسلامي أ.د. طالب جاسم العزي / الباحثة ساجدة الحساني	٧٣
■ قيمة الدراسات الاستشراقية في المباحث الإسلامية د.خالد إبراهيم المحجوبي	٩٣
■ الإمام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين كريم جهاد الحسّاني	١٠٧
■ اللهجات العربية في الفكر الاستشراقي عبد العالي احمامو	١٦٣
■ المحظرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين د.بوها ولد محمد عبد الله	١٩٣

ملخصات البحوث باللغة الانجليزية

Orientalist Studies and Their Dangers on the Islamic Doctrine and Thought By: Dr. Lakhdar Ben Bouzeid	**214**
Codified Letters from the Orientalist Point of View By: Dr. Mohammed Jawad Iskandarlo Arabized by: Raed Ali Ghaleb	**213**
In the Dimensions and Determinants of the Orientalist Vision in the Study of the Islamic Heritage and History By: Prof. Dr. Taleb Jassim Al-Anzi / Researcher Sajedah Al Hassani	**212**
The Value of Oriental Studies in the Islamic Studies (A Critical Evaluative View) By: Dr. Khalid Ibrahim Al-Mahjoubi	**211**
Imam Zein El Abidine (Peace be upon him) in the Thought of Orientalists Study and Analysis By: Karim Jihad al-Hassani	**210**
Arabic Dialects in the Orientalist Thought By: 'Abdel 'Ali Ehmamou	**209**
The Preparatory Shanqeetian School in the Orientalists' Journals Dr. Bouha Wild Mohammad Abdellah	**208**

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

تأسيس البدائل العلمية عن نتاج المستشرقين

فيما يحفل به هذا العدد من نقد علمي صارم لمناهج المستشرقين وخلفياتهم والأجندات الإيديولوجية الكامنة خلف جهودهم يطرح سؤال لا بد من الإجابة عليه وهو ماذا أعددنا بالمقابل؟

إن الباحث الغربي الذي دعمته الكنيسة في عهد التبشير، والدولة الغربية في عصور الاستعمار كان ولا يزال وفيا للجهة التي مولته ومكنته من التفرغ للغوص في تراث الشرق مهما تطلب ذلك من وقت وجهد، هذا فضلا عن الشعور الوطني والديني الذي كان حافزا إضافيا لاستخدام سلاح المعرفة والتلاعب بالعقول لنشر تعاليم الكنيسة أو سلطان الدولة.

بينما نجد أن المؤسسات البحثية في بلاد المسلمين لا تزال تعاني من التجاهل أو عسر الولادة أو ضعف التمويل أو قصر العمر، وكأنها على هامش المعركة المصيرية التي تحدد بالفعل هوية هذه المنطقة وتركيبتها مستقبلا. ومن هنا فإن العربي أو المسلم وإن تمكن من كشف الطبيعة الخبيثة لمعظم نتاج المستشرقين فإن جهوده ليست قادرة على تجاوز النقد إلى خلق البديل الذي يتطلب بالفعل تفرغ كامل يستهلك أعمار الباحثين والمفكرين.

ومن هنا فإننا نقترح على المهتمين بتأصيل المعرفة الإسلامية وتنقيتها أن يشرعوا بسحب المصادر الإستشراقية من رفوف المكتبات الجامعية وتضمينها قراءات نقدية محكمة تنقيها من السلبيات وتبقي منها ما يعتبره المسلمون العلماء منصفا بحق دينهم وامتهم وهذا أضعف الإيمان، أما المشروع المتكامل فهو إيجاد البدائل المنافسة التي تجعل الباحث في الإسلام والشرق قادرا على إنجاز بحوثه من مصادر أصيلة ومنصفة تعيد رسم الصورة الملائمة للدين والشرق في كل عصر. وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

في هذا العدد .. يعرض الباحث كريم جهاد الحساني لرؤية المستشرقين فيما يتعلق بمكانة وسيرة الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام ويتبين في سياق البحث أن حياته العبادية كانت محل إعجاب وتقدير من قبل البعض منهم وإن لم يكن هناك غوص كاف في تفاصيل مواقفه عليه السلام ، والحق أن سيرة الإمام التي شملت فاجعة كربلاء وما بعدها لا تختزل ببعدها العبادي الذي لم يكن معزولا عن عملية تأسيس معالم الدين الحق في فترة الإمتهان الأموي لثوابت هذا الدين وقيمه ونظمه.

ويقيم الدكتور خالد ابراهيم المحجوبي بمعايير البحث العلمي السليم قيمة الدراسات الاستشراقية في المباحث الإسلامية ويثبت بالشواهد الكثيرة أن الغالب على الدراسات الإستشراقية خصوصا في الدراسات الإسلامية الدينية هو الإفتراء والتعصب والأجندا الإيديولوجية مما دفع المستشرق المسلم دينيه الى تجاوز مصادر المستشرقين عندما كتب سيرة للرسول الأعظم ص كما اعترف محمد اسد أن كتابات المستشرقين بخصوص الإسلام تضر أكثر مما تنفع، أما المنصفين وكانوا قلة فقد نأوا بأنفسهم عن التراث الاستشراقي المتعصب وأنصفوا الإسلام والمسلمين والعرب وإن لم يخل نتاجهم من أخطاء يمكن تصحيحها وفئة أخرى الزمها الموضوع العلمي لاالديني أن تكون دقيقة في تحقيقها للتراث العلمي عند المسلمين.

وهذا التقييم بالغ الأهمية خاصة لدى من يتعاطى البحث العلمي في مجال علوم الإسلام فهو يوجب على الباحث أن يعود إلى المصادر الإسلامية الأصلية قبل أن يستعين بما كتبه المستشرقون توخيا للدقة والأمانة العلمية.

على مدى تاريخ المواجهة بين الشرق والغرب صدرت كتابات كثيرة في نقد الإستشراق ومنها ما كان نقدا ذاتيا من قبل مستشرقين، مما جعل الحاجة ملحة لتلخيص هذه الأبحاث وتقديم تلك الأفكار النقدية في إطار جامع، وهذا ما يقدمه الدكتور لخضر بن بوزيد حين يلخص كل ما أخذ على الإستشراق من مرحلة التبشير إلى الإستعمار، عارضاً لشواهد على خطورة الاعتماد على أبحاث معظم المستشرقين في الدراسات الإسلامية، وكاشفاً لغاياتهم التي استهدفت أصل الإيمان الإسلامي وأصوله.

وفي إطار الدراسات القرآنية، يعالج الدكتور محمد جواد اسكندرلو ما تناوله المستشرقون في أبحاثهم حول الحروف المقطعة معتمدا على موسوعة ليدن، ويثبت في نهاية البحث أنهم طرحوا فرضيات لا تستند إلى أسس علمية سليمة ومنها قولهم أن الحروف المقطعة هي اختصارات لأسماء القراء الذين استفاد منهم زيد بن ثابت في جمع القرآن أيام عثمان بن عفان، وغرضهم من ذلك تدعيم نظرية التدخل البشري في النص القرآني. ويدحض هذا القول وجود الحروف المقطعة في نسخ قرآنية سابقة لجمع القرآن في زمن الخليفة الثالث.

أسس الإستشراق اللغوي لمناهج دراسة اللغات الشرقية وعلى رأسها العربية، ودخل في تفاصيل اللهجات وتطورها واشتقاقاتها وتاريخها وجغرافيتها وقواعدها فكان المنهج الوصفي والتاريخي والمقارن أدوات مؤسسة لعلم دراسة اللهجات... في بحثه عن اللهجات العربية في الفكر الإستشراقي يقدم عبد العالي احمامو خلاصات قيمة لأعمال استهلكت جهود وأعمار كبار اللغويين من المستشرقين مع الإهتمام

الخاص في تصنيف مناهجهم التي أسست لمقاربات جديدة في تشريح بنية اللغات واللهجات.

في أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الإسلامي يبحث الدكتور طالب جاسم العنزي في الخلفية الإيديولوجية للبحث الإستشراقي، وهيمنة فكرة المركزية الأوروبية على مناهج المستشرقين، والتي كان لها تأثير بالغ في رسم صورة نمطية مغايرة للإسلام والشرق.

بحث قيم وجديد عن دور المحظرة الشنقيطية أي الموريتانية يقدمه الدكتور بوها ولد محمدعبدالله ، ويوضح فيه نظرة المستشرقين إلى المحظرة الموريتانية التي كانت تقوم بدور الكتاتيب أو الكتّاب في الحواضر والقرى الإسلامية. وقد تبين أن المستشرقين انقسموا بين من كان معجباً بدور المحظرة ومن كان يحاول التقليل من شأنها ولكنهم أجمعوا على خطرها بسبب ما تنشره من معارف إسلامية تقف سدا في وجه الفرنسة على تواضع المكان والمنهج الذي كان يقتصر على تحفيظ القرآن وتعليم بعض الأحكام الإسلامية واللغوية. وقد انتجت هذه الزوايا المتواضعة جيلا من العلماء الذين انتشروا في غرب أفريقيا مبلغين للإسلام وكان لنشاطهم تأثير سبق تأثير المبشرين المسيحيين.

مدير التحرير

الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر الإسلامي

■ د. لخضر بن بو زيد(*)

الملخص:

الدراسات الاستشراقية هي جميع الدراسات التي تمت من طرف الباحثين الغربيين على العالم الإسلامي، ولا سيما الدراسات الدينية، وقد ظهر الاستشراق تقريباً مع بداية الإسلام ولكنه تطور مع مرور الوقت، خاصة بعد فشل الحروب الصليبية وبعد نهاية العصور الوسطى.

وقد تطور الاستشراق في القرن التاسع عشر بشكل متزامن مع التوسع الاستعماري والمدّ التنصيري في العالم الإسلامي، الأمر الذي يثير الشكوك حول الدور الحقيقي الذي قام به المستشرقون في خدمة التبشير والاستعمار.

(*) جامعة الجزائر / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية / شعبة التاريخ.

مقدمة

لقد ألف المستشرقون في جميع المعارف الاسلامية، فلا تكاد تجد مجال يخص المسلمين إلا وتجدهم قد تطرقوا إليه، حتى لقد اصبحت كتبهم مصادر للدراسات الاسلامية ليس للأوروبين فحسب بل للعرب والمسلمين أيضا، وقد تأثر بدراساتهم وبأراءهم أجيال من الباحثين المسلمين، لذلك يتساءل المرء عن اسباب دراستهم للمعارف الاسلامية ؟ وهل دراساتهم تلك قصدوا بها العلم والمعرفة ؟ أم كانت لهم مقاصد أخرى !!! وماهي المآخذ التي تؤخذ عليهم بل ماهي المكائد والشبهات التي أثاروها في الاسلام ؟

ـ أولاً ـ

مفهوم الاستشراق

الاستشراق في اللغة يعني الاتجاه إلى الشرق وأقرب كلمة إلى الاستشراق هي التَشْريقُ فقد جاء في مختار الصحاح أن التَشْريقُ هي الأخذ في ناحية المَشرِقِ؛ يقال: شتّان بين مُشَرِّقٍ ومغرِّبِ [١]، وجاء في القاموس المحيط التَّشْرِيقُ هو الأخذ في ناحية المشرق وشَرِّقوا أي ذهبوا إلى الشرق أَو أتوا الشرق[٢]، وقد عرفه محمد فتح الله الزيادي بأنه مصدر من الفعل السداسي استشرق: أي طلب الشرق[٣].

وفي المعجم الوسيط: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، وإسم الموضع: المشرق، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق[٤]، وفي الحديث: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «إذا أتيتم الغائط، فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا» [٥].

أما كلمة الاستشراق باللغة الاجنبية فهي مشتقة من كلمة الشرق "orient" والتي تستمد أصلها من اللغة اللاتينية، ومعناها يتمحور حول طلب العلم والمعرفة والارشاد والتوجيه مما يعني اعتراف ضمنيا أن العلم والمعرفة كان يطلب في هذه المنطقة [٦].

يعرف الباحثون الاستشراق بأنه تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم وبلادهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وحضارتهم وكل ما يتعلق بهم [٧]، وهو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق للسيطرة عليه [٨] ،ويدخل في المفهوم نفسه الدراسات التي قام بها الروس وسواهم من الشعوب الاخرى، وقد إستُخدم مصطلح "المستشرق" في الإنكليزية أول مرة سنة ١٧٧٩، وبالفرنسية سنة ١٧٩٩.

اليوم تخل الاوربيون عن هذا المصطلح وأصبح مصطلح الاستعراب (*)Arabistas، ويصر الباحثين الاسبان على هذه التسمية على أنها تخصهم وحدهم، لكونهم يدرسون الثقافة العربية التي كانت موجودة في شبه جزيرة إيبريا ولا يهتمون باللغات الإسلامية الأخرى كالتركية والفارسية [٩].

وبعد تعرض المستشرقين للنقد عن الدور الذي قاموا به في خدمة التنصير والاستعمار، تخلى الغربيون على هذا المصطلح، **ويذكر لويس برنارد في هذا الاطار إن هذا المصطلح قد ألقي به في مزابل التاريخ، فقد رأى الغرب أن هذا المصطلح ينطوي على حمولات تاريخية ودلالات سلبية فتم الاستغناء عنه في المؤتمر الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ وأطلق على منظمتهم إسم " المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا "**.

أ- أسباب ظهور الاستشراق :

يرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام، فقد سأل هرقل أبو سفيان عن الرسول ﷺ، ويعد قيصر أول ملك اهتم بالإسلام، وربما سبقه إلى ذلك النجاشي ملك الحبشة مع اختلاف الدافع بينهما، بينما يرجعه آخرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري حيث أن يوحنا الدمشقي (**) الذي عاش في العصر الاموي و خدم في بلاط يزيد بن عبد الملك، قام بأول محاولة للإستشراق وقد ألف كتابين الأول بعنوان «حياة محمد» والثاني «حوار بين مسيحي ومسلم» وكان هدفه إرشاد النصارى إلى جدال المسلمين (١٠) .

ويعتبر بعض الباحثين الاندلس المكان الذي نشا فيه الاستشراق حيث أن الكثير من الاوربيين كانوا يدرسون فيها (***) ومن هنا جاء إهتمامهم بالمسلمين، كما أن فشل الحروب الصليبية لعب دورا في نشاة الاستشراق، **و يرجح مصطفى السباع أن بدايته كانت بمحاولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، وأوائل المستشرقين قد يكون الراهب الفرنسي جربرت الذي أنتخب بابا لروما سنة ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الاندلس، ثم بطرس المحترم ١٠٩٢- ١١٥٦ وجيراردي كريمون ١١١٤- ١١٨٧ م** (١١) .

ويمثل عام ١٣١٢ منعطفا هاما على صعيد بداية الاستشراق حيث اقرت السلطة الكنسية العالمية في فينا ضرورة تعليم اللغات الشرقية في الجامعات الاوربية مثل باريس وأكسفورد وبولونيا (١٢)، وهذا التاريخ يمثل بداية الاستشراق اللاهوتي فعليا وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، ويذكر في هذا الاطار إدوارد سعيد أن الاستشراق اللاهوتي الرسمي قد بدأ وجوده حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢، وذلك بإنشاء عدد من كراسي الأستاذية في العربية والعبرية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون(١٣).

هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور الاستشراق الذي يعود أساسه إلى الصراع بين الاسلام والمسيحية، فالفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وحروب المسلمين مع البيزنطيين من جهة وفتح المسلمين للأندلس واجتيازهم إلى بلاد الفرنجة ووصولهم إلى حوض باريس كان دافع قوي للأوربيين في مواجهة المسلمين .

وعندما زال الحاجز النفسي بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، بدأ الأوربيون ينظمون أنفسهم مدفوعين بروح صليبية عارمة، بلغت ذروتها عندما شنت أوروبا حملات كبيرة ضد المسلمين وإستولوا على بيت المقدس، هناك عكفوا على دراسة الثقافة العربية، وقبل ذلك وبعده كانت المدن الإسلامية تعج بالطلاب من أوروبا خاصة المدن في بلاد المغرب، ولم يكونوا جميعا من الطلاب فقد كان بعضهم يبحث عن الطرق الناجعة لمواجهة الاسلام .

كما أن فشل الحروب الصليبية كان له دور كبير في ظهور حركة الاستشراق من حيث إقتناع الأوربيين بعدم جدوى القوة العسكرية في مواجهة الإسلام وهذا الذي اقتنع به لويس التاسع عندما كان مأسورا في مصر [١٤]، من جهة ثانية فتوح العرب في صقلية والأندلس وجنوب فرنسا، جعلت أوروبا تستيقظ من غفوتها إلى وعيها الثقافي الجديد، دون أن نغفل سقوط القسطنطينية بأيدي الأتراك، وهو عامل مهم من عوامل نشأة الاستشراق فبسقوطها فتح باب أوروبا على الإسلام، ومن هنا لم تبق عداوة أوروبا للإسلام قضية ذات أهمية ثقافية فحسب بل ذات أهمية سياسية أيضا [١٥].

ب – مراحل تطور الاستشراق :

يمكن تقسيم الاستشراق إلى ثلاث مراحل المرحلة الأولى وهي قبل سقوط الأندلس وأفول نجم الحضارة الإسلامية، أتخذ فيها الاوربيون دوراً دفاعيا في وجه الإسلام حيث كانت كتاباتهم تتسم بردة الفعل ودراسة الإسلام من أجل التصدي له،

وفيها إستفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية المزدهرة في الأندلس والمغرب ومصر والشام، أما المرحلة الثانية من الاستشراق فهي مرحلة هادفة من قبل الغربيين إلى دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، والمرحلة الثالثة شهدت ظهور الاستشراق العلمي بدراسة لسائر أحوال الشرق أديانه وعلومه وتاريخه .

ومن بين مظاهر الاستشراق الأولى تعليم اللغة العربية فقد قامت فرنسا بإنشاء مدارس لتدريس اللغة العربية؛ مثل: ريمس، وشارتر وذلك منذ القرن الرابع عشر [١٦]، أما في القرنين السادس عشر والسابع عشر فقد شهدِ الاستشراق ازدهاراً في النواحي العلمية والدراسية المتخصصة حيث تم جمعَ مجموعة هامة من المخطوطات، وفي تلك الفترة تم إنشاء أول مطبعة عربية في أوروبا من طرف الكردينال فرناندو دي مدتشي دوق توسكانا[١٧].

في القرن السابع عشر ظهرت التجارب الاولى لتعاطي المستشرقين مع الدراسات الإسلامية بالإشراف على نشرْ الكتب ومحاولة تصحيحها[١٨]، وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد وطَّد أقدامه وتوسع بشكل غير مسبوق، وتحدَّدت معالمه إلى حدٍّ بعيد، حيث شهدِ إنشاء كرُسيين للغة العربية في جامعتي أكسفورد وكامبريدج [١٩] .

وقد مثلت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ منعرجا هاماً في تطور الاستشراق، وكان من نتائجها الاتصال المباشر بالشرق والتعرف على أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢٠]، كما شرعَ الغربيون في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت نقطة انطلاق كبرى للاستشراق حيث تجمَّعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمَت إسهاماً فعَّالا في البحث والاستكشاف [٢١]، ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت الدراسات الاستشراقية بأسلوب أشمل وأكثر تنظيماً مصحوبة بروح دينية صليبية واستعمارية غربية حاقدة.

وحينما دخل العالم أعتاب القرن العشرين جرت أحداث هامة وتحوُّلات في العالم العربي، فوفدَ عدد كبير من المستشرقين المتخصصين للتدريس بالجامعة المصرية والعربية، لعل من أبرزهم :نيللينو، ماسينيون، شاخت، توماس أرنولد، كازانوفا، كراوس، ليتمان،الذين حاضروا في الفقه والآداب العربية والفلسفة والعلوم والفن...[٢٢].

وبدأَ جيل جديد من المستشرقين يغوص في أعماق الفكر والدين والأدب العربي؛ فقد اتَّجهت عنايتهم بالإسلام وشعوبه وأوضاعه الفكرية والاجتماعية، وقد تميَّز الاستشراق في هذا القرن بتخصُّص كل مستشرق في فرع معيَّن من فروع المعارف الشرقية،وانعقدت العديد من المؤتمرات،أسهمَ المستشرقون فيها بنصيب وافر من البحوث والمقالات، وحرص الأوروبيون والأمريكيون على إنشاء مراكز للدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي؛ لتكون أقرب إلى هذه البلاد، يستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدراسة، ولنشرْ الثقافة الغربية.

ج - أنواع الاستـشراق :

١ - **الاستشراق اللاهوتي**: بدأ تقريبا مع بداية الاسلام وإن كان انطلاقته الفعلية بتبني الكنيسة لقرار إنشاء كراسي للغة العربية في الجامعات الاوربية في مؤتمر فينا عام ١٣١٢، وقد إحتضنت الكنيسة هذا النوع من الدراسات الشرقية وكان معظم المستشرقين على علاقة فعلية بالكنيسة .

٢- **الاستشراق العلمي**: إن الاستشراق قد تشكَّل كعلِمْ في القرن التاسع عشر، منذ أن تخلص من سيطرة اللاهوت، أصبح علِماً قائماً بذاته، هدفه دراسة اللغات الشرقية وآدابها، وبرزَت هناك نزعة علمية تتَّجه إلى دراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها، مستهدفة المعرفة وحدْها إلى حدٍّ ما [٢٣].

ومع ذلك فقد ظل يخدم الاغراض الدينية والسياسية ومن الامثلة على ذلك كل من هنري بالمر، وريتشارد بيرتون، وتشارلز دوتي الذين قاموا بدراسات جغرافية عن شبه الجزيرة العربية، كما أن العديد من المستشرقين قد إستغلوا وجود الاستعمار في البلاد العربية فقاموا بدراسات معمقة شملت كل الميادين وقد وفر لهم الاستعمار الامكانيات اللازمة بما يخدم مصالحه، وهذا ما حدث في الجزائر حيث أسس المستشرقون المؤسسات العلمية التي تمول البحوث وتنشرها مثل: متحف الجزائر سنة١٨٨٠، والجمعية الأثرية لقسنطينة و الجمعية التاريخية للجزائر التي أنتجت المجلة الإفريقية المشهورة، أكاديمية هبون، الجمعية الجغرافية والأثرية لمقاطعة وهران.

ـ ثانياً ـ

خطر الاستشراق على العالم الاسلامي

أ – دوافع وأهداف المستشرقين :

الافكار التي تبثها الكنيسة في عقول الاوربيين عن الاسلام لم تتوقف عند حد معاداة الاسلام، بل إعتبرته دينا محرفا يستمد أصله من اليهودية والنصرانية، وأن علومه وافكاره في الاصل من علوم الاغريق، بل اعتبرته مسيحية في أسوأ صورها أو مسيحية مشوهة، وبفضل إنتشار هذه الافكار بين الاوربيين تنكر الاوربيون للإسلام صاحب الفضل في إخراج أوروبا من العصور المظلمة [٢٤].

تعتبر الكنيسة الإسلام أكبر عدو لها فقد جاء في فرض الكهنة في تاريخ بيزا «دين محمد الهمجي والسكير الذي من نصيبه جهنم عقاب له على سيئاته هو دين خدام الشيطان والمؤابين الانجاس الذين يرددون آيات الرسول ويكثرون من التجذيف على ملكة السموات مريم» [٢٥]، **كما أن الكنيسة ثم الاستعمار ساهما في**

تشويه الإسلام وحضارته وتشويه الإنسان العربي، ثم تركت المهمة بعد ذلك للإستشراق على حد تعبير منتجومري وات مؤلف كتاب " فضل الإسلام على الحضارة " (٢٦).

وقد كان الهدف الاول للإستشراق ديني، فقد بدأ بنشاط الرهبان في مجال الترجمة، يذكر في هذا الاطار مصطفى السباعي أن الدافع الديني أهم دافع للمستشرقين، فقد كان هدفهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه فوصفوا المسلمين باللصوص وسفاكي الدماء وأن سعيهم إنما هو لإرضاء ملذاتهم الجسدية(٢٧)، فكان هدف الكنيسة هو **التبشير وهنا يذكر يوهان فوك إن فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي حول إنشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية، كلما تلاشى الامل بتحقيق نصر نهائي بقوة السلاح** (٢٨)، ويذكر الباحث محمد بن حمادي الفقير التمساني أن حملات التبشير النصرانية كانت أحد أسباب بداية الاستشراق (٢٩).

ومع أن الغرب يمقت الكنيسة ويثور عليها حيث أن شعار الثورة الفرنسية كان " إشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر راهب"، ومع أن السياسيين يمقتون رجال الدين ومع ذلك فنراهم يتعاونون معهم يشجعونهم على التبشير في الشرق بما يخدم مصالحهم.

ومع أهمية الدافع الديني إلا أنه ليس الوحيد فهناك الدافع التجاري للترويج لبضاعتهم والحصول على امتيازات ومكاسب اقتصادية، و الدافع السياسي ولعله هو الأخطر حيث أنه وبعد استقلال كل الدول الإسلامية فان الأوربيين ظلوا على اتصال بالمفكرين والقادة السياسيين والصحافيين عن طريق الندوات و الحفلات التي يقيمونها، كما أن السفارات أصبحت تضم ملحقين ثقافيين بحيث تعرف كل خبايا البلد.

وهناك الدافع الاستعماري فقد إتجه المستشرقون للتعرف على البلاد من خلال

دراسة عادات وعقائد وأخلاق المجتمعات والتعرف على مختلف أقاليمها وثرواتها لمعرفة نقاط القوة والضعف، وعندما تم لهم ذلك راحوا يعملون على إضعاف المقاومة، بإيهام الناس أن الاستعمار قضاء و قدر فيشجعوا التصوف والزوايا وسعوا لإصدار فتاوى تدعوا إلى الاستكانة والاستسلام لقضاء الله وهذا ما نلمسه في الدور الذي قام به ليون روش في الجزائر لصرف الناس عن مساندة ثورة الامير عبد القادر .

واخيرا هناك الدافع العلمي بالنسبة للذين لم يشتركوا في مخططات الكنيسة والاستعمار فإن دافعهم علمي بحت وقد بذلوا قصارا جهدهم في فهرسة المخططات والكتب وهؤلاء إستفادت منهم الدول الاسلامية حيث كان تاثيرهم إيجابيا[٣٠]، فلم يكن جميع المستشرقين يخدمون أغراض التبشير أو الاستعمار بل هناك منهم من كان حياديا وكان غرضه العلم وهناك من أسلم[٣١].

قد يتساءل المرء عن السبب الذي يجعل هؤلاء الباحثين يدرسون الاسلام كعقيدة، فهم لا يؤمنون به ولا يبحثون عن الحقيقة من وراء دراستهم للإسلام، وليس هدفهم هو العلم وإلا لأختصوا بمجال آخر مثلما فعل غيرهم، لكن علماء اللاهوت هؤلاء ما فتؤوا يبحثون عن كل نقيصة ومطعن في الاسلام.

تتلاقى دوافع الاستشراق مع أهدافه فإذا كان الدافع دينيا كان الهدف هو إخراج المسلمين عن دينهم فإن أمكن تنصيرهم فذاك المقصود وإلا فإبقاءهم بلا دين مطلقا وهذا يحقق لهم منافع ومصالح إقتصادية وسياسية وإستعمارية[٣٢]، فقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام ١٦٣٦ نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجاري والثاني تنصيري «... نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الاقطار الشرقية وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات» [٣٣].

وإذا كان الدافع إستعماريا فهو يهدف إلى السيطرة على العالم الاسلامي طمعا

باستغلال الارض وإستعباد الناس والسيطرة على كل شيء، وإذا كان اقتصاديا فهو يهدف إلى تحصيل منافع اقتصادية واستغلال الارض والسكان لخدمة الاقتصاد الغربي(٣٤).

نلاحظ في هذا الاطار أن أهداف الاستشراق تتلاقى مع أهداف الاستعمار والتبشير مما يجعل منها وجهات متعددة لعملة واحدة، ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**...﴾ سورة البقرة، الاية١٢٠.

يذكر مصطفى السباعي أن هدف المستشرقين هو طرح الشرق أمام الغرب بصورة مشوهة، لتكوين صورة سيئة عن العرب والمسلمين في ذهن الغربي المعاصر، لحمايته من أن يرى نور الإسلام، فيؤمن به، ويحمل رايته ويجاهد في سبيله.

- هزيمة المسلمين هزيمة روحية وفكرية، وذلك بالقضاء على روح الاستعلاء الإيماني والاعتزاز بالإسلام في نفس المسلم، وإذابة شخصيته الإسلامية عن طريق غسل دماغه شيئاً فشيئاً، بأسلوب ماكر يعتمد على إخفاء النوايا الحقيقية والظهور بمظهر برئ لطيف، وقد اشتركت في هذا الهدف مع الصهيونية والشيوعية.

- زرع بذور الشك في أهم دعامات الحضارة الإسلامية والتشكيك في النبوة والرسالة.

- هدم بنيان الشريعة الإسلامية، فقد شنّوا حملة شعواء على العقوبات والحدود الإسلامية: من قصاص، وقطع، ورجم، وشنّعوا عليها ووصفوها بالهمجية والوحشية، وقد علموا مدى مكانتها وعظم وظيفتها في المحافظة على مجتمع إسلامي متماسك سليم من الآفات والأمراض.

- تدمير المجتمع الإسلامي وطمس معالمه بالتركيز على حياة المرأة المسلمة، فصوروا حياتها في ظل الإسلام بصورة الكبت والظلم والانحطاط، واعتنوا كثيرا

بتشويه الحجاب، فنشطوا لجر المرأة المسلمة إلى ميادين الفوضى والانحلال من أجل هدم بناء المجتمع الإسلامي.

تلك كانت الدوافع الحقيقية والنوايا الخفية وراء عناية الأوروبيين بالدراسات الإسلامية[٣٥] .

خطر الاستشراق على العقيدة الاسلامية:

يذكر الامام محمد الغزالي إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرين لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه." [٣٦] فالاستشراق اثر في الفكر الفلسفي العربي والإسلامي بحيث لم يعد هناك مجال من مجالات دراسة الشرق وعلومه خالياً من أبحاث المستشرقين [٣٧]، ويذكر في هذا الاطار إدوارد سعيد أن المستشرقين نشروا عن الاسلام والمسلمين فكرة مغلوطة وأنهم يصفونهم بابشع الصفات و أنهم غرسوا ذلك في أفكار الأوربيين ونجدها اليوم مجسدة في أفلام السينما[٣٨] .

ب- وسائل الاستـشراق :

استعمل بعض المستشرقين وسائل دنيئة للوصول إلى أغراضهم خاصة منهم أولئك الذين خدموا الغرض التبشيري أو الاستعمار، **ونسوق هنا قصة ليون روش مع الامير عبد القادر، فقد سمى نفسه الحاج عمر وإلتحق بخدمة الامير، ورافقه مدة طويلة ادَّعى خلالها أنه اعتنق الإسلام، ولما قامت الحرب بين الأمير وفرنسا انشقَّ عنه والتحق بالسلطة الفرنسية، فكلفه الجنرال بيجو الحاكم العسكري للجزائر، بالسفر إلى تونس ومصر والحجاز حاملًا فتوى تدعوا الجزائريين إلى قبول الحكم الفرنسي مقابل أن يحترم هذا الحكم دينهم وعاداتهم وتقاليدهم .**

وهو يلخص في كتابه "ثلاثون سنة في رحاب الإسلام" استخفاف المستشرقين

بعقول المسلمين حيث يذكر «وإني قد تمكنت من إغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكة ، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين، وبأن لا ينزعوا إلى ثوره، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ومنهم من افتى بأن فرنسا دولة إسلامية أكثر من الدولة العثمانية ، وكل ذلك لم يكلفني سوى بعض النقود الذهبية»، وبعد أن عاد إلى الجزائر نشر هذه الفتوى وكان قد ساعده بعض من شيوخ الزوايا منها محمد الصغير شيخ التيجانية، عندئذ كتب الأمير عبد القادر رسالة عنوانها **"**حسام الدين لقطع شبه المرتدين**"** ونشرها سنة ١٨٤٣م تنقض هذه الفتوى(٣٩).

وتلك هي الحال الذي وصله المسلمون من الوهن والذي استغله المستشرقون في الكيد للإسلام في غفلة من علمائه ورجاله.

ومن أبرز وسائلهم أيضا الغزو الفكري حيث استغلوا انبهار المسلمين بالحضارة الغربية في نشر الثقافة الغربية، فيأخذ المسلمون من الحضارة الغربية ما يمكن أن تبعدهم عن جذورهم، فسلاح التغريب من أخطر الاسلحة التي إستـخدمها الغرب ضد الشرق وقد اضطلع المستشرقون بهذه المهمة .

وبسبب السيطرة الإستعمارية بدأت المؤثرات الغربية تتدفق على البلاد الإسلامية حتى غدا تقليد الغرب والتشبه بأخلاقهم وأسلوب معيشتهم واقتباس أفكارهم وآراءهم الاجتماعية والسياسية، أكبر عوامل التبدل والانقلاب في العالم الإسلامي (٤٠). وقد ثبت في عصرنا ما اخبر به الرسول ﷺ، **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم «لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ. حَتّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهّ آلْيَهُودُ وَالنّصَارَىَ؟ قَالَ "فَمَنْ؟»** صحيح البخاري، رقم ٣٤٥٦.

من أبرز الأمثلة على دور الاستشراق في نشر التغريب ما حدث في تركيا في

عهد مصطفى كمال أتاتورك، فعندما قام بدعوته إلى تغريب تركيا حاضرة الخلافة، أخذ المستشرقون يتهمون الإسلام كدين بأنه سبب انحطاط الشعوب الإسلامية، وقوي نشاط المبشرين للمسيحية في العالم الإسلامي [٤١]، فقد ساند الاستشراق كل خطوات أتاتورك*٤ بالقضاء على أي صلة لتركيا بالشرق، بنشر اللغة التركية بالحروف اللاتينية ومنع العربية والفارسية ونشر الثقافة الغربية في تركيا، وقاموا بأبحاث تاريخية ونظريات في فقه اللغة التركية تشهد بتأصيل اتجاهه التغريبي [٤٢]، فساندوا الأفكار القومية الطورانية لأتاتورك، والأصول المشتركة للغات الأوروبية مع التركية وحاول المستشرقون إثبات صلة الحثيين *٥ بالشعوب الهندوآرية [٤٣].

وحاول المستشرقون ضرب العقيدة الاسلامية وبث الشكوك حول صحة رسالة الاسلام فمن وسائلهم في التشكيك بصحة رسالة الرسول ﷺ ومصدرها الإلهي، إنكار النبوة و الادعاء أن الدين الإسلامي مستوحى من اليهودية والنصرانية، والتشكيك في صحة الأحاديث النبوية وفي الفقه الإسلامي، وفي قدرة اللغة العربية على مواكبة التطور العلمي، وفي قيمة التراث الحضاري الإسلامي وأنه منقول من الحضارة الرومانية واليونانية [٤٤]، والسخرية من بعض الأحكام الدينية، كدعوى عدم مناسبتها لوقتنا الحاضر، وغير ذلك من مزاعم ذات أبعاد خطيرة.

ومن الادوات التي إستعملوها لتحقيق أغراضهم :

- تأليف الكتب في موضوعات منها القرآن والحديث والفقه والتاريخ الاسلامي وإصدار المجلات لنشر بحوثهم

- إرساليات التبشير التي تقوم بأعمال خيرية في مجالات إنسانية مختلفة في الظاهر .

- إنشاء جمعيات ومدارس ومؤسسات من أجل العمل الخيري والاحتكاك مع الشباب في العالم الاسلامي.

-إلقاء المحاضرات في الجامعات والهيئات العلمية ومقالات في الصحف المحلية.

-عقد المؤتمرات لإحكام سيطرتهم ومناقشة الأفكار الجديدة .

- التركيز على الدعوات الهدامة والافكار الخاطئة والفرق الضالة والدفاع عنها والإشادة بها فنجدهم يركزون بحوثهم على المتصوفة والخوارج، الوقوف عند الحوادث التاريخية التي تمثل انتكاسات أو ثورات أو أزمات مر بها العالم الاسلامي وكأنهم إنما يبحثون عن الطعن في الاسلام (٤٥).

ج - علاقة الاستشراق بالاستعمار :

يذكر الباحث بهاء الدين أن الاستعمار ورجال الكنيسة كانوا يشجعون المستشرقين ويدفعونهم لدراسة الحديث والفقه موفرين لهم كل المساعدات المادية والمعنوية، **وقد وصلت أبحاث كل من شاخت وجولد تسيهر حد التقديس بحيث يرفض كل نقد لابحاثهم فحدث أن تقدم طالب لإنجاز رسالة دكتوراه تنتقد شاخت في جامعة لندن ثم جامعة كامبردج فرفض طلبه في كلتا الجامعتين، وردت عليه جامعة كامبردج بأنها لا تسمح بنقد شاخت**(٤٦).

المستشرقون خدموا الاستعمار فسلفستر دي ساسي قام بترجمة الإعلان العام الموجه للجزائريين عند احتلال الجزائر، كما قام بالتجسس على المسلمين في الشرق خدمة للإستعمار، وعندما أنشات فرنسا قبيل احتلال الجزائر هيئة المترجمين والمرشدين العسكريين كان من أهم أعضاءها العديد من المستشرقين منهم سيلفاستر دي ساسي (٤٧)، والمستشرق كارل هنريش بيكر kheinrich becker مؤسس مجلة الاسلام الألمانية كان يقوم بدراسات تخدم الاهداف الاستعمارية الألمانية في إفريقيا، أما بارتولد berthold مؤسس مجلة الاسلام الروسية فقد كلفته الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالحها في آسيا الوسطى، وعالم الاسلاميات اليهودي سنوك هورنجرونيه تولى

مناصب في أندونيسيا خدمة للإحتلال [٤٨]، لقد أصبح الاستشراق في ذلك الوقت بالفعل مرادفا للهيمنةِ على الشرقِ، فالباحث لامارتين كان يبرر الاحتلال الأوروبي للشرقِ خلال رحلاته إلى فلسطين [٤٩] .

عمل الاستعمار على الإستفادة من التراث الاستشراقي مما عزز موقف الاستعمار، فقد واكب تطور الاستشراق التوسع الاستعماري، الذي جند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في البلاد المستعمرة فلقد عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل وتجسسوا على المسلمين [٥٠].

وكانت هناك علاقة متينة بين السياسيين والمستشرقين حيث كان السياسيون يرجعون إليهم قبل إتخاذ القرارات المهمة في الشؤون السياسية التي تخص الأمم العربية والإسلامية، وكان بعض المستشرقين يؤسس لصداقة بالرجال البارزين في الامة العربية ويتخذ من هذه الصلات ستارا يقوم من وراءه بأعمال التجسس في أثناء الحرب[٥١].

كل ذلك جعل الباحث إسماعيل أحمد عمايرة يجزم أن الظاهرة الاستشراقية كانت تمثل الجذور الايديولوجية للإستعمار الحديث بكل دوافعه النفسية كالسيطرة الاستعلائية والرغبة التنصيرية والمصالح الاقتصادية وغيرها [٥٢]، **الواضح هنا هو تبادل الادوار بين الاستعمار والاستشراق فهذا المستشرق اليهودي الهولندي الاصل سنوك هرجرونيه يتحدث عن ضرورة الاستشراق للاستعمار وضرورة الاستعمار للإستشراق فيقول: «... وكلما زادت البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لنتعرف على الحياة الفكرية وعلى الشريعة وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية ...»** [٥٣].

د – علاقة الاستشراق بالتنصير:

طَلائِع المُستَشرِقين الأولى خرجَتْ من الكنائس والأديِرَة بمناصب دينية، والبداية كانت عبر مجمع فيينا الكنسي سنة ١٣١٢م، وكانت هذه التَّوصية قائمة على دعوة المُنَصِّر المُستَشرِق ريموند لول وهو مستشرق فرنسي تعلم العربية وحفظ القرآن، طاف بشمال أفريقيا أكثر من مرة، كان يهدف إلى هدم الإسلام [٥٤] ،وهنا يذكر رادشل " في كتابه "الجامعات في أوربا في القرون الوُسطَى" أن: الغرض من هذا القرار الكنسي كان تَنصِيريًّا صرفًا [٥٥].

وحول علاقة الاستشراف بالتنصير والاستعمار كتب الباحث نجيب العقيقي: «تعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا في مهمة نصفها الأول سياسيا ونصفها الأخر تبشيريا عنصريا» [٥٦]، والاستِشراق مثل التَّنصِير نال الدعم المادي والسياسي والمعرفي والحماية كما نالَ رعاية الكنيسة ومباركتها، فقد اتَّجهت الكنيسة الغربية إلى التَّنصِير من خِلال الفكر والثقافة والعلم، فكان التَّوجُّه إلى ما نُسَمِّيه اليوم بالغزو الفكري في تحقيق ما فشَل فيه سِلاح الغزو الحربي، هذا الغزو الذي اتَّخَذ من الاستِشراق مُنطَلَقًا له، سعى من خلاله إلى تَشوِيه الإسلام بطُرُق شَتَّى [٥٧] .

لقد برز الاستشراق في البداية بقصد إيقاف التأثير الإسلامي في الغرب، ثم تطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين، فقد كان منذ بداية نشأته لخدمة الكنيسة والاستعمار[٥٨]، والمستشرقون لم يتناسوا التبشير في دراساتهم العلمية، والكثير منهم من رجال دين فهدفهم إدخال الوهن في قلوب المسلمين من دينهم وتاريخهم وتراثهم والتشكيك في مبادئهم وعقائدهم وحضارتهم لسلخ المسلمين عن دينهم[٥٩] .

من جهة أخرى فسياسة الاستعمار كانت تخدم بدورها كل من الاستشراق والتبشير، فهي تقوم على :

– تشجيع التبشير وتمكينه في البلاد الإسلامية .

- فصل الدين عن الدولة والحياة، وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية - تربية جيل من أبناء المسلمين على الفكر والسلوك الغربي وعزله عن عقيدته وتاريخ أمته، ثم اصطفاء نخبة من هؤلاء ليصنعهم الغرب على عينه، وقد ولاهم مقاليد البلاد بعد خروجه منها، فعاثوا فيها فساداً .

- توجيه مناهج التعليم والتربية والإعلام والثقافة والفكر والأدب وغيرها، وصبغها بالصبغة الغربية الخالصة .

- العمل بكل وسيلة على عرقلة النهضة الإسلامية فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً لتبقى بحاجة إلى الغرب.

-عرض الأفكار والنظريات والفلسفات الغربية الهدامة ونشرها بين المسلمين كالشيوعية، والاشتراكية، والوجودية والقومية، والوطنية، والإباحية .. الخ، وتمكين أصحاب تلك الاتجاهات من مراكز القيادة والتوجيه.

ثالثاً

أراء المستشرقين في العقيدة الاسلامية

أ- اليهود و الاستشراق:

إن اليهود من أشهر أعداء الاسلام وأكثرهم مكر ودهاءاً، قال تعالى ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ سورة المائدة: الاية ٨٢.

وقد واجهوا المسلمين بألوان من الكيد والتآمر والتأثير في المشركين والتأثير على المسلمين وإستخدموا وسيلة النفاق ضمن وسائلهم الكثيرة، ثم كان لهم في تاريخ الاسلام مكائد كثيرة ضد شخص الرسول ص وجمهور الأمة وصولا إلى مكايد يهود

«الدونمة» ضد الدولة العثمانية إلى المذاهب الهدامة التي نشروها بين المسلمين [٦٠].

لكن من أخطر المجالات التي دخلها اليهود هي الاستشراق حيث أرادو أن يسددوا إلى الإسلام ضربة في الصميم، من خلال التشكيك في أهم دعامتين هما القرآن والسنة والتشكيك في صحة نبوة الرسول «ص» ثم التشكيك في السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي.

دخل اليهود مجال الاستشراق بإخفائهم الدائم للديانة اليهودية وارتدائهم لأثواب مختلفة، فلقد ارتدوا ثوب الجنسية الأوروبية تارة، و النصرانية تارة ، وثوب الإسلام تارة أخرى لتحقيق أهدافهم الخبيثة، ويعد يوحنا الاشبيلي أول المستشرقين اليهود وإسمه الحقيقي هو يوحنا بن داود عاش في القرن الثاني عشر كان له دورا في التنصير فقد اعتنق المسيحية وأخفى اليهودية و قام بترجمة سور من القرآن[٦١]، والكثير من اليهود دخلوا الاستشراق من باب المسيحية أو بوصفهم أوروبين، ومن هؤلاء شاخت الذي طعن في الأحاديث النبوية وشكك في صحتها، فخدعة الإخفاء هي أشهر ما استخدمه اليهود في صراعهم ضد المسلمين، فلقد جاء في أحد بروتوكولات حكمائهم ما نصه: " عليكم ألا تظهروا... وألا تعرفوا الناس علينا ...عليكم ألا تستخدموا كلمة يهودي".

يقول الباحث محمود حمدي زقزوق: «لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل أثرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين ، وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الإستشراقية كلها ، وكسبوا ثانية تحقيق أهدافهم من النيل من الإسلام وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية النصارى »، ومن اشهرهم صموئيل زويمر هذا المستشرق الذي كتب عديدا من المؤلفات الإسلامية، وهو مؤسس مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١ م ترأس وأدار العديد من مؤتمرات التبشير [٦٢].

ففي مؤتمر القدس التبشيري عام ١٩٣٥م وقف يقول :« مهمة التبشير التي

تربيكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتك هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوق لا صله له بالله ،وبالتالي لأصله له بالأخلاق التي تعتمد عليه الأمم في حياتها »، وفي كتابه "العالم الإسلامي اليوم " يقول: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها »، وكتب مخاطبا المستشرقين: «إنكم أعددتم نشأ لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار ...» .

ومن المستشرقين اليهود أيضا فون جرونباوم وهو مستشرق ألماني ألف عديدا من الكتب الإسلامية منها: الأعياد المحمدية، دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية، فهذا المستشرق اليهودي إمتلأت كتبه بالاعتداءات الصارخة على الإسلام والمسلمين، ومن بينهم أيضا جولد زيهر وهو مستشرق مجري يعد زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع، و كتابه " تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي"، يعد أشهر المراجع المعترف بها عند الأوروبيين، وهو الآخر يهودي متعصب ساهم في تلويث المناخ الفكري في العالم الإسلامي ساند هذا المستشرق الفكر البهائي، وهناك جوزيف شاخت *٦ أحد كبار اليهود المستشرقين وسار على نهج أسلافه خاصة أستاذه جولد زيهر، وادعى بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراض الجاهلية، وقد عبر جولد تسيهر عما سماه إختلاف النص القرآني ست عشر مرة في ثمانية وعشرين سطر متوالية(٦٣) .

يذكر الباحث عبد الله التل أنه ليس من قبيل المصادفة أن نجد أكبر المستشرقين منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو اليهودي جولد تسيهر، الذي كرس حياتاه للطعن في الاسلام ونبي الاسلام وقرآن الاسلام، بأسلوب علمي مقنع، وليس من قبيل الصدفة أن يكون من أكبر المبشرين واخطرهم طوال النصف الأول

من القرن العشرين هو اليهودي صمويل زويمر، الذي كان يدير عملية التبشير في العالم الاسلامي كله ومعه عشرات المستشرقين والمبشرين من اليهود [٦٤].

إن هناك الكثير من علماء المسلمين ومفكريهم قد تاثرو بالمستشرقين، ومازالت أمتنا الإسلامية حتى هذه اللحظة تعيش آثار هذه الغزو الفكري الذي أحدثه الاستشراق والمستشرقون ولا سيما اليهود منهم.

ب – المستشرقون والقرآن الكريم :

ادّعى بعض المستشرقين أن القرآن مأخوذ عن النصرانية واليهودية وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد إقتبس أفكاره من النصرانية واليهودية، فقد أكد المستشرق تيودور نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن" أن القرآن في معظمه من أصل يهودي، وسبب ذلك هو وجود جماعات من اليهود في يثرب كما أن اليهود كانوا يترددون على مكة ايضا [٦٥]، وهذا المستشرق قد تتلمذ على يد جولد تسيهر وسينوك هيروغرونيه وكلاهما يحمل حقد للإسلام .

من بين المستشرقين الذين طعنوا في القرآن الكريم أيضا جون وانسبروغ John Wansborough الذي ألف كتاب بعنوان " الدراسات القرآنية: مصادر ومناهج التفسير للكتاب الديني"، ذكر فيه أن القرآن تطور تدريجيا في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين من أصل روايات شفوية عن طريق تعديلات جرت عبر قرنين حتى أخذ شكله الحالي، وصادف ذلك بروز التفاسير القرآنية، وكانت هذه العملية مماثلة لما حدث في تقويم الكتاب المقدس لليهود[٦٦].

على أن أول المستشرقين الذين طعنوا في القرآن الكريم هو شاخت واستاذه جولد تسيهر وهذا الاخير إمتدت أراءه الخبيثة إلى الحديث ايضا، بينما يذكر شاخت عن القرآن الكريم: إنه لم يكن مصدرا للشريعة الإسلامية قبل القرن التاسع عشر الميلادي[٦٧] .

لكن بعض المستشرقين المنصفين قد أكدوا خطأ ذلك الاعتقادوكذبوا إدعاءات شاخت و جولد تسيهر حول القرآن الكريم، منهم المستشرق شيبس فقد قال :«يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد وهذا هو الخطأ المحض فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله، وليس في إستطاعة محمد ذلك الامي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور...» أما الباحثة لورا فيشيا فاغليري فتقول في كتابها " دفاع عن الاسلام " «كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد وهو الأمي الذي لم يقل طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة لا ينم منهما عن أدنى موهبة شعرية»[٦٨] .

المعلوم أن عدد من المستشرقين قام بترجمة معاني القرآن الكريم منهم المستشرق الانجليزي جورج سيل ١٦٩٧-١٧٣٦، والذي وضع لها مقدمة قال فيها أن محمدﷺ «هو من ألفه وساعده أحد من حكماء عصره من بني قومه أو من اليهود والنصارى »، على أن أولى الترجمات تلك التي أمر بها بطرس المحترم في القرن١٢ الميلادي، والمترجم وهو روبرت الكلوني لم يكن أمينا فقد أغفل بعض المفردات بالاضافة إلى الاخطاء الجسيمة التي وقع فيها، ثم قام روبرت كينت بمساعدة رجل عربي بترجمة القرآن[٦٩]، وقد يكون هذا المساعد من المسلمين المرتدين [٧٠]، توالت بعد ذلك الترجمات إلى مختلف اللغات، بينما كان قد حدث جدال كبير بين العلماء حول ترجمة القرآن الكريم من أمثال: ابي حنيفة، الغزالي، إبن حزم، ابن تيمية، الزركشي، السيوطي، الزرقاني، الحجري، ومشيخة الازهر[٧١] .

وفي وقتنا الحالي كل الترجمات الحديثة إعتمدت على الترجمات القديمة التي فيها الكثير من التحريف، لذلك تنبه المسلمون إلى ضرورة ترجمة القرآن الكريم، وقد قام مجمع الملك فهد بالفعل بترجمة معاني القرآن إلى ٤٠ لغة [٧٢].

اهتم المستشرقون أيضا بكتب التفسير التي تخص الفرق الضالة مثل المعتزلة حيث ألف المستشرق الإيطالي جويدي كتاب "شرح المعتزلة للقرآن"، والمستشرق

الروسي "سيمينوف" كتاب "القرآن في نظر الإسماعيليين"، لكن الأكثر شيوعاً في هذا المجال هو كتاب " مذاهب التفسير الإسلامي" للمستشرق المجري جولد تسهير.

ج - المستشرقون اليهود والسنة النبوية:

توجه المستشرقون إلى دراسات الحديث النبوي في وقت متأخر بعد أن أمضوا وقتا في الدراسات التاريخية والادبية، ومن أهم وأخطر الدراسات ما قام به الالماني إجناس جولد تسيهر سنة ١٨٩٠ حيث أصدر كتاب بعنوان " دراسات إسلامية " الذي أصبح مرجعا للباحثين(٧٣).

وكذلك المستشرق شاخت الذي أمضى عشرة أعوام في دراسات الاحاديث والفقه الاسلامي ونشر بحوثه في كتاب بعنوان "اصول الشريعة المحمدية "، وكان خلاصة ما وصل إليه أنه ليس هناك حديث واحد صحيح وخاصة الاحاديث الفقهية، وأصبح هذا الكتاب مرجعا للباحثين ونال شهرة واسعة .

وتعتبر تأثيرات كل من جولد تسيهر وشاخت عظيما في المسشرقين فقد وصف المستشرق جب كتاب جولد تسيهر بأنه سيصبح المرجع الاول للأبحاث عن الحضارة الاسلامية والتشريع على الاقل في الغرب، أما نظرية شاخت التي وضعها في كتبه فقد أثرت في جميع المستشرقين ومنهم: أندرسون، روبستون، فيزجرالد، كولسون، بوزورت وغيرهم، بل وأثرت في الكثير من المسلمين المتاثرين بالحضارة الغربية(٧٤).

ونتيجة للحرب التي شنها بعض المستشرقين على الحديث النبوي والطعن فيه فإن بعض المسلمين قد طالبوا بالاعتماد على القرآن فقط فقد ظهرت طائفة في الهند تدعى" أهل القرآن " تنادي بعدم الاحتجاج بالحديث(٧٥).

ولم يكتف المستشرقون بالطعن بصحة نسبة الاحاديث النبوية إلى الرسول

مباشرة بل طعنوا في شخص الرسول ومن وهؤلاء وليام بدول William Bedwell (١٥١٦م-١٦٣٢م) الذي ظهرت له كتابات امتلأت بالحقد على الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم(٧٦)، وينقل إدوارد سعيد عن نورمان دانيال في كتابه " الإسلام والغرب"، بأنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم ينظر إليه في الغرب بأنه نبيٌّ الوحي الكاذب(٧٧).

والحديث النبوي تعرض ولا يزال يتعرض لحملات مكثفة وهجمات ضالة وإفتراءات ظالمة مستهدفة هذا المصدر التشريعي المهم بالنسبة للمسلمين، لكن هناك من المستشرقين انفسهم من إنبرى دفاعا عنه، فهذا موريس جودفري ديمونبنين في كتابه: " القوانين الاسلامية " قال عنه: «هو المصدر الثاني للقانون الاسلامي، يبدو أنه إلى يومنا لا ينضب من المواد المسجلة لدراسة القانون... إنها وثائق في غاية الامتاع والفائدة »، ومنهم ايضا غوستاف جرونبوم في كتابه "الاسلام في العصورر الوسطى": إن المثل الذي يجب الاقتداء به هو النبي ﷺ، ومن حيث أن القرآن لايورد التعليمات التفصيلية اللازمة لتطبيق نصوصه كانت سنة النبي هي التي كانت تملأ الفراغ وتحوي التفصيل اللازم.

ويذكر الباحث إ - س تريتون في كتابه: " الاسلام عقيدة وعمل " «يعتبر محمد المثال الذي يجب أن يحذو حذوه المؤمنون، فالذين آمنوا بجد أرادو أن يعرفوا كل تفاصيل حياته حتى يتسنى لهم إتباعه فالقوانين في القرآن لا تأتي التفاصيل الكافية لتنظيم الحياة في الدولة الاسلامية ... ومن هنا جاء الاهتمام بتدوين الاحاديث وجمعها وتبويبها»(٧٨).

ومن الباحثين من يؤدي به البحث المخلص إلى الاهتداء إلى الاسلام، كما فعل المستشرق الفرنسي إتيان ديني الذي عاش في الجزائر وأعجب بالاسلام فاسلم وتسمى بناصر الدين ديني، والف كتاب عن سيرة الرسول ﷺ وكتاب اشعة خاصة بنور الاسلام، نقل جثمانه إلى الجزائر حيث دفن فيها، والمستشرق المجري عبد الكريم

جرمانوس الذي إعتنق الاسلام في الهند، ومنهم موريس بوكاي الطبيب الفرنسي صاحب كتاب: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، و المستشرق الاسباني سيمون هايك[٧٩]، ومن بينهم أيضا مراد هوفمان الذي ألف كتاب: " الإسلام كبديل "، و الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو الذي أصبح إسمه عبد الواحد يحيى حيث قال: «أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد دراسة عميقة، سوى القرآن الكريم».

الدراسات الاستشراقية حتى الموضوعية منها لم تسلم من تعصب وهوى وهي تعمل على خدمة نزعات دينية وإستعمارية، كما أن هذه الدراسات لا تخلوا من هنات واخطاء لغوية وعلمية وتاريخية مقصودة أو غير مقصودة، فهؤلاء القوم مهما بلغت معرفتهم بلغتنا فإنه يغيب عنهم روح الشرق وعبقرية الفاظه وتعابيره التي تؤدي إلى معاني شتى، لذلك نجد بعض من إستنتاجاتهم خاطئة ناهيك عن المتعمد منها[٨٠].

وعلى العموم فإن بعض المستشرقين ربما المنصفين منهم يعتبرون محمد "صلى الله عليه وسلم" نبي العرب بينما معظمهم يعتبرونه شخصية إصلاحية، وقلة منهم من دخل في الاسلام، أما الحاقدين منهم فهم يحاولون النيل من الاسلام قدر المستطاع، فهم يبحثون عن الثغرات وربما يختلقونها، ويطعنون في أعمدة العقيدة الاسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة، ويعملون على إحياء الافكار المشوهة والفرق الضالة والثورات والحوادث السيئة التي حدثت في التاريخ الاسلامي، ويدافعون عنها ويعتبرونها معبرة عن آراء إسلامية مبتكرة وأصيلة وأنها تعرضت للإضطهاد والتشويه من طرف الدول الاسلامية.

*** هوامش البحث ***

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص ١٤٢.

(٢) محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، 2005، ط٨، ص ٨٧٩.

(٣) محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، دمشق: دار قتيبة، الطبعة ٢ :٢٠٠٢م ص١٧.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط: ج١، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤ ،٢٠٠٤، ص٤٨٢.

(٥) متفق عليه البخاري (٣٩٤) ومسلم (٢٦٤).

(٦) عبد الله محمد الامين النعيمي: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات التحدة الامريكية ١٩٩٧، ص١٥-١٦

(٧) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار،دار القلم دمشق، ط٨ ،٢٠٠٠ ،ص ٥٣

(٨) محمد فتح الله الزيادي: المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

* فقد أطلقت كلمة «المستعربين» (Mozarabes) على العناصر المسيحية التي استعربت في لغتها وعاداتها، ولكنها بقيت على دينها محتفظة ببعض تراثها اللغوي والحضاري. وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية حرية العقيدة، فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وطقوسهم الدينية التي كانت تقام باللغة اللاتينية، كما كان لهم رئيس يعرف بـ«القومس» (Gomez) وقاضٍ يعرف بقاضي العجم أو النصارى، يفصل في منازعاتهم بمقتضى القانون القوطي، أنظر: محمد القاضي: «الاستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاثة نماذج: خوان أندريس ـ غاينغوس ـ ريبيرا» مجلة التاريخ العربي، عدد ١٥، ص ١٨٨

(٩) محمد القاضي: المرجع السابق، ص ٩١

** حول يوحنا الدمشقي أنظر :

كمال اليازجي: يوحنا الدمشقي بيروت:منشورات النور ١٩٨٤، جواد علي: يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، ص ٢٤٣، ربيع الأول ١٣٦٤ هـ ـ مارس ١٩٤٥ م.

(١٠) سليمان أحمد الضاهر: لاهوت يوحنا الدمشقي(دراسة تحليلية في كتاب "المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي") كتاب طبع بمناسبة القدس عاصمة الثقافة العربية ص ٧٣٤-٧٣٥، هنري لامنس، "أسرة القديس يوحنا الدمشقي"، مجلة المشرق،بيروت، العدد ٢٩، ١٩٣١، ص٤٨٢-٤٨٣

*** بعض الرُّهبان من البلدان الأوروبية قصدوا الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدْها ودرسوا في

مدارسها،وترجمَوا القرآن وبعض الكتب العلمية إلى لغاتهم وخاصة الفلسفة والطب والرياضيات، وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم، نشروا ثقافة العرب ومؤلَّفات أشهر علمائهم، ثم أسسوا المعاهد التي تعنى بالدراسات العربية أمثال: مدرسة "بادوا العربية"، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدُرِّس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، واستمرَّت الجامعات الغربية تعتمد على كتُب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .أنظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦،، ص ٨٠.

(١١) مصطفى السباعي «الاستشراق والمستشرقون» المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ص١٤-١٧.

(١٢) الإلوري آدم عبد الله، «الإسلام في نيجيريا»، ص١٥٠.

(١٣) إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٨٠.

(١٤) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ١٤.

(١٥) محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة إستعمار، دار الفكر العربي ،بيروت ١٩٩٣، ص٣٠

(١٦) *ساسي* سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، *ج١* ، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٠٧.

(١٧) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، بيروت ٢٠٠٨، ص٣٠.

(١٨) عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،، ط٤ ص 248

(١٩) يحيى مراد: معجم أسماء المستشرقين.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٤.

(٢٠) *ساسي* سالم الحاج: المرجع السابق، ص٩١.

(٢١) يحيى مراد: المرجع السابق، ص٤٥.

(٢٢) *ساسي* سالم الحاج: المرجع السابق، ص٦٣.

(٢٣) محمود حمدي زقزوق :المرجع السابق، ص٤١.

(٢٤) محمد إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص٦١

(٢٥) نفسه، ص٤٤

(٢٦) نفسه، ص٥٨

(٢٧) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ١٥-١٦ .

(٢٨) على بن إبراهيم النملة: الاستشراق والقرآن الكريم، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ، العدد الثالث، السنة الثانية ،جانفي ٢٠٠٧،ص ٢٠٩

(٢٩) نفسه: ص ٢١٠

(٣٠) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ٢١-٢٣

(٣١) عبد الرحمان حبنكة الميداني: المرجع السابق ،ص ٥٣ -٥٤

(٣٢) نفسه: ص ١٢٩

(٣٣) عبد الله محمد الامين النعيمي: الاستشراف في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧، ص١٩

(٣٤) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١

(٣٥) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ٢٣، محمد قطب: المستشرقون والإسلام، ص ٥٤

(٣٦) محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، القاهرة: نهضة مصر، بدون تاريخ، ص ٣.

(٣٧) عبد الرزاق أحمد: فلسفة المشروع الحضاري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١/ ١٦٢، ١٩٩٥م

(٣٨) إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص ٢٨٨-٢٨٦

(٣٩) ليون روش: ثلاثون سنة في رحاب الإسلام مذكرات ليون روش في رحلته إلى الحجاز، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، جداول للنشر بيروت، ٢٠١١، ص ٠٩- ١٤، الامير عبد القادر: " حسام الدين لقطع شبه المرتدين "، وثيقة بخط يد الامير .

(٤٠) محمد إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص٨١

(٤١) نفسه: ص٨٧

*٤ قيل بأن اصوله تعود إلى يهود الدونمة.

(٤٢) محمد إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص٨٩

* ظهرت هذه الحضارة في الاناضول وكانت معاصرة للامبراطورية الحديثة في مصر، قضت عليها غزوة شعوب البحر.

(٤٣) محمد إبراهيم الفيومي: المرجع السابق، ص٩٠

(٤٤) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ٢٥-٣٣

(٤٥) نفسه: ص ٣٣-٣٦

(٤٦) محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، عمان الاردن، ١٩٩٩، ص٣٥

(٤٧) عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص٣٣٤-٣٣٩، يحيى مراد: المرجع السابق، ص ٥٣٧-٥٣٠.

(٤٨) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص٤٤- ٤٦، سالم حميش: الاستشراق والعقد الاستعماري، مجلة الاجتهاد، عدد ٢٣، بيروت ١٩٩٤، ص ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٠،٢٠٧.

(٤٩) إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص ٢٨٨-٢٨٦.

(٥٠) نفسه: ص١٤٦، ١٢١، محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص٤٦.

(٥١) محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص٤٧.

(٥٢) إسماعيل أحمد عمايرة: المسترقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، دار حنين عمان الاردن، ط٢، ١٩٩٢، ص ٥١.

(٥٣) بوسكي وشاخت: مختارات من كتاب سنوك هرجرونيه نشرها، مؤسسة برايل في لندن ١٩٥٧م، ص ٢٦٧.

(٥٤) *ساسي* سالم الحاج: المرجع السابق، ص٣٧.

(٥٥) مجموعة من علماء المسلمين: الإسلام والاستشراق، ص ٧١.

(٥٦) نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف - مصر، ١٩٦٤،ج ٣، ١١٥٦-١١٥٧

(٥٧) سعيد عاشور: بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته عالم الكتب القاهرة، ١٩٨٧، ص١٢، شوقي أبو خليل: أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الاسلامية - طرابلس ليبيا ١٩٩٢، ص٢٦٤.

(٥٨) عبد الله محمد الامين النعيمي: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧، ص١٨ .

(٥٩) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص ٢١-٢٣.

(٦٠) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٦١) عبد الرحمن بدوي: المرجع سابق ،ص ٦٣١

(٦٢) عبد الله التل: جذور البلاء، ج١، دار الارشاد، بيروت، ص ١٨٧-٢٠٣، محمود حمدي زقزوق: المرجع السابق، ص ٥٢-٥٤.

* مستشرق ألماني مختص في الفقه الاسلامي يعد الخبير الاول في الشريعة الاسلامية كتب ابحاثا كثيرة في الفقه وترجم العديد من الكتب العربة وشارك في تحرير دائرة المعارف الاسلامية، من أهم كتبه كتاب أصول الشريعة المحمدية، انظر : محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث

النبوي، دار النفائس، عمان الاردن، ١٩٩٩، ص١٩.

(٦٣) محمد حسن حسن جبل: الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القرءات القرآنية ط٢، ٢٠٠٢، جامعة الازهر، ص ١٥.

(٦٤) عبد الله التل: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٦٥) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر وآخرون، دار النشر جورج ألمز،هلدسهايم، زيورخ، المانيا، ط٤، ٢٠٠٠، ص ٧-٨.

(٦٦) J. Wansborough: Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation, Oxford, 1977, pp.42-45

(٦٧) ibid. p44

(٦٨) على بن إبراهيم النملة: المرجع السابق ،ص ٢٠٦.

(٦٩) عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص٤٤١.

(٧٠) محمد عبد الواحد العسري: الاسلام في تصورات الاستشراق الاسباني من ريموندس لولوس إلى أسين بلاثيوس، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٠٠٣، ص١٢٢

(٧١) على بن إبراهيم النملة: المرجع السابق ،ص ١٩٨.

(٧٢) نفسه: ص ٢٠٤.

(٧٣) محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص١٩.

(٧٤) محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص٢٠-٢٢.

(٧٥) نفسه: ص٣٤.

(٧٦) عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص ٢٥٢.

(٧٧) إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص٦٢.

(٧٨) محمد بهاء الدين: المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

(٧٩) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٤.

(٨٠) أنور محمود زناتي: معجم إفتراءات الغرب على الاسلام، جامعة عين شمس، ص١٥.

❊❊❊

الحروف المقطعة
من وجهة نظر المستشرقين

■ د. محمد جواد اسكندرلو
■ تعريب: رائد علي غالب

المقدمة

الحروف المقطعة والتي تسمى (فواتح السور) و (اوائل السور) والمستشرقين يسمونها الحروف الغامضة، وهي عبارة عن حروف عربية مقطعة مثل سائر الحروف، اذا وضعت الى جنب بعضها البعض لم تكون كلمة، بل (حروف منفردة لوحدها) تقع في بداية ٢٩ سورة من القرآن مثل كاف، راء، هاء، ياء، عين، صاد، (كهيعص) .وعدد هذه الحروف مع حذف الحروف المكررة يكون ١٤حرف وتشكل النصف من الحروف الهجائية وتوجد في نوعي السوريعني المكية والمدنية.

حول مدلول السور المقطعة وحكمة افتتاح السور بهذه الحروف تباينت آراء المفسرين في هذا الموضوع. فالحروف المقطعة وكشف معانيها من الأبحاث التي جلبت انتباه المستشرقين ولكن الى الآن لم يتفقوا على رأي موحد وواضح . ويمكن دراسة هذه النظريات والمواقف من عدة جوانب. فعدة من هؤلاء المستشرقين تطرقوا الى بحث الحروف المقطعة على أنها وحي الهي ام لا، لأن الحروف المقطعة احد ادلة

اصحاب توهم دخول العناصر البشرية في القرآن.

البعض الآخر يتحدث عن إمكان فهم هذه الحروف أو عدم إمكان فهمها، وبعض ذكر وجوه مختلفة لهذه الحروف.

يختص موضوع المقالة هذه بترجمة ونقد ودراسة مدخل (الحروف المقطعة) letters mysterious – في المجلد الثالث من دائرة معارف القرآن ليدن .

دائرة معارف قرآن ليدن، احدث اثر علمي - ثقافي وضع من قبل المستشرقين ونشرته مؤسسة برلين في مدينة ليدن الهولندية.

وبمشاركة عدد كبير من الباحثين المسيحيين واليهود وبعض من الكتاب المسلمين مثل حامد نصر ابو زيد ومحمد آركون، نجحوا باصدار هذا الأثر الكبير في خمس مجلدات ويشتمل على الف مدخل. تترأس كادر التحرير في هذه الموسوعة القرآنية السيدة (جين دمن ماك أوليف) الأستاذة في جامعة جورج واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، الهدف من تأليف دائرة المعارف إيجاد مؤلف ومصدر يحقق أفضل نجاحات القرن في مجال الدراسات القرآنية، توجد هذه الموسوعة في العقود القادمة حافزا نحو دراسات أوسع بشأن القرآن.

تشتمل هذه الموسوعة على حوالي ألف مدخل مرتب على أساس الحروف الهجائية المعروفة، وإنّ تلك المداخل على نوعين:

الف) المداخل التي تتعلق بالاشخاص، المفاهيم،، والأماكن، والقيم، والأعمال والوقائع التي يمكن العثور عليها في نصّ القرآن، أو التي لها ارتباط وثيق بالنصّ القرآني.

ب) المداخل ذات الصلة بموضوعات مهمة في مجال الدراسات والأبحاث القرآنية، من قبيل: الفن والعمارة في القرآن، العلم والتاريخ في القرآن[٣].

الفصل الاول

ترجمة المقالة

الحروف الغامضة:

هذه الحروف تطلق على مجموعة من الحروف في اللغة العربية التي جاءت بشكل تركيب غير كلامي في بداية سور خاصة في القرآن الكريم بعد (بسم الله) .هذه الحروف دخلت في شبه الجزيرة العربية تزامنا مع التكامل التدريجي للخط والكتابة (راجع المصاحف العربية، الخط،كيفية البيان الكتابة في الجزيرة العربية) وعلى الرغم من التعقيد في تطبيق هذه الحروف ٢٨الصامتة بشكل متصل، فقد استخدام القرآن هذه الحروف، وهي ناشئة من نوع من المصاحف (النباتية) و لها جذور في اللغة السريانية واللغة الآرامية.

(راجع اللغة السريانية والقرآن) وفي النتيجة ان الحروف السريانية والعربية نابعة من جذور لغوية مشتركة، واخترعت منذ ١٥٠٠سنة قبل الميلاد تقريبا، وساهمت في ابتداع اللغة العبرية والحروف التي تستعمل في جنوب شبه الجزيرة العربية. استعملت هذه اللغة لأول مرة في توثيق الاحداث والبطولات التي يقوم بها ملوك بلاد (سبأ) وحضرموت. (راجع، الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الملوك والقادة العسكريين) **في الواقع لو استثنينا عدة امور من علائم اللغة الهجائية التي تستعمل في دول الشرق البعيد مثل الصين واليابان، اليوم جميع اللغات التي تستعمل في هذه الكرة الأرضية تكتب بأشكال مشابهة بنحوما بنموذج الفباء.**

وعليه نادراً ما يمكن اعطاء نظرية صريحة ومفصلة في مجال التأثير الثقافي والأدبي للقرآن على الأمم العربية. (راجع العرب :اللغة وطريقة القرآن) القرآن يمثل النموذج الأكمل للغة العربية، ومؤلفات المتخصصين في علم قواعد اللغة والمفسرين الذين بحثوافي عدم وجود مشابه لكلام القرآن. مهدوا الأرضية لإستخدام قواعد

اللغة العربية. **ان اعتبار القرآن الناشئ من الثبات الكلامي والكتابي، الذي من شأنه ايجاد لغة واسعة وفي نتيجة الامر يمهد لتطور التعليم.** (راجع العلم والتعليم) وعلى هذا الأساس، يجب الإلتفات الى نقطة ضرورية وهي ان القسم الأساس من آثار المتخصصين القدماء في قواعد اللغة اختص بتوضيح ذلك القسم من النصوص القرآنية وهي خارجة عن حدود القواعد المعمول بها في اللغة العربية. في المراحل الاولى كتب املاء القرآن بطريقة قديمة، وفي الواقع لايمكن اعتبارها كتابة معيارية. من الأسرار المكنونة في القرآن والتي لم يكشف عنها الغطاء الى الآن، هي تركيب الحروف الغير مفهومة بحسب الظاهر، التي تقع في بداية ٢٩سورة من القرآن. هذه الحروف تسمى (الحروف المقطعه) أو (الحروف الافتتاحية) .وهنا نذكر الحروف الغامضة مع رقم سورها:

(الر) في السور: ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، (الم) في السور: ٢، ٣، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، (المر) في سورة ١٣، (المص) في السورة ٣٨، (طس) في السورة ٢٧، (طسم) في السور ٢٦و ٢٨، (طه) في السورة ٢٠، (ق) في السورة ٥٠، (كهيعص) في السورة ١٩، (ن) في السورة ٦٨، (يس) في السورة ٣٦.

قبل الادلاء بأي توضيح في خصوص تعاريف هذه الحروف في الحاضر والماضي، من المهم الإلتفات الى طرق كتابة هذه الحروف ذات الأسرار في النصوص العربية، خاصة في المصاحف المتعلقة بالقرن السابع. الحروف العربية الـ (١٨) عبارة عن: (أ، ب،ج، د، ر، س، ص، ط، ع، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي)، ومن بين هذه الحروف هناك (١٥) حرفا لم يقع في آخر الكلمة، مثل ب، ن، ي، ف، و، ق.وسائر الحروف كلها تشكل ٢٨حرفا من الحروف الأبجدية العربية. (راجع الاملاء العربي) في النصوص العربية القديمة، لم يستعمل التنقيط للتمييز بين الحروف ذات الشكل الواحد، والطريقة الوحيدة لتمييز الحروف هو الصوت، مثل ب (بصوت باء) وط (بصوت طاء) وبهذا الترتيب مع عدم وجود أي نقطة تحت الحروف المنحنية أو نقطتين

في الاعلى لايمكن تشخيص هذه الحروف. الحروف١٤ التي هي مظهر الحروف ذات الأسرار، تبين كل واحد من الأشكال الصامتة المستخدمة في النصوص العربية القديمة (التي تتضمن حروف (و)، (ف) و (ق) لها ابجدية متساوية وهذا الوضوع يصدق على الحروف (د)، (ذ) و (ك) .وعلى هذا، بصورة كلية هذه الحروف ذات الأسرار التي تشكل حروف الهجائية العربية في القرن السابع، وخمسة حروف منها تشمل (الالف)، (اللام)، (م)، (ن) و (ح)، تمثل حرفا واحدا، و٩حروف اخرى تشمل (ي)، (هـ)، (ر)، (ز)، (س)، (ص)، (ط)، (ع)، (ق) و (ك) تمثل حرفا آخر وعلى هذا الترتيب فهذه الفرضية لم تكن بعيدة عن الذهن أن الهدف من استعمال حروف ذات الاسرار هو اظهار الحروف العربية وهذا نفسه دليل وبرهان قاطع آخر لتفسير سور ١٦و١٠٣من القرآن، الذي عرف كلام القرآن بأنه (كلام عربي مبين). ولكن هذه النظرية لم توضح سبب مجئ هذه الحروف في بداية سور خاصة من القرآن. (راجع انسجام النصوص القرآنية) في الوقت الذي طرح علماء المسلمين، شروحات مختلفة حول هذه الحروف، كذلك بعض علماء الغرب سعوا ان يدلوا بارآء حول معنى ومفهوم هذه الحروف وسبب تصدرها بعض السور .

التفاسير الكلاسيكية:

من وجهة نظر المسلمين المؤمنين، هذه الحروف تعد جزء من الوحي الالهي القرآني (راجع الوحي والالهام) عند قراءة القرآن، تتلى هذه الحروف (الافتتاحية) في بداية السورة بعنوانها من الحروف الهجائية (مثل سورة ٢،الآية ١ (الم) الف،لام، م) ذكرت التفاسير القديمة عدة تفاسير مختلفة لهذه الحروف، وعلى اساس واحدة منها، فإن هذه الحروف تظهر اسم السور أو فاصلة السور أو اختصار احد اسماء الله تعالى (مثل (الر) تستعمل للرحمن، (الم) للرحيم أو الله اللطيف والمجيد (الله الرحيم العلي) وأن الله سبحانه وتعالى باستخدام هذه الحروف أنزل الوحي (راجع القرآن

وعلاماته) وجاء في بعض المصادر القديمة ان هذه الحروف رموزعرفانية ومملوءة بالاسرار مع مفاهيم رمزية، وعلى اساس قيم عددية تختص بهذه الحروف يمكن معرفة معانيها، أو هذه الحروف اسلوب لجلب انتباه النبي ﷺ وامته لاستماع القرآن.

من النظريات التي جلبت الانتباه في الوقت الحاضر ولها مؤيدين في العالم الاسلامي هي فيما يتعلق ويقال بوجود مضاعفة للعدد (١٩) الذي هو مستتر في النص القرآني،وقيل ان هذا النموذج مختص بالقرآن ولايمكن تكراره من قبل الغير، وبعض التفاسير كما انها تحمل معان لطيفة، فى الوقت نفسه يبدو انها قد اعدت من قبل، على سبيل المثال هذه النظرية التي تقول يمكن العثور على عدد ١٩ في هذه الحروف الغامضة، لأن ٢٩ سورة في القرآن تبدأ بهذه الحروف، و١٤حرف من الحروف الهجائية مختلفة استخدمت في هذه الحروف (في حالة اذا ضممنا اليها حروف (ص)، (ق) و (ن) التي جاءت في بداية السور) ويوجد ١٤تركيب مختلف من هذه الحروف المقطعة في بداية السور .في النتيجة مجموع هذه الاعداد هو العدد٥٧ وهو يعد مضاعف من العدد ١٩. (٥٧=١٤+١٤+٢٩،٥٧=١٩*٣).

كما اشرنا اليه فيما تقدم، بان المفسرين للقرآن قدموا تفاسيرا كثيرة بخصوص هذه الحروف ذات الأسرار واشهرها، على الرغم من شهرتها لكنها فاقدة للإجماع،وهي ان هذه الحروف مخففة أو مختصرة من الكلمات و عبارات خاصة، وعلى هذا الحال فالكثير من علماء المسلمين المعاصرين والماضين يعتقدون بأن مفهوم الكامل لهذه الحروف لا يعلمه الا الله .

النظريات الحالية في الأبحاث الغربية:

امتازت النظريات الغير اسلامية في هذا المجال بتنوع خاص، ويمكن تقسيمها الى قسمين مهمين يعني (أصحاب نظرية الإختصار) و (أصحاب التحقيق) . {باقي الآراء الجديدة التي قليلا ما تحظى بتأييد، تشمل النظريات التي تبين بأن هذه الحروف

رموز عرفانية وذات اسرار أو انها اذعان القتال، أو عباراة مختصرة التي لخص فيها المعنى الكلي للسور. وهي آراء، روبينسون، واط، وبيل) يعتقد مؤيدوا نظرية (التلخيص) ان هذه الحروف مستقلة عن النص القرآني .و يعتقد هانس بور وهو ان هذه الحروف تمثل كلمات توجيهية مختلفة، وادارود كوسنس يعتقد ايضا ان هذه الحروف قبل هذا كانت خلاصة سورة واليوم قد نسخت .وطرح جيمس بيلامي نظرية (التلخيص)، لها جانب اعتباري اقل نسبة بسائر النظريات .وتعاقباً للنظريات التي ادلى بها المفسرون القدامى للقرآن في هذا المجال وعمدة فكرتها أن هذه الحروف الغامضة هي تلخيص أسماء (الرحمن) و (الرحيم)، ويعتقد بيلامي ان اكثر هذه الحروف الذات اسرار مبينة لأسماء الله في (بسم الله) والحروف المقطعة الاخرى (التي ذكرها في الاصلاحات في مقالته الأخيرة) هي ملخص (بسم الله). وعلى حد رأيه ان هذه الاختصارات كانت في زمن النبي ﷺ في مصاحف تلك الفترة (السور المكية) كتبت بدلا من (بسم الله) في بداية ٢٩ سورة، وفيما بعد لم يدرك الكتّاب معنى هذه الحروف، وعلاوة الى هذه الحروف المقطعة ادرجوا (بسم الله) في بداية هذه السور. وعلى هذا الأساس، يعتقد (ويلش) ان نظرية بيلامي لم تكن مطابقة نظرا وجود الشواهد النصية في مجال التطابق الزماني لسور القرآن التي تظهر ان اكثر هذه الحروف تقع في بداية السور المدنية، وفي الوقت نفسه العلاقة المباشرة بين هذه الحروف مع النصوص المرتبطة بها، ولم يشخص سبب لماذا هذه الحروف تقع في بداية ٢٩ سورة ولم تذكر في باقي السور.

القسم الاخر من هذه النظريات وهو (أصحاب التحقيق) يقوم بدراسة هذه الحروف الغامضة على انها وسيلة لتنظيم النصوص القرآنية، ويعتبرون هذه الحروف الافتتاحية على انها جزء من النص الاصلي (راجع قالب وبنية القرآن) كما أشرنا سابقاً أن بور يعتقد بان هذه الحروف ملخص لكلمات توجيهية، و ادلى هناك بشواهد عددية في ما يتعلق بالدفاع عن هذه النظرية، التي تظهر مدى تأثير هذه الحروف في

التركيب النهائي للقرآن (راجع مبحث دفاع لوث وشوالى عن هذه النظرية) من وجهة نظر (بيل) ان الحروف ذات الأسرار و (بسم الله) تعد على انها بعض من النص الاصلي، وكما انه قد تراجع مؤخراً عن أراءه وقال ان هذه الحروف موجودة في النسخ الخطية الأصلية الاولى في السور المدنية. (ولش،القرآن، واط- بيل، مدخل على القرآن) ان النموذج الفعلي لنظرية (المحررين) قائم على هذه الملاحظة، بأن ترتيب السور القرآنية ماعدا سورة الفاتحة وسورتين من آخر القرآن ليس بالضرورة تبدأمن اكبر سورة الى اصغر سورة. كذلك هذه النظرية تعنونت على انه يوجد استثناء بخصوص عملية تناقص طول مجموعة من السور التي تبدأ بالحروف المقطعة بصورة موازية. وعلى هذا الأساس ذكر نيل روبينسون في بحوثه الاخيرة بوضوح اشكالات هذه النظرية وهي:

١- هناك استثناءات بخصوص قانون (عملية التناقص الطولي للسور) والتي لايمكن احتسابها حتى في مورد السور المتوسطة التي هي تبدأ بالحروف ذات الأسرار.

٢- جميع السور التي تبدأ بحروف متساوية، لم تكن جميعها متناسقة ومتساوية.

روبينسون وان لم ينف تماما قيمة نظرية (طول السورة) ووجود هذه الحروف في ترتيب هذه السور، لكنه مع هذا يقول ان هناك اسباب اخرى (مثل تكرار المصطلحات أو العبارات الرئيسية في السور المتتالية) لفتت انتباه المنقحين للنصوص القرآنية .مع هذا الحال، ان مريدي هذه النظرية لم يكن سعيهم يقتصر فقط على بيان المغايرة الموجودة في الترتيب النزولي لطول السور، بل سعوا ان يبينوا مفهوم كل واحد من هذه الحروف. ثيودور نولدكه في تحقيق جديد يقول ان هذه الحروف مخفف لاسماء اشخاص اللذين توافق معهم (زيد بن ثابت) على قراءة وجمع السور (راجع الى قراءة القرآن، وقراء القرآن) وبعد ذلك يعتقد ان هذه الحروف لم تكن سوى علامات ذات رموز لا تحمل أي معنى، وتقليداً للكتب السماوية الاخرى التي شاهد فيها النبي التي

جاءت الحروف في بداية السور. (للتعرف اكثر على سبب تغيير رأي نولدكه، والتي اكثرما كانت تحت تأثير ابحاث لوث في مجال تأثير تفاسير توراة اليهود على النبي محمد (ص) في أواخر فترة المكي والمدني لنزول القرآن، راجع كتاب (القرآن) واليهود واليهودية لولش .) هارتويك هيرشفلد ضمن بسط النظرية الاولى لنولدكه، سعى فيها ان يتعرف على المصادر ذات الصلة واعلن ان هذه الحروف تشير الى الأشخاص ادناه :

م=مغيرة ص=حفصة ر=الزبير ك=ابوبكر

هـ=ابو هريرة ن=عثمان ل=طلحة س=سعد (ابن وقاص)

ح=حذيفة ع=عمر،علي،ابن عباس، عائشة ق=قاسم بن ربيعة

ابرز نقاط ضعف تضمنتها نظرية نولدكه – هيرشفلد حالها حال سائر النظريات التي طرحت في هذا المجال، وهي ان هذه النظرية من جهة التجربة غير قابلة للإثبات. عدم القدرة على معرفة هذه الحروف سواء كانت عنوان الاسم أو جميع المصطلحات، وسوف لن تكون مؤيدة صحة المفاهيم التي تم التعرف عليها .فهرس المفاهيم التي تم التعرف عليها قبل ان تكون مصدر موثق للمعلومات، مأخوذة من افكار الباحثين في هذا المجال.

التحقيق الذي طرح هنا في هذاالخصوص يكشف عن الجزئيات التي لم يتعرف عليها سابقاً، ويحظى بأهمية في مجال هذه الحروف الغامضة .وعلى اساس الأفكار التي ابديت، والنماذج اعطت امكانية تصنيف الحروف.فان مقارنة ١١تركيب مختلف من هذه الحروف تبين ان ترتيب هذه الحروف لم يكن على وجه الصدفة أو اعتباطيا .اذا كانت هذه الحروف كاشفة عن جمل أو كلمات، لا يمكن ان نتوقع ان تأتي بهذا التركيب، وعلى هذا الترتيب لم نتوقع ايضا عدم حدوث خلل في تصنيف هذه الحروف .وبناء على هذا فعلى سبيل المثال فإن (م) لن تأتي قبل (س) أو (ع) أو (ل)

وقبل (الالف). (لتوضيح اكثر راجع ترتيب الحروف، ميسي) وعلى هذا الأساس لإثبات صحة هذه النظرية، يجب ان نأتي بتوضيحات بخصوص نموذج الحروف (ح م ع س ق) التي جاءت في بداية سورة ٤٢. في نظرة اولية يبدو ان هذا النموذج لا يخضع لقانون ترتيب الحروف. (بعبارة اخرى حرف (الميم) استخدم قبل حرف (س)) ولكن في تقسيم ايات هذه السورة، انفصل تركيب (حم) عن (عسق) .في الواقع يوجد في هذا الجانب نموذجين منفصلين .وعلى اساس احتمال آخر، ان هذه السورة وقعت بين ٦ سور وبدأت بالحروف المقطعة (حم) وتركيب حروف (حم) اضيف الى قياس هذه السورة.

النقطة التي تحظى بأهمية في خصوص ترتيب الحروف، اوسع من الاحتمالات الاحصائية في ما يتعلق بتركيب هذه الحروف بالصدفة، ففي حالة وجود حرفين فان حساب الأعداد الفردية يظهر أن اختيار الاعتباطي للأعداد الفردية يساوي النموذج الصحيح (في حقيقة الامر ١٥٦ نموذج محتمل لتركيب هذه الحروف وما يعادل نصف هذه الحروف (٧٨) لم تكن على خلاف قانون النموذجات) وفي الوقت الذي يكون فيه تركيب هذه الحروف ثلاثي، ستضمحل فرصة اعتباطية هذه الحروف سريعا.يوجد (١٧١٦نموذج محتمل لهذه الحروف، وتقريباً سدس من هذه الحروف يعني (٢٨٦) لم يكن على خلاف قانون اي من النماذج)، في ما يتعلق بهذه الحروف ذات الأسرار يوجد اربع نماذج، ٤ نماذج ذات حرفين، و٤نماذج ذات ثلاثة حروف، و ٤نماذج ذات اربعة حروف، ونموذج واحد بخمسة حروف. في هذا المورد الخاص، التحاليل الاحصائية ترفض بقوة قضية الصدفة في نماذج هذه الحروف . وعلى هذا، ففي حالة عدم تصادفية تركيب هذه الحروف، كذلك يمكن رفض احتمال ان تكون هذه الحروف كلمة أو جملة .على الرغم من أن هكذا بنية تحمل معنى كبيرا ولكن هذه الحروف لم تكن على اساس ابجدية الحروف. وعلى هذا الاساس، ويمكن رد هذه النظرية القائلة بأن هذه الحروف لم تكن الا تقليدا من النماذج الالهية أو الحروف التي

ليس لها معنى .وهذا البحث يؤيد نظرية نولدكه – هيرشفلد .وعلى هذا الترتيب، في حال ان نجعل هذه الحروف على انها فهرس ترتيبي، فافضل نتيجة نحصل عليها هي ان هذه الحروف تشير الى اسماء الافراد، وطبقاً للأدلة هؤلاء كانوا ضمن الاشخاص الذين وضعوا هذه الحروف .

إذن هذه الحروف تشكل نوع من ادوات النص الإنتقادي. (راجع نقد النص القرآني) وعلى اساس السوابق الوثائقية من بداية تاريخ الإسلام، في الوقت الذي امر زيد بن ثابت من قبل عثمان بجمع القرآن، استخدم مختلف المصادر والمراجع. (راجع جمع القرآن وتدوينه) اما فيما يتعلق بطائفة من السور التي يكون لقراءتها أو تفسيرها اكثر من مصدر واحد (أو لعل قراءتها و تفسيرها يكون قد اختير من بين اكثر من مصدر واحد) فإن زيد بن ثابت عن طريق فهرس مخفف لحروف هذه السور ومع الإلتفات الى مدى اهميتها واعتبارها طبقاً لتشخيصه، ارجعها الى مصادر المعلومات. وهو تصنيفه للمصادر لم يقع بتناقض، لذا فكل ما يعرف اليوم بالحروف ذات الأسرار تم ايجادها بهذه الطريقة . وان هرشفلد قد شخص العلاقة بين هذه الحروف والاسماء جيداً، ولا يُعلم هل انه قد اوجد بدقة العلاقة الموازية بين هذه الحروف والشخصيات البارزة في تلك الفترة، ولكن يحتمل ان تكون هذه العلاقة خاطئة . ويحتمل ان تكون جميع هذه الأسماء هي للكتبة الذين ليس لهم أي دور في التقاليد والأدب الماضي .ولكن كشف وجود سلسلة مراتب في هذه الحروف يسوق بنظرية المحققين الى الفهرس الترتيبي للأسماء .اذا كانت هذه الحروف تمثل المصادر التي على اساسها كُتب قرآن عثمان، يمكن القول ان استخدام هذه الحروف عمل لجلب اطمئنان القراء من اعتبار النص الذي يقرأونه .وطبقاً لعقيدة البعض الآخر يحتمل ان هذه الحروف التي استخدمت لوحدها (مثل (ص)، (ق) و (ن)) لها مفهوم خارج عن تركيب الحروف .فحرف الـ (ن) يشير الى مفهوم خاص يتعلق بقصة النبي يونس والحوت، و تعد هذه القصة توضيحا مقنعا لحرف (ن) .

النتيجة :

ان الشروحات الوافية حول مفهوم الحروف المقطعة واسباب وجودها في بداية ٢٩سورة من القرآن لا زالت لحد الأن محط اهتمام، على الرغم من وجود نظريات منطقية كثيرة بخصوص أهمية تركيب الحروف ذات الأسرار (مثل نظرية أن الحروف مخفف لأسم (بسم الله) أو سائر اسماء الإلهية، أو الحروف على انها اختصاراً لمختلف اسماء الاشخاص وتشمل قرآء القرآن)، لكن لم تكن واحدة من هذه النظريات قطعية .الجوانب المتناقضة في وجهات النظرالتي تبين ان وجود هذه الحروف في بداية السور تتنافى مع البنية (عملية التناقص الطولي للسور) والتي يجب ان توضع موضع البحث وإعطاء توضيح قانع في هذا المجال .واخيرا، اتضاح هذه الحقيقة بان هذه الحروف تمثل حروف المصاحف العربية القديمة ، يستلزم دراسات وتحقيقات اكثر في هذا الجانب .

الفصل الثاني

خصائص الحروف المقطعة وآراء علماء الاسلام في دلالاتها

خصائص الحروف المقطعة :

قبل الخوض في آراء المفسرين يجب التعرف على خصائص حروف المقطعة :

١-هذه الحروف من مختصات القرآن الكريم ولم تكن لها سابقة في الكتب السماوية القديمة مثل التوراة والإنجيل.

٢- توجدهذه الحروف في السور المكية والمدنية (٢٧سورة مكية وسورتين مدنية) .

٣- السورالتسع والعشرين التي توجد فيها حروف مقطعة بالترتيب هي:

سور: البقرة، آل عمران، الاعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، ابراهيم، الحجر، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، يس، ص، المؤمن، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الاحقاف، ق، القلم.

٤- هذه الحروف بعضها حرف واحد، مثل: (ص)، (ن) والبعض الآخر حرفين :مثل: (طس)، (يس) والبعض الآخر ثلاث حروف،مثل: (الم) والبعض الآخر اربعة حروف مثل : (المص) والبعض الآخر خمسة حروف،مثل: (كهيعص).

٥- البعض من الحروف المقطعة في تعداد الآيات، تعد آية واحدة من سورة، والبعض آيتين وفي سائر الموارد تعد جزء من اول آية في السورة .

٦- في بيان خصائص الحروف المقطعة يقول بعض المفسرين :بهذه الحروف من بعد حذف المكررات فيها التي هي ١٤حرف يمكن استخراج جمل مثل (صراط علي حق نمسكه) وفي مقابل هذا، قال احد علماء اهل السنة اعتمادا على الذوق والقريحة – في رد الرأي المتقدم الذي ذكرنا يقول:

بهذه الحروف يمكن ان نستخرج عبارات مثل (صح طريقك مع السنة) {روح المعاني،١، ١٧٢ } .وهناك جمل اخرى أُلفت من هذه الحروف و ذكرت في كتب علوم القرآن.٦ { البرهان في علوم القرآن ج١، ١٦٧ } .

آراء علماء الاسلام حول مدلول حروف المقطعة :

منذ عقود سابقة طرحت بين علماء المسلمين مباحث مختلفة حول هذه الحروف، من قبيل:هل ان هذه الحروف هي آيات مستقلة أم لا ؟السر في كتابة هذه الحروف على اساس شكل الكتابة لا على اساس شكل القراءة، والسر في كتابة البعض متصلة وكتابة البعض الآخر منفصلة، والسر في مجيء هذه الحروف في اوائل السور،

...يعتبر موضوع التفسير وحقيقة معنى هذه الحروف من اهم الأبحاث الذي تُرجع بعض الروايات تاريخه الى صدر الاسلام،. يعتقدالمحققون واصحاب التخصص القدامى ان هذه الحروف من جملة الآيات المتشابهة التي يرجع علمها الى الله وليس من الصواب ان يتحدث حولها الشخص برأيه .ومن ابرز الأدلةعلى هذا اقوال البعض من الصحابة والتابعين الذين يعرفون هذه الحروف بالحروف ذات اسرار. من جملة هذه الأقوال الروايات الآتية :

ابوبكر: لكل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور .٧ (الحروف النورانية في فواتح السورالقرآنية،ص٣٧) .

الشعبي: ان لكل كتاب سراً وأن سر القرآن فواتح السور .٨ (نفس المصدر)

وعلى هذا، سر وجود هذه الحروف في القرآن مثل الآيات المتشابهة، اختبار لعباد الله وبلوغهم مقام الخشوع والخضوع، لأن المؤمنين مع انهم جاهلين بسرهذه الآيات، لكن من باب التسليم والخضوع ويؤمنون بها . وقال آخرون ان فهم هذه الحروف سلب من عموم الناس، لكنهم يعتقدون اذا تقرب الانسان بالنوافل يجد الطريق،ويفهم ما توصل اليه اولياء الله عن طريق الاخلاص.

المجموعة الاخرى من المفسرين وهي تعد اكبر مجموعة، يعتقدون ان هذه الحروف مثل باقي الآيات القرآنية قابلة للفهم والدرك والتفسير، وإن كان لايعلم تأويلها الا الله .و دليلهم ان الامر في تدبر القرآن جاء بصورة مطلقة ولم يكن فيه تخصيص او استثناء وحتى اذا كانت من المتشابهات يرجعن الى محكمات القرآن لأن شأنهن شأن المصدر والمرجع فيكونن قابلات للفهم.

وعلى هذا الترتيب فمن هذه المجموعة تبرز فئتين من المحققين، فئة من هؤلاء يعتقدون ان هذه الحروف لا تدل على معنى مستقل، بل علامة واشارة الى معنى آخر، والفئة الثانية يعتقدون ان هذه الحروف بالاستقلال لها مفهوم ومعنى خاص. وعلى

هذا، فمنذ القدم ذكرت اقوال ونظريات كثيرة و مختلفة من تفسير هذه الحروف بين الباحثين بلغت نحو عشرين نوعاً.٩[البرهان في علوم القرآن]. وبعض من هذه الآراء والنظريات كما ما يلي :

١-:كل واحد من هذه الحروف، اسم من اسماء القرآن (١٠) {مجمع البيان،١، ١١٢}، او سوره. (١١) {تفسير المنار ج١، ١٢٢}. وان لم يكن دليل على نفي هذا القول، كذلك لاحجة على اثباته .

٢-البعض الآخر يعتقد، بعد جمع هذه الحروف نحصل على اسم الله الأعظم. (١٢) {تفسير التبيان،١، ٤٧} ولكن يجب العلم ان الإسم الاعظم الذي يتحدث عنه العرفان، ليس من سنخ الألفاظ، بل هو من المقامات .لأن الأشياء التكوينية، لحقيقة أسماء الله والمعاني الحاصلة في الذهن اسماء الأسماء والالفاظ كذلك اسماء الاسماء، الاسماء والآثار المترتبة من ذكر الاسم الأعظم لم تترتب على هذه الالفاظ. في غير هذه الصورة كل واحد يقرأ القرآن الذي فيه اسم الله الأعظم ولو مرة واحدة يجب ان تحصل له بركاته. (١٣) {تفسير تسنيم،٢، ٧٦-٨٣}.

٣- الحروف المقطعة هي قسم من قبل الله(١٤). لكن اولاً لا يوجد دليل نقلي على ذلك ثانياً: مفهوم المقسم به لم يكن واضحاً(١٥).

٤- ان هذه الحروف مع احتساب الجمل تبين فترة عمر اقوام .ولكن، اولاً الرواية الواردة في هذا القول ضعيفة.ثانياً: بتصريح الآيات القرآنية لا يتسنى لأحد ان يعلم نهاية مدة عمر الاشخاص والأمم(١٦).

٥-:القصد من هذه الحروف جلب انتباه المشركين واسكاتهم(١٧). ولكن اذا كان كذلك لماذا في السور المدنية التي لم تتحدث عن ضجيج من المشركين نجد هذه الحروف موجودة كذلك .

٦- نظرية الاعجاز العددي في القرآن(١٨):أن هذه الحروف تظهر كثرة

استعمالها في السورة .ولكن في تحقيق بسيط وعابر يبطل هذه النظرية، كما في سورة يس يظهر استعمال حرف الالف أكثر من (الياء) و (السين)[١٩]. ولو انها ثبتت حتى ولو بصورة موجبة جزئية، لا تثبت أي معنى فيه حكمة أو أمرعقلائي .ان بحث هذا العالم المصري هو تحقيق لفظي صرف، وحسن التعبير وإن كان الحجر الاساس للبلاغة والفصاحة ولكن اللفظ وسيلة لا هدف .اذا كان هذا العالم عثر على اعجاز فهو لم يكن الا اعجاز لفظي وصوري، ولا علاقة له بمعنى ومفهوم وتفسيرذلك .

و قد قام بعمله على أساس الكومبيوتر واستخدام الحاسبة بحث واستطاع ان يكتشف العلاقة الرياضية بين السور التي جاءت على رأسها الحروف المقطعة وعرف عدد ١٩على انه القاسم المشترك بين هذه الحروف .

رشاد الخليفة في الجداول الخاصة به وضح وفي ٢٨سورة التي توجد فيها الحروف المقطعة من دون استثناء عدد الحروف التي تم ذكرها هي مضاعف العدد ١٩[٢٠].

هكذا كشف يدهش الكثير وكذلك يزداد ايمان الكثير من المسلمين بعدم بشرية القرآن .ولكن في ايران بسبب السابقة الذهنية للناس من ادعاء الفرقة البهائية في ما يتعلق باعداد ٩و١٩،منذ الأول لاقى مخالفة ونفي وانكار وكتبت مقالات عديدة في رده .التحقيقات التي اجراها رشاد تظهر هناك نظم حقيقي بين هذه الحروف والسور .ولكن ان ما هو المفهوم والمعنى الذي يدل عليه وما هو البيان الذي يراد القاؤه فلم يتحدث عنه[٢١].

٧- كل واحد من هذه الحروف هو رمز لمعنى خاص، مثل ان قالوا، (الم) يعني انا الله أعلم[٢٢]، ولم يكن هناك دليل معتبر على اثبات ذلك .

٨-الاحتمال الآخر هو وجود علاقة مباشرة مع نظرية البنية الهندسية للسورة، هي نظرية تتطرق الى وجود العلاقة بين الحروف المقطعة وبين المواضيع التي تم

طرحها في السور ذات الصلة .وعلى هذا الاساس فهذه النظرية تتضمن السور التي تبدأ بالحروف المقطعة واحدة شبيهة للأخرى وفي السور التي تكون الحروف المقطعة من نوع واحد لها شباهة اكثر والأغراض متقاربة للاخرى. العلامة الطباطبايي هواحد المفسرين الذين طرح هذه النظرية حيث يقول :

(إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات و الراءات و الطواسين و الحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين و تناسب السياقات ما ليس بينها و بين غيرها من السور.

و يؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله: "تنزيل الكتاب من الله" أو ما هو في معناه، و ما في مفتتح الراءات من قوله: "تلك آيات الكتاب" أو ما هو في معناه، و نظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين، و ما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه.

ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذا الحروف المقطعة و بين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطا خاصا، و يؤيد ذلك ما نجد أن سورة الأعراف المصدرة بالمص في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و ص، و كذا سورة الرعد المصدرة بالمر في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و الراءات.

و يستفاد من ذلك أن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه و بين رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) خفية عنا لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها و بين المضامين المودعة في السور ارتباطا خاصا.

و لعل المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف و قايس مضامين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبين له الأمر أزيد من ذلك.

و لعل هذا معنى ما روته أهل السنة عن علي (عليه السلام) على ما في المجمع،: أن لكل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي) [٢٣].

ان مسئلة بأن الحروف المقطعة (صفوة وخلاصة) واشتراك مضامين السور التي تشتمل على هذه الحروف كانت محور دراسة تحقيق أحد الباحثين المعاصرين في علوم القرآن. وهو يؤكد على الدور رمزية هذه الحروف والتي تعد خلاصة لمضامين السورة،توصل الى ان السور التي تبدأ بحروف مقطعة لها اربعة خصائص اساسية :

* الغالب في اول الآية من هذه السور تشير الى نزول كتاب القرآن والوحي وتلاوة الآيات .

* مقدمة السورة تظهر اهداف اغلب الناس وعدم تصديقهم وتكذيبهم.

* مخاطب السورة يكون شخص النبي صلى الله عليه وآله وغالبا مانشاهد ضمير (ك) يكون في بداية السورة .

* في اغلب السورالتسع والعشرين التي توجد فيها الحروف المقطعة ذكر فيها برسالة واحد أو بعدة من الرسل، فحينما يشاهد النبي إعراض وتكذيب الناس والصبر وثبات هؤلاء الرسل يعرف سر النصر المحتم لهؤلاء الانبياء واتباعهم ويقف صابراً وقوي في مقابل المشاكل العظمى التي تواجهه كما سلفه من الانبياء .

وعلى هذا فكل حرف من هذه الحروف عادة تشير الى احداث رسالة أحد الأنبياء أو تجربة أو عبرة من التاريخ وما جرى على الاقوام الماضية[٢٤].

٩- النظرية الأخرى ان هذه الحروف وعلى اساس حساب الابجد تشير الى مدة بقاء أقوام و شعوب واجلهم والنعم والبلاء.

يقول العلامة الطبرسي : يروى أن اليهود لما سمعوا « الم » قالوا مدة ملك محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) قصيرة إنما تبلغ إحدى و سبعين سنة فلما نزلت الر المر و المص و كهيعص اتسع عليهم الأمر[٢٥]. ولكن يجب القول ان الروايات التي تؤيد هذا القول، لا يُعلم مدى اعتبارها، والمفسرون امثال الطبري في جامع البيان قام بدراسة بعض الاحاديث ويعتبرها ضعيفة وفاقدة للإعتبار [٢٦].

١٠- واما الرأي الآخر الذي يقع في مقابل الآراء السابقة، وهو ان الحروف المقطعة فيها رموز وسر بين الله سبحانه وتعالى و حبيبه النبي محمد (ص) ولا يتسنى لآخرين أن يتوصلوا اليها ولا يمكنهم فهما. وهورأي آية الله معرفت[٢٧].

الفصل الثالث

دراسة ونقد بعض نظريات وآراء المستشرقين

في هذا الجزء نتطرق الى نقاط القوة والضعف في مقالة المؤلف ومن ثم نقوم بنقد ودراسة نظريات المستشرقين .

الف) نقاط القوة:

كاتب المقالة علاوة على بلاغة قلمه، فقد استند الى مصادر عربية اصلية وهي اللغة المتخصص بها، وقد راعى االمراحل المنطقية للكتابة لحد ما في تبيين المسئلة، وذكر النبذة التاريخيه والسابقة.

ب) نقاط الضعف :اعتمد المؤلف لتبيين نظرية المسلمين على مصدر واحد من مصادر اهل السنة وهو (الاتقان) ولم يرجع الى آراء ومصادر الشيعة. والضعف الآخر الموجود عند كاتب المقالة انه كثيراً ما استند في بحثه الى المؤلفين الغربيين و اقتصر على ذكر آراء المستشرقين فقط.

ج) نقد ودراسة بعض آراء المستشرقين:

١-"ثيودور نولدكه "في كتاب (تاريخ القرآن) ارتكب خطأ كبير وهو انه اعتقد ان (الحروف المقطعة) في بداية بعض السور تشير الى اسماء الصحابة !

بهذه الحالة بتصور نولدكه ان كل واحد من اصحاب النبي ﷺ كتب

مصحفاً لنفسه وتم ذكر اسماءهم بصورة رمز في بداية السور القرآنية حتى تتميز مصاحفهم عن المصاحف الاخرى، ولكن مدوني القرآن عن طريق الغفلة ادخلوا هذه الرموز في نص الكتاب. وإن كان من بعد ظهور نظرية (لوث) قد تراجع عن هذه النظرية، ولكن تلامذته مثل (بوهل)، (شوالي) و (هرشفلد) اصروا على هذه النظرية ويعتقدون ان هذه النظرية قادرة على ان تثبت عدم وحيانية القرآن[٢٨]. في سنة ١٩٠١ هرشفلد اختار فرضية نولد كه في ابحاثه الجديدة[٢٩] (ص١٤١-١٤٣) ودافع عنها.

بناء على هذا فهو يعد جميع الحروف المذكورة، حروف بداية الكتابة، أو رمز لصاحب المصحف. مثلاًحرف (الراء) يشير الى الزبير وحرف (الميم) يشير إلى المغيرة وحرف (الحاء) يشير الى حذيفة . كما ان قبل انتشار كتاب هرشفلد، تراجع ثيودور نولدكه عن نظريته .

ودليل هرشفلد انه اذا كان مصدر هذه الحروف هوالنبي محمد ﷺ فلابد ان يكون له سهم في ترتيب السور، وكل ما توصلنا اليه من جمع القرآن يتعارض مع هذه النظرية[٣٠].

ولكن هذه الفرضية لم ترض المسلمين و لم تقنع المستشرقين .

لدرجة ان (لاث) ومن ثم (بوير) قالوا لايعقل مطلقاً أن كتّاب المصاحف يعرفون جيداً بأن الحروف المقطعة هي الحرف الاول لأسماء بعض معاصريهم، ويضعونها في نسخ مصاحفهم[٣١].

(بلاشير)، (لاث) في انتقاد صريح قللوا من اهمية نظرية نولد كه، وقالوا من البعيد ان يقوم مثل هؤلاء الصحابة الذين عرفوا بالورع والزهد بمراتبه العالية بوضع ما ليس من القرآن ويجعلوه في القرآن.وهذا العمل لا يصدر الا من ضعيفي الايمان[٣٢].

الاشكال الاخر الذي يرد على هذه النظرية انه لحذف (ل)، (ي) و (الالف) لم تذكر اصحاب المصاحف .

الاشكال الآخر الذي يرد على نولدكه، انه من اين جاء بهذه الاسماء (المغيرة)، (قاسم بن ربيعة) و (سعد بن ابي وقاص) في حين انها لم تذكر في الإتقان للسيوطي الذي يعد من احد مصادره[٣٣]!

كذلك لابد ان نسأل نولدكه في الوقت الذي امر عثمان زيد بن ثابت ومعاونيه بكتابة عدد من نسخ القرآن ويرسلوها الى المدن الاسلامية كيف لم يعرف احد ان هذه العلائم العجيبة ليست من السور القرآنية ؟اليس اصحاب المصاحف معاصرين لتلك الفترة واذا ارتكبوا هكذ خطأ الم ينبهوا على ذلك، وفي الوقت نفسه لم يكن عند البروفسور نولدكه دليل على اثبات هذا الظن الباطل والنظرية الخاطئة، ولم يكن هناك من الروايات ما يؤيد هذا المعنى ولو رواية واحدة[٣٤].

٢-بلاشير من بعد بيان ودراسة النظريات المختلفة لعلماء الاسلام والمستشرقين، يعتقد انه لم يكن بالوسع اعطاء معنى واضح وتام لهذه الحروف .وهذا كله لعب بالمعاني[٣٥].

هذه النظرية تشابه آرآء الباحثين المسلمين الذين يقولون ان الحروف المقطعة هي من متشابهات القرآن، وليس من المتيسر فهم الآيات المتشابهة .

القضية المهمة التي طرحت من قبل المفسرين .هي كيفية فهم الآيات المتشابهة .انهم يعتقدون بانه ليس فقط الحروف المقطعة بل جميع المتشابهات هن في حدود فهم الانسان، وطريقة فهمها الرجوع الى محكمات القرآن، وبناء على ذلك حتى اذا لم يستطيعوا ان يجدوا مفهوم قطعي ويقيني للحروف المقطعة، يمكن ترجيح بعض الاحتمالات على النظريات الأخرى، كما توصل المرحوم العلامة الطباطبائي الى هذه النظرية في هذا المجال[٣٦].

٣-نظرية المستشرقين في ما يتعلق بالحروف المقطعة التي تم الادلاء بها من قبل (موريس سيل)، (لوث) و (بوير) المشابهة لإحدى نظريات المحققين المسلمين. فهم يعتقدون ان كل واحدة من هذه الحروف فيها اشارة خاصة لما تحتويه السور .

يعتقد (لوث) بأن هذه الحروف المقطعة نزلت فقط في اواخر الفترة المكية واوائل الفترة المدنية وفي نفس الوقت الذي كان النبي يعيش بقرب اليهود.وهو يعتقد ان هذه الحروف علامة لما تحتويه السور قبل نزولها.حرف (طس) يشير الى طور وسيناء، لأن في هذه السور تحدث عن قصة النبي موسى (ع) [٣٨]. من بعد تحقيق (لوث)، طرح (هانس بوير) [٣٩] نظرية تشبه نظريته. وهو يعتقد ان هذه الحروف تشير الى بعض الالفاظ والمعاني الموجودة في السور، كما ان (يس) تشير الى الفعل (يسعى) في الآية ٢٠ من سورة يس و (ص) تشير الى (الصافنات) في آية ٢٣من سورة (ق)[٤٠].

كل مايمكن ذكره في نقد هذه النظرية هو:

١-لا يمكن فهم العلاقة بين الحروف المقطعة والمجاورة لليهود .فاذا كان المقصود من هذا الكلام التأثر باليهود لابد من الاشارة الى ان مثل هذه الحروف فقط تختص بالقرآن ولا يوجد مشابهة لها لا في العهد القديم ولا في الجديد.

٢-قسم من هذه النظرية الذي يتعلق بما تحتويه السور يمكن قبوله إلى حد ما، ولكن ليس له عمومية ولايصدق على جميع الموارد.

٤- (كوسنس) كذلك قدم نظرية مشابهة لإحدى نظريات المسلمين، فهو يعتقد ان هذه الحروف اشارة الى الأسماء المهجورة للسور. كما ان (ق) تعني سورة القرآن و (نون) يعني نون أو ذو النون .وهو يسمي السور التي فيها (الر) الرسل والسور التي فيها (الم) المثل وهو كذلك يقول بعض اسماء السور في طول التاريخ فقدت حروفها و بقى البعض منها فقط فعلى سبيل المثال: هو يعتقد ان (يس) الحرفين

الباقين من (الياس) أو (الياسين) و (ص) الحرف الباقي من (الصافات).

احد الفوارق الموجودة بين نظرية كوسنس مع المسلمين، في ان المسلمين نظرياتهم تبتني على الروايات وأقوال الماضين، ولكن هو فقط يعطي فرضياته وتخميناته .كما ان مجمع البيان ينسب هذا القول الى حسن البصري وزيد ابن اسلم(٤٢) وفخر الرازي وينسب هذه الفرضية الى الكثير من المتكلمين القدامى(٤٣)، والفرق الآخر الموجود عندهم يكمن في نتائج هذه النظرية .فعلماء المسلمين قبلوا بأن هذه الحروف اسماء للسور وعدد محدود من هذه الاسماء جاءت عن طريق الروايات ونسبوها الى النبي محمد (ص)، ولكن كوسنس يعتقد ان هذه الحروف جزء من اسماء السور.

وفي نقد هذه النظرية نقول:

ان اسماء السور جاءت بما يتناسب مع المواضيع والمفاهيم الرائجة فيها، ومع هذا التوضيح فما هو الدليل على تسمية سورة يس بالياس في حين انه لاتوجد اشارة الى النبي الياس في هذه السورة .

الاشكال الآخر الذي يرد على هذه النظرية لم يتحدث حول جميع الحروف المقطعة بالاشارة الى اسماء خاصة والعدد من السور المتشابهة بعضها البعض مثل السور التي فيها (الم)، (حم) و (طس) اذا جميع هذه الحروف لها اسم اشارة واحد تشخيص السور من بعضها البعض يكون صعباً وكذلك اذا كل واحد من هذه الحروف تشير الى اسم يختلف عن الآخر، ولم يكن هناك دليل على هذا الاختلاف.

٥-اخيراً جيمس اي، بيلامي(٤٤) في سنة ١٩٧٣م.نشرمقالة تحت عنوان (الحروف ذات الأسرار القرآنية علامات اختصار للبسملة)(٤٥) ولديه رأي حول علائم الاختصار وبزعمه سعى ان لا يكون رأيه كالآخرين من دون دليل و اجتهاد شخصي. بيلامي يعرف آراء المفسرين كلاسيكية تبتني على ان الر، الم، المر، حم ونون

مظهر (الرحمن) أو (الرحيم) أو كلاهما (انظر: الطبري و الطبرسي،) يجعله ثمن لعمله ويعرف هذه الحروف معادلة لهذه المصطلحات في (البسملة) وكذلك يعتبر الحروف المقطعة الأخرى اختصارا لهذه الجملة .وفي استدلاله على فرضيته قدم عدة اصطلاحات .وحسب ما طرحه فهذه الحروف تكون :ط و ك< ب،ص و ق < م، و ع< يس، أو س .وعلى هذا فكما يعتقد بتغيير حرف واحد من تركيب طسم، طس، طه، يس، المص، ص وق تتبدل الى بسم، بس، الى، بس، الم، م، و م، ويمكن ان تكون علامة اختصار مناسبة للبسملة .

واما الاشكالات الواردة على هذه النظرية فهي عبارة عن :

*في هذه القاعدة لم يدرج حرفين من الحروف المقطعة (حمعسق) و (كهيعص).

*هذه النظرية في الخطوة الأولى لابد ان تثبت دخول العناصر الغير الهية في القرآن وبعدها تدعي ان النبي أو الصحابة وضعوا هذه الحروف لتخفيف البسملة.

*ماعدا الظن والوهم لم يأتوا بدليل على اثبات هذا المدعى ويبقى هذا السؤال على أي دليل و مصدر استندوا ووقفوا على هذه الأسرار.

*لم يكن واضحاً هل أن اصحاب المصاحف القدامى بالتنسيق مع بعضهم البعض وضعوا هذه الرموز، أم ان كل واحد منهم على حد وضع له رمز من هذه الحروف، اذا كان بالاجماع كذلك لم يتضح بعد لماذا تم الاجماع فقط على ٢٩سورة من القرآن و تركت باقي السور من دون رموز وكما فعل بعض الصحابة، وكيف ينتقل رمزا واحدا من كل سورة الى الاجيال القادمة .

*اذا كان الصحابة أو النبي (ص) ارادوا ان يخففوا البسملة لماذا في بداية ٢٩ السورة وضعوا البسملة .

*أي دليل على تغيير بعض الحروف على البعض الآخر لظهور بعض حروف

البسملة، في حين يمكن العمل بشكل آخر ونأتي بكلمة مخففة ومختلفة .

الشيء الآخر ما هي الضرورة لتخفيف البسملة وعلى الفرض هناك ضرورة لماذا لم يوضع مخفف واحد للبسملة .

الكلام الأخير يجب ان لا نجعل هذه الفرضية مشابهة للنظرية التي سبقتها، ويعتقد كل واحد من هذه الحروف يشير الى معنى ممتزجا، على سبيل المثال على حسب تلك النظرية (الر) تشير الى الرحمن أو الرحيم أو انا الله اعلم وارى، و لا يقال ابداً ان المسلمين لإظهار المعنى اضافوا هذه الحروف الى أوائل السور، ولكن اعتبر بيلامي في نظريته اضافة هذه الحروف من قبل المسلمين هو امر قطعي.

يقول بلاشير في كتابه في رحاب القرآن، ان اسبرنكر لكونه لم يجد معادل واضح للحروف المقطعة (طسم) طرح هذه القضية، وهي لابد من عكس الحروف حتى نحصل على حروف بالقوة (اساسية) (لا يمسه الا المطهرون) (الواقعة،٧٩) .

يذكر بلاشير في كتابه ان (لوث) المستشرق المشهور، بالرغم من امتلاكه العزم والاحتياط اتبع اسبرنكر في دراساته .

وان بلاشير لم يقتنع بمختلف الفرضيات التي طرحها علماء الغرب فيقول :من الأفضل ان نرجع الى فرضيات المسلمين(٤٧).

٦-رشاد خليفة و مصري الأصل متخصص في الكيمياءالحيوي واستاذ الحاسوب في جامعات امريكا في سنة ١٩٧٤م، ادعى انه كشف علاقة الرياضيات في عدد السور،الآيات، الكلمات، الاعداد وحروف القرآن ولها علاقة مع رقم ١٩الذي تم ذكره في سورة ٧٤ الآية ٣٠. وهو يعد هذا العدد مضاعف للقرآن، وادعى في كتابه انه لايمكن كتابة القرآن من قبل البشر مع وجود هذه العلاقة المعقدة للرياضيات.في فرضيته بسم الله الرحمن الرحيم ١٩حرف وكلمة الاسم ١٩مرة جاءة في القرآن وكلمة الجلاله الله ٢٦٩٨مرة وهو مضاعف من ١٩.

يعني (١٤٢ضرب١٩) والرحمن ٥٧مرة (١٩ضرب٣) والرحيم ١١٤مرة (٩مضاعف١٦) استخدمت في القرآن .

ولكن لابد من القول نظريته من عدة جوانب تسببت بضجة، اولاً ان عدد ١٩في القرآن رقم حراس جهنم (عليها تسعة عشر) والآخر ان عدد ١٩عدد مقدس يشير الى اصحاب الباب أو البهائية، يعني الحروف الحية أو الأصحاب المقربين من الباب، ولذلك المسلمين اشمأزوا من هذه النظرية، و من بعد ادعاءه النبوة حدثت هناك اضطرابات ادت في نهاية الأمر الى اغتياله.

الاشكال الآخر الذي يرد على هذه النظرية هو انه يلاحظ فيها الى حد ما عمليات حسابية .من بين ذلك ما ذكره احد كبار باحثي القرآن الإيرانيين، الأستاذ د.محمود روحاني صاحب المعجم الاحصائي لالفاظ القرآن الكريم (ثلاث مجلدات، طباعة مشهد، طباعة ونشر معهد الحضرة المقدسة للإمام الرضا (ع) حيث اجرى دراسة جديد ودقيقة حول احصاء كلمة الجلالة (الله) في القرآن وعنده اطلاع على نظرية د. رشاد، وبجزم ان جميع احصاءات هذه الكلمة تشير الى وجود اختلاف مع احصاء رشاد خليفة ويختلف مع المعجم المفهرس المعروف لفؤاد عبد الباقي .٤٨

وخادم القرآن الاخ محمد سهيلي بور، على رأس فريق وهذا الفريق يعمل على البحث التخصصي والتعليق في مجال القرآن وتم بحث ودراسة آخر كتاب من النسخة النهائية لنظرية رشاد خليفة، فمن جهة الإحصاء الابتدائي ونوع التعليق توصل الى النتائج التالية :

مع الأسف على الرغم مما كنا ننتظر ان نتقدم في اثبات النظرية، ومع استخدام هذه النظرية في جميع انواع الكتابة من القرآن توصلنا الى هذه النتيجة، لم تكن تحاليل رشاد خليفة غير صحيحة فحسب، بل الاحصاء الابتدائي الذي تقدم به، كان خطأ ونظريته كذلك من جهة الاحصاء و من جهة نوع التعليق تواجه عدة اشكالات.٤٩

النتيجة :

على الرغم من أن آراء المستشرقين تضمنت نقاط مهمة ، ولكن اغلب فرضياتهم فيها ضعيف، وغير علمية، و لم تكن مقنعة حتى لبعض من المستشرقين. من بين هؤلاء المستشرقين بلاشيرالذي اختار افضل نظرية، وكما اشرنا اليه من قبل يعتقد أن: (كل هذا التلاعب بالمعاني والافضل الرجوع الى نظريات المسلمين).

وعلى هذا يمكن ان تكون الحروف تحمل اسرارا، وهذه الاسرار بقيت مكتومة بين الله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ واذا كان من المقرر ان يطلع عليها جميع الناس، فمنذ البداية لم توضع على شكل رموز .

*** هوامش البحث ***

القرآن الكريم.

١- الآلوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم،القاهرة.

٢- ابوخليل شوقى، غوستاولوبون فى الميزان، دارالفكر، بيروت ١٩٩٠ .

٣- اسكندرلو،محمد جواد،القرآن من وجهة نظر المستشرقين، دروس جامعة الدراسات الاسلامية قم.١٣٨٨ ه ش.

٤- بارت رودى، الدراسات العربية و الاسلامية فى الجامعات الآلمانية، تعريب دكتر مصطفى ماهر، دار الكتاب العربى، قاهره، ١٩٦٧ .

٥- البازركان،عبد العلي، نظم القرآن، طهران، منشورات القلم،الطبعة الثانية، ١٣٧١ش.

٦- بستانى، كرم، المنجد فى اللغة و الأعلام، المطبعة لكاتوليكية، ١٩٧٣ .

٧- بعلبكى، منير، المورد، قاموس الانجليزى، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤ .

٨- جوادي آملي،عبد الله، التسنيم،قم،مركز نشر اسراء، الطبعة الثانية، ١٣٧٩ ش.
٩- حجتي،سيد محمد باقر،بحوث في تاريخ القرآن الكريم، طهران،مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٠ ش.
١٠- الحسيني الطباطبايي، مصطفى، استعراض عمل المستشرقين،منشورات الطباعة والنشر،الطبعة الاولى ١٣٧٥ ه ش.
١١- حمد شرارة، عبد الجبار،الحروف المقطعة في القرآن الكريم، قم،مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٤ق.
١٢- حسين ممدوح، الحروب الصلبية فى شمال افريقية، دار عمان، اردن ١٩٩٨.
١٣- التوحيد،فرج الله، ثقافة المعارف،طهران،نشر الثقافة العصرية، الطبعة الاولى،١٣٨٤ ه ش.
١٤- خرمشاهي، بهاء الدين،ثقافة الاصطلاحات للعلوم والحضارة الاسلامية، منشورات العتبة المقدسة الرضوية.
١٥- دسوقى محمد، الفكر الاستشراقى، تاريخه و تقويمه، دارالوفاء، موسسة التوحيد، بيروت، ١٤١٦.
١٦- رجي بلاشير،في رحاب القرآن، ترجمة محمود راميار،طهران،مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٥ ه ش.
١٧- رشاد الخليفة،اعجاز القرآن، التحليل الإحصائي للحروف المقطعة في القرآن، ترجمة وضمائم:سيد محمد تقي آيت اللهي، جامعة شيراز،الطبعة الاولى،١٣٦٥ ه ش.
١٨- رضوان، عمربن ابراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره، دار طيبة، رياض، ١٤١٣.
١٩- زقزوق، محمود، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضارى، كتاب الامة، قطر، مكتبة الرسالة، بيروت ١٤٠٥.
٢٠- ساسى سالم، الظاهرة الاستشراقية و اثرها على الدراسات الاسلاميّة، مركز دراسات العالم الاسلامى، ليبى، ١٩٩١.
٢١- ساسى سالم، نقد الخطاب الاستشراقى، دارالمدار الاسلامية، طرابلس، دارالفكر، بيروت و دمشق، ٢٠٠٢.
٢٢- سباعى، مصطفى، الاستشراق و المستشرقون، ما لهم و عليهم، المكتب الاسلامى، بيروت ١٤٠٥.
٢٣- سعيد ادوارد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء، تعريب كمال ابو اديب، دارالكتاب

الاسلامی، قم، ١٤١٣.
٢٤- السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن،قم،منشورات الرضی،واعي،١٣٦٣ ه ش.
٢٥- الصغير، محمدحسين على، المستشرقون و البحوث القرآنية، ترجمة محمدصادق شريعت، موسسة مطلع الفجر، تهران، ١٣٧٢.
٢٦- الطباطبائي،سيد محمد حسين،الميزان في تفسر القرآن،بيورت،منشورات الاعلمي للمطبوعات،١٣٩٣ ه ق.
٢٧- الطباطبائي،سيد كاظم، حروف المقطعة من وجهة نظر باحثي القرآن الغربيين، جريدة الدراسات الاسلامية جامعة فردوسي،العدد٦٠.
٢٨- الطبرسي،امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن،مجمع البيان في تفسير القرآن.
٢٩- الطبريمحمد بن جرير،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية،بيوت،١٤١٢ ه ق.
٣٠- الطوسي،ابوجعفرمحمدبن الحسن،التبيان في تفسير القرآن، داراحياء التراث العربي،بيروت.
٣١- غزالی، محمد، دفاع عن العقيدة و الشريعة، ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر للطباعة، قاهره، ١٩٩٩.
٣٢- الفخر الرازي،محمد بن عمر الخطيب، التفسير الكبير.
٣٣- فواد، عبد المنعم، من افترائات المستشرقين على الاصول العقدية فی الاسلام، مكتبة العبيطان، رياض، ٢٠٠١م.
٣٤- فوک يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية و الاسلامية فی اروبا حتى بداية قرن العشرين، تعريب عمر لطفی العالم، دار قتيبة، دمشق، ١٤١٧.
٣٥- قطب، محمد، المستشرقون و الاسلام، مكتبة وهبة، قاهره، ١٩٩٩.
٣٦- لابوم ژول، تفصيل آيات القرآن الكريم، تعريب محمد فواد عبد الباقی، كتابفروشی اسلامية، تهران ١٣٣٥.
٣٧- محمد رشيد رضا،تفسير المنار.
٣٨- محمد منصور، عبد القادر، الحروف النورانية في فواتح السور القرآنية، دار الفرقان،دمشق،١٤١٧ ه ق.
٣٩- فصلين من القرآن والمستشرقين،مركز تحقيقات القرآن الكريم المهدي، ١٣٨٥ ه ش.
٤٠- نملة، على بن ابراهيم الحمد، الاستشراق و الدراسات الاسلامية، مكتبة التوبة، رياض ١٤١٨.

٤١- نملة، على بن ابراهيم الحمد، المستشرقون و التنصير، مكتبة التوبة، رياض ١٤١٨.
42--٢٣ the encyclopaedia of islam. New edition leiden 1954.
43-www. Peiknet.net
٤٤- www.idna.ir- (قناة الاخبار القرآنية في ايران).

❊❊❊

أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الاسلامي

■ أ.د. طالب جاسم العنزي
■ الباحثة ساجدة الحساني(*)

توطئة:

ان معالجتنا لتحليل ابعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية، في حقل الدراسات التاريخية، غايته الاساسية – في هذا البحث – هو الوصول لتحديد المباني الفكرية والاسس المنهجية التي قامت عليها هذه الرؤية وتشكلت ابعادها من جهة، ومعرفة اثارها وانعكاساتها في طبيعة النتائج البحثية التي انتهى اليها المستشرقون في معالجتهم لقضايا وإشكاليات التاريخ الاسلامي من جهة اخرى، اي اننا نذهب في هذا البحث الى التأكيد على ان طبيعة المعرفة والكتابة التاريخية عند المستشرقين بقيت في معظم مراحلها غير منفصلة بأبعادها، عن المرتكزات والمحددات النظرية التي رافقت عملية تشكيل رؤيتهم لقضايا التاريخ الاسلامي وأبعاده.

وفي ضوء هذه المعطيات –التي اشرنا اليها– ستكون زاوية نظرنا في تحديد ابعاد

(*) جامعة الكوفة – كلية الآداب.

الرؤية الاستشراقية، تستند الى التوقف عند محورين اساسيين شكلا بتداخلهما البنية المهيمنة لخطاب الاستشراق بشكل عام، ولاسيما في مراحله وبداياته الكلاسيكية الاولى في فترة القرن التاسع عشر، والتي اثرت بالنتيجة في صياغة الرؤية الاستشراقية، التي تمظهرت ابعادها لاحقاً، ليس في نتاج المستشرقين واسهاماتهم في حقل دراسة التاريخ الاسلامي في هذه الفترة، بل بقيت ابعادها ومحدداتها ثاويه في كثير من الكتابات الاستشراقية خصوصاً في بدايات القرن العشرين .

وهذان المحوران اللذان شكلا الاساس الموضوعي، الذي تأسست عن طريقه الرؤية الاستشراقية في دراسة التاريخ والتراث الاسلامي ... سنحاول فيما سيأتي التعرف على ابعادهما وخصائصهما المنهجية العامة، وكيف اسهما في صياغة تلك الرؤية الاستشراقية وتشكيل مضمونها .

لكننا بداية سنقوم بتوضيح دلالات المفاهيم ـ التي سترد في هذا البحث ـ والتي هي في المجمل العام تعتبر ادوات اجرائية كاشفة، ليس لتحديد طبيعة تلك الرؤية الاستشراقية واسسها ومنطلقاتها النظرية وغاياتها فقط، بل لان ما نتوصل اليه من معطيات ومضامين من خلال تلك المفاهيم، سوف تنعكس اثاره على زاوية تناولنا للموضوع المدروس، وهو محاولة الكشف عن اهم ابعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية، والتي تجلت اثارها في طبيعة الاحكام والنتائج التي توصل اليها المستشرقون في مجال دراستهم للتراث والتاريخ الاسلامي ... وعلى هذا الاساس سنقوم ابتداءً بالتعريف بأهم تلك المفاهيم التي سيرد استخدامها وتوظيفها في هذا البحث.

أولاً: الاستشراق، الرؤية، المركزية "حدود المفهوم ودلالته ونزيحاته":

تعني كلمة مستشرِق بالاصطلاح اللغوي، والتي هي بالأساس اسم فاعل متأتية من الجذر "شرق" أولئك الذين يدرسون الشرق أو المشرق ويتطلعون إليه، أو

الذين يميلون إلى الشرقيين/ المشرقيين، فكلمتا "مشرق" و "مشرقيون" تنحيان لأن تكون لهما دلالة معنوية أكثر نوعاً من كلمتي "الشرق" و "الشرقيين"، ومن ثَمَّ فإن كلمة "مستشرقون" تحمل معنى أوسع مما يحمله المصطلح الغربي الحالي "أورينتاليستس" أي: العلماء المتخصصون بالدراسات الشرقية، أما من ناحية المصطلح فقد استعمل مصطلح "المشرق" بالأنكليزية لأول مرة ١٧٧٩م، وبالفرنسية في سنة ١٧٩٩م، وفيما بعد أصبح مصطلح "الاستشراق" "أورينتالزم" المعنى الأوسع لـ"التوجه نحو الثقافة الشرقية"[١].

أما بالنسبة للدلالات التي يحملها الاستشراق بوصفه مجالاً لدراسة المشرق من ناحية الأبعاد المكانية التي يغطيها، فحتى نهاية القرن التاسع عشر، كان مصطلح "المشرق" يمثل الشرق الأدنى تحديداً، ولكنه كان يشمل ما تبقى من الدولة العثمانية، وبطريقة التعبير الفرنسية شمال أفريقيا أيضاً، وكان الشرق "القديم" يمثل الشرق الأدنى حتى انتشار المسيحية في المنطقة، التي دخلت عصر الشرق "المسيحي" ثم عصر الشرق "المسلم" إذ اعتنقت المنطقة الإسلام، وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، توسع نطاق مفهوم "المشرق" ليشمل آسيا كلها، محتفظاً بمعنى الثقافات المجهولة -إلى حد بعيد-، التي تتحدى الرجل الغربي لاستكشافها، وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، كان الاستشراق يدل بمعناه الأوسع، على اتجاه ثقافي محدد في أوربا وأمريكا الشمالية وبمعناه الضيق كان يعني دراسات شرقية تجريبية[٢].

ويذهب المستشرق الإيطالي فرانشيسكو كبرييلي[٣] إلى أن مصطلح الاستشراق لم يعد مناسباً إطلاقه وصفاً لدراسة الشرق، ذلك لأن الاستشراق برأيه قد شهد فضلاً عن التطور الداخلي المرتبط بتطور الفكر التاريخي والفلسفي والديني للغرب- تطوراً خارجياً ناتجاً عن نموه الخاص بالذات، إذ شهد تنوعاً اختلافياً وتعميقاً لخطه الذي انتهجه، وقد عُدَّ في البداية عِلْماً واحداً متكاملاً ثم سرعان ما انقسم إلى فروع

وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض، ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقي_الآسيوي، وهكذا شهدنا ظهور الاستشراق الصيني والهندي والدراسات الإيرانية والتركية والعالم السامي والإسلاميات والدراسات المصرية القديمة ودراسات أفريقيا وبقية التجمعات المناسبة أو المتعلقة بتقسيمات محددة تماماً من النواحي اللغوية والتاريخية والعرقية للحضارات، كل هذه التخصصات راحت تحل محل التسمية العامة والمشتركة للاستشراق، وأصبحت هذه التسمية القاسم المشترك بينها، أو اللحمة المشتركة لها(٤).

أما بالنسبة لاستخدامنا لمفهوم الرؤية الاستشراقية، فنعني به تحديداً مجموع الاسهامات والنتاج الفكري والتاريخي المنهج والمدروس من قبل مستشرقين في حقل دراستهم للتاريخ والتراث الإسلامي بشكل عام، والذي يعكس في نتائجه وغاياته طبيعة معرفتهم وزاوية نظرهم لهذا التاريخ، ما يعني أَن الرؤية الاستشراقية هنا لا تنفصل عن مناهج المستشرقين المستخدمة في دراستهم للتاريخ الإسلامي، لأن كل منهج يصدر عن رؤية ولابد -إما صراحة أو ضمناً- من الوعي بأبعاد الرؤية، فهو شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً مثمراً، فالرؤية تؤطر المنهج، وتحدد له أفقه وأبعاده، والمنهج يغني الرؤية ويصححها(٥).

أما المركزية الغربية فهي نسق يحيل إلى مجموعة الأفكار والتصورات أو القناعات التي أصبحت بمثابة ثوابت أسهمت في تشكيل العقل الغربي وتحديد نظرته تجاه الآخر، وهي من حيث أسسها ومنطلقاتها تعتمد على مجموعة من المبادئ أو الأصول التي تم الاتفاق عليها في المجال التاريخي لهذا العقل، ولاسيما في فترة القرن التاسع عشر – وهي الفترة التي تبلورت فيها توجهات الاستشراق بشكل منظم ومدروس- منها ما يتعلق بالإعلاء من قيمة العقل الغربي، والتأكيد على أن النزعة العقلية في التفكير هي من حيث الولادة والتأسيس تعود في أصولها التاريخية إلى بدايات تشكل الحضارة الغربية نفسها، ولاسيما في المرحلة الإِغريقية، وكذلك تستقي

المركزية الغربية أبعادها من أصل آخر يقوم على أفضلية العرق، إذ تم اعتبار الجنس الآري هو المؤهل الوحيد من حيث درجة النضوج والارتقاء والانتخاب الطبيعي، بوصفه جنساً له من المواصفات والخصائص ما يجعله أعلى مرتبة في سلّم التطور البشري من الجنس السامي.

إن إشكالية مفهوم المركزية الغربية تتجلى من أنه تقصّد أن يؤسس وجهة نظر حول "الغرب" بناءً على إعادة إنتاج مكونات تاريخية، توافق رؤيته، عاداً إياها جذوراً خاصة به، ومستحوذاً في الوقت نفسه على الاشعاعات الحضارية القديمة كلها، وقاطعاً أواصر الصلة بينها وبين المحاضن التي احتضنت نشأتها، إلى ذلك تقصّد ذلك المفهوم أن يمارس اقصاءً لكل ما هو ليس غربياً، دافعاً به إلى خارج الفلك التاريخي الذي أصبح "الغرب" مركزه، على أن يكون مجالاً يتمدد فيه، وحقلاً يُجهّز بما يحتاج إليه(٦).

ثانياً: المركزية الغربية واثرها في مجال الدراسات الاسلامية عند المستشرقين:

إن المركزية الغربية كنزعة ظهرت في فترة كان الغرب يمارس فيها فعلين متداخلين، يشكلان جوهر هويته الذاتية، أولهما: إعادة إنتاج غائية لتاريخه، بالبحث عن مقومات ثقافية ودينية وعرقية تؤهله بوصفه كياناً موحداً ومستمراً في التاريخ الإسلامي، وثانيهما اختزال العالم بالفتح والاحتلال إلى تابع ساكن وفاقد الحيوية تقتضي الضرورة التاريخية أن يخترقه الغرب ليبث فيه غاية الحياة المحكومة بسير متصل ومحتوم نحو هدف سام، والحق أنَّ هذين الفعلين ظلا موضع عناية استثنائية منذ ذلك الوقت إلى الآن، وسيستمران مدة طويلة، مع الأخذ بالاعتبار أن تجلياتهما تأخذ أشكالاً عديدة(٧).

إن الذي يهمنا في هذا البحث، ليس الانشغال بالتتبع التاريخي لولادة

الاتجاهات والمذاهب الفكرية أو الفلسفية أو السياسية[٨]، التي عززت هذه المبادئ بوصفها أصولاً اعتمدت عليها في الإعلاء من شأن المركزية الغربية، بقدر بيان أثرها في تشكيل الرؤية الاستشراقية لتاريخ "الآخر" الشرقي والذي جعلته "موضوعاً" لها، لأن الاستشراق بوصفه مجالاً لدراسة الشرق قد ظهر ضمن فضاء العقل الغربي، بحيث لا يمكن له أن يكون بمعزل عن "مؤثرات" هذا العقل وطريقة تفكيره، لكن هذا الحكم لا يسري على انتاج الاستشراق كله، بقدر ما يمكن القول إنه بقي ملازماً لمراحل ونماذج معينة من المستشرقين الذين وقعوا من حيث منهجيتهم في التعاطي مع عقل دراسة التاريخ الإسلامي بأصول ومحددات هذه المركزية الغربية.

وعلى هذا الأساس يذهب أحد الباحثين في سياق كشفه لمؤثرات المركزية الغربية وأصولها، وعلاقتها ببناء الرؤية الاستشراقية في مجال دراسة التاريخ والتراث الإسلامي بصورة عامة، إلى أن تمظهرها كان في اتجاهين شكلا محطات بارزة في تاريخ الاستشراق بشكل عام، الأول: الجانب الذي يتصل بالعلاقة الصريحة حيناً، والخفية حيناً آخر، بين الظاهرة الاستشراقية والظاهرة الاستعمارية، والذي يمكن الذهاب به بعيداً إلى الرواسب الدفينة التي تعود في أصلها إلى الصراع التاريخي بين المسيحية والإسلام خلال القرون الوسطى، والتي تؤسس كثيراً من المطاعن التي وجهها المستشرقين إلى الفكر العربي الإسلامي، منكرين عليه كل اصالة بدعوى صدوره عن ما سموه بـ"العقلية السّامية" التي حكموا عليها بالعقم في مجال العلم والفلسفة من جهة، واستسلامه للعقيدة الإسلامية التي تقوم عائقاً حسب زعمهم أمام التفكير الحر، والثاني: الجانب الذي يتصل بالشروط الموضوعية التاريخية والمنهجية التي كانت توجّه من الداخل الباحثين الأوربيين في القرن الماضي وأوائل القرن، مستشرقين وغير مستشرقين، لقد عرف الفكر الأوربي خلال هذه الفترة – وهي الفترة التي نشطت فيها الحركة الاستشراقية – نشاطاً واسع النطاق يهدف إلى إعادة كتابة التاريخ الثقافي الأوربي بصورة تحقق له الوحدة والاستمرارية من جهة، وتجعل منه التاريخ العام

للفكر الإنساني بأجمعه من جهة أخرى[٩].

تحيل دراسة المركزية الغربية بوصفها نزعة لازمت بعض مراحل الفكر الاستشراقي ليس إلى تحديدنا للأصول والمنطلقات التي تأسست عليها فقط، بل إلى معرفة طبيعة الصراع التاريخي بين الشرق والغرب على المستوى الحضاري والعقائدي والفكري، بحيث إننا لو أردنا الوصول إلى تحديد نشأة هذا الصراع وجذوره لوجدناه في البدايات التأسيسية الأولى لعصر الدعوة الإسلامية.

لقد اتخذ هذا الصراع التاريخي – الذي هو من منظور المركزية الغربية صراع حتمي- أشكالاً عدة، منها ما أخذ مظهراً دينياً تجلى بأبرز صوره في الحملات الصليبية، أو ما تعرف في فضاء الفكر الغربي وأدبياته بـ"الحروب المقدسة"، ومنها ما كان يتخذ شكلاً ثقافياً وحضارياً، وذلك بمحاولة الحط من أصول الثقافة العربية وقيمها ومنابعها –وهذه المهمة قد قام بها مجموعة من المستشرقين الذين ستتناولهم هذه الدراسة- واعتبارها امتداداً للحضارة الإغريقية من ناحية التأثر بعلومها ومعارفها، وحتى في مجال العقيدة كان هذا الصراع واضحاً في الحملات التبشيرية، والتي كان من أهدافها الأساسية تشويه معالم الدين الإسلامي وأسسه، وإفراغ محتواه الروحي، والإعلاء من شأن المسيحية بوصفها ديانة عالمية بديلة لها خصوصية السبق الزمني والأصالة على مستوى الديانة التوحيدية.

ذلك أن هشام جعيط في تأكيده على هذه المسألة يحاول دائماً جعل الإسلام في عملية مواجهة حضارية مع الغرب، ويسّير تاريخ الإسلام لا وفق ديناميكيته الخاصة، بل على وفق انعكاس شاحب ومعكوس لتاريخ الغرب، لنأخذ مثلاً على ذلك : شخصية النبي محمد ﷺ نلاحظ أنه ضمن كل تحليل لهذه الشخصية تنساب عملية مقارنة مع المسيح ، إذا كان محمد ﷺ غير صادق ذلك لأن المسيح كان صادقاً، وإذا كان متعدد الزوجات وشهوانياً فلأن المسيح كان عفيفاً، وإذا كان محمدﷺ محارباً وسياسياً فذلك استناداً إلى أن يسوع مسالم مغلوب ومعذب، إن

مفارقة الاستشراق الإسلامي هي أنه على هامش الجسم المركزي للتقليد الفكري الغربي، ومع هذا فهو يطرح نفسه ناطقاً باسم الغرب[١٠].

لقد تطور هذا الصراع في العصور الحديثة واتخذ أشكالاً عدّة ووصل إلى مرحلة الاستعمار المباشر للمجتمعات العربية والإسلامية، وما صاحبه من هيمنة فكرية واستنزاف منظم للثروات الاقتصادية، فضلاً عن تكريسه لواقع من الانقسامات العرقية والدينية والإثنية لم يتخلص المجتمع العربي والإسلامي من آثارها حتى بعد حصول دول العالم العربي على استقلالها، والذي أصبح فيه هذا الصراع يأخذ شكلاً استعمارياً آخر غير مباشر، تمثل بربط تلك البلدان "المستقلة" بتبعية اقتصادية وثقافية أخّرت ولا تزال نهضة تلك الدول، وتقدمها على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي.

إن نزعة المركزية الغربية باتخاذها لمبدأ الصراع –الذي تحدثنا عن بعض أبعاده سابقاً– بوصفها مظهراً للعلاقة مع الآخر الشرق[١١]، وليس مبدأ الندية أو التكافؤ، قد كانت تخفي حقيقتين مزدوجتين، هما الخوف منه وحب السيطرة عليه، أي: إن تلك المركزية الغربية كانت تضمر بداخلها أنا متعالية لا تعترف بشرعية وجود المغاير لها سواء كان على مستوى الهوية الدينية أو الحضارية، وهذه الأبعاد التي حكمت هذه العلاقة مع الآخر "الشرق" قد ألقت بظلالها على مقاصد الاستشراق وغاياته لاسيما في مراحله الكلاسيكية المبكرة، فالاسهامات التي قدمت من قبل عدد كبير من المستشرقين في هذه المراحل بخصوص دراستهم للتاريخ والحضارة الإسلامية كانت ليس بقصد معرفة الآخر واكتشافه، بقدر ما كانت منطلقاتها موجهة وعن قصد أحياناً نحو الإساءة والتشويه لهذا التاريخ[١٢]، فتحول الاستشراق بما أنه من المفترض أن يكون مجالاً أكاديمياً لدراسة الشرق، -كما يذهب ادوارد سعيد- تحوّل إلى خطاب سلطة وهيمنة وليس معرفة[١٣].

إن انعكاسات وآثار المركزية الغربية كنسق فكري لرؤية الغرب تجاه الآخر وتحديداً الشرق قد ساهمت في تأسيس صور نمطية وأحياناً متخيلة عن الإسلام، إذ إن هذه الصورة النمطية عن الإسلام، تشكلت بالتدرج، وعبّرت بكيفيات مختلفة عن الاهتمام المسيحي الأوربي بالواقعة الإسلامية، انطلق هذا الاهتمام في البدء من خلال المسيحية الشرقية والنصارى الأصليين، ثم اتخذ أبعاداً أكثر جدية مع احتدام المواجهة في سياق الصراع التاريخي والحضاري على المواقع والأمكنة والرموز، وفي كل الأحوال يمكن القول إن "الصورة" المسيحية عن الإسلام، أي التعبير المسيحي عن الوعي الضدي بالآخر جاءت نتاج الأدبيات التي وصفها رجال الكنيسة، وعلماء الكلام، والمؤرخون والدعاة بالدرجة الأولى، لسبب بسيط، هو أنه منذ العصر الوسيط حتى النهضة، كان رجال الكنيسة والرهبان والكهان وموظفو الكنيسة الكبار هم الذين يمتلكون مفاتيح المعرفة ويتكفلون بتربية المؤمنين بكتاباتهم ودعواتهم(١٤).

إن تلك الصور النمطية عن الإسلام جرى فيما بعد تعميمها وإسقاطها عند بعض المستشرقين، في مجال دراستهم للتاريخ الإسلامي، وعلى هذا الأساس لم يستطع قسم منهم التمييز بين دراسة التاريخ العام للحضارة العربية الإسلامية وبين دراستهم لتاريخ الإسلام كدين وعقيدة(١٥)، وعدم تمييزهم هذا أفضى إلى خلق نوع من سوء الفهم لهذا التاريخ ولاسيما في تحديد مساراته وتحليل قضاياه واشكالياته، لأن طبيعة بعض تلك الأحكام والنتائج التي انتهت إليها تلك الدراسات، كانت مرتكزاتها وبواعثها المنهجية لا تستند إلى دراسة الإسلام من داخله(١٦)، بل من خلال اسقاطات خارجة عنه جرى تعميمها بوصفها أحكاماً قبلية مستمدة من صور وأنماط متخيلة عنه وربما مفتعلة، تكون في الغالب معدة سلفاً، وقد جرى فيما بعد توظيفها وإعادة إنتاج مضامينها في تلك الدراسات.

إن مسألة تشخيصنا للنزعة المركزية الغربية بوصفه خطاباً تسربت آثاره إلى تشكيل الرؤية الاستشراقية في دراسة التاريخ الإسلامي، ولاسيما في الفترة

الكلاسيكية من تاريخ الاستشراق، والتي تبدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، لم تأت من باب النقد الأيديولوجي له، ولم يكن مجرد افتراض لا تؤيده الشهادات والوقائع، بل إن تأكيده جاء على لسان المستشرقين أنفسهم، خاصة مِمن تصدوا لنقد الاستشراق من داخله وتصحيح مساراته المنهجية، فها هو مكسيم رودنسون[١٧]، المستشرق الفرنسي يذهب -من باب الإدانة- للقول: إن النزعة المركزية واضحة هنا -يقصد في الدراسات الاستشراقية- وإذا كان من العبث أن ندينها الآن بكل هذا العنف والهيجان، وأن نمارس تجاهها نوعاً من الاستنكار الأخلاقي السهل والزائد عن الحد، فإن ذلك لا يعني أن نغض النظر عن الظاهرة وعدم ملاحظة وجودها بكل آثارها الضارة، فلم يكتف هؤلاء العلماء فقط في تنصيب المجتمع الأوربي والحضارة الأوربية بوصفهما نموذجاً كونياً أعلى صالح للجميع، ولم يكتفوا فقط بافتراض تفوقهما على المستويات كافة، وإنما راحوا أيضا ينقلون العوامل الفاعلة في هذه الحضارة وذلك المجتمع ويطبقونها بشكل ميكانيكي على كل مكان وبشكل دائم[١٨].

ثالثاً : اثر المناهج المستخدمة في تحديد وصياغة ابعاد الرؤية الاستشراقية :

إن تحليل المناهج الاستشراقية في دراسة التاريخ والتراث الإسلامي ، يظهر لنا أن غالبيتها لم تتخلص من الغايات الإيديولوجية[١٩]، الثاوية خلف تطبيقاتها ونتائجها في مجال دراستها لروافد التاريخ والفكر الإسلامي، هذا الأمر يعني أن تلك المناهج حتى لو أدعت العلمية والموضوعية في مقاربتها، إلا أنها -من خلال تحليل الكيفية التي مارست من خلالها طرق معالجتها لقضايا التاريخ الإسلامي- بقيت أمينة أكثر لأصولها الغربية التي خرجت منها، ولم تأخذ بعين الاعتبار خصوصية هذا التاريخ وأبعاده وأصالته .

فالمستشرق صاحب المنهج التاريخي يفكر شموليا في الفلسفة الإسلامية لا بوصفها جزءاً من كيان ثقافي عام هو الثقافة العربية الإسلامية ، بل بوصفها امتدادا منحرفا أو مشوها للفلسفة اليونانية، وبالمثل يفكر بالنحو العربي ومدارسه، يوجهه هاجس ربطها بمدارس النحو اليونانية بالإسكندرية أو برغام، وبيان تأثرها بالمنطق الأرسطي، كما قد لا يتردد في ربط الفقه الإسلامي، نوعا من الربط بالقانون الروماني وما خلقه في المنطقة العربية من آثار وأعراض، أما المستشرق المغرم بالتحليل الفيولولوجي، فهو عندما يتجه إلى الثقافة العربية الإسلامية بنظرته التجزيئية، لا يعمل على رد فروعها وعناصرها إلى جذور وأصول تقع داخلها، أو على الأقل مقروءة بتوجيه من همومها الخاصة، بل هو يجتهد كل الاجتهاد في رد تلك الفروع والعناصر إلى أصول يونانية، وعندما تعوزه الحجة إلى أصول هندواوربية... أما المستشرق صاحب المنهج الذاتوي، فإنه على الرغم من تعاطفه مع بعض الشخصيات الإسلامية كتعاطف ماسينيون مع الحلاج أو هنري كوربان مع السهروردي، فإنه يبقى مع ذلك موجها من داخل إطاره المرجع الأصلي، إطار المركزية الأوربية مشدودا إليه غير قادر ولا راغب في الخروج عنه أو القطيعة معه[٢٠].

أن تأكيدنا على المضامين الأيديولوجية التي حملتها مناهج المستشرقين، الذين تسلحوا بها لدراسة التاريخ الإسلامي وقضاياه كالمنهج التاريخي والفلولوجي والمنهج المقارن ... وغيرها، لا يعني أغفال جانب مهم يخص طبيعة تلك المناهج وفلسفتها من حيث نشأتها وتأسيسها عندهم، فكما هو معروف فإن دراسة التاريخ من حيث الأصول والقواعد المنهجية، مر عبر تاريخ الفكر الغربي بتحولات كبيرة سواء على صعيد الرؤية أم المنهج، وقد ظهرت في خضم هذه التحولات مدارس واتجاهات عدة حاولت إعادة الاعتبار للتاريخ بوصفه علماً له مرتكزاته وأسسه سواء من حيث طرق الكتابة أو طبيعة المعرفة التاريخية، وهذا الأمر بدا واضحا في الاتجاه الوضعي أو التاريخاني أو التأويلي في دراسة الـتاريخ[٢١].

أن هذه الاتجاهات على ما بينها من تباين في المنطلقات والاختلاف في أساليب المعالجات المنهجية، قد أعادت الاعتبار لمفهوم المؤرخ وقدرته على الوصول للحقيقة التاريخية، بحيث بالغت في الأعلاء من شأن مسألة" المنهج وإمكانيته في دراسة الوقائع والأحداث وتحديد المسارات واكتشاف القوانين الفاعلة في حركة التاريخ، لاسيما ما يتعلق منها بأزمة التاريخ القديم، فأصبحت إمكانية بناء تاريخ للماضي ــ من وجهة نظر هذه الاتجاهات ــ على أسس ومعايير علمية شيئا ممكن التحقق في مجال الدراسات التاريخية.

لقد تبنى بعض المستشرقين أطروحات وأسس تلك المناهج وعدّوها صالحة للعمل والاستخدام في حقل الدراسات الإسلامية، من دون مراعاة لخصوصية هذا التاريخ واختلافه وعدم تماثله مع غيره في البنى والأنساق والسياقات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي اسهمت بتشكيله[٢٢]، بل أن قسما منهم قد غالى في مجال تطبيقاته لهذه المناهج في حقل دراسة التاريخ الإسلامي، وعدَّ ما توصل إليه من نتائج عبرها غير خاضع للمراجعة أو النقد، هذا الأمر يعني أن تلك المناهج وأن بقيت في قسم منها تحاول الوصول إلى ترسيخ رؤية أيديولوجية معدة مسبقا، تنتمي في منطلقاتها ومبادئها إلى المركزية الغربية، إلا أنها في الوقت نفسه عندما أعيد توظيفها في حقل دراسة التاريخ الإسلامي جاءت معبرة عن الخلفيات الفكرية والفلسفية للمنهج نفسه.

يتضح مما تقدم أنه إذا كانت مناهج المستشرقين بتنوعها وتعددها، قد أضحت هي الممارسة العملية التي من خلالها يستطيع الباحث تقييم جهودهم، ومعرفة طبيعة ما توصلوا إليه خاصة في حقل دراستهم للتاريخ الإسلامي، فإن هذه الممارسة لم تكن يوما بمعزل عن المواقف الأيديولوجية التي تسربت إلى تلك المنهجية، والتي ظهرت في تحليلاتهم ومعالجاتهم أما بشكل صريح أو مضمر.

هذا الأمر راجع إلى أن المستشرق ومن ناحية تكوينه العلمي يبقى في النهاية هو

ابن البيئة، والحواضن الفكرية والحضارية والسياسية التي اسهمت في تشكيل عقليته، أي إنه يبقى أمينا لتوجهاته الذاتية وخلفياته الدينية أو السياسية، وربما في بعض الأحيان وفيا لقناعاته وهواجسه النفسية، لكن مع إقرارنا بهذه المسائل وانعكاساتها السلبية في اسهامات المستشرقين، تبقى هنالك جهود علمية وأكاديمية رصينة لكثير منهم(٢٣)، استطاعت أن تحيّد وبنسب متفاوتة من هذه الاعتبارات في مجال الدراسات الإسلامية بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص، فتعاملت مع مسألة المنهج ليس على أساس المبالغة في قابليته في الوصول لبناء رؤية متكاملة لقضايا وإشكاليات التاريخ الإسلامي، بل من خلال عدّه وسيلة نصل من خلالها إلى نتائج قابلة للنقد وإعادة النظر في مقدماتها المنهجية.

أن ما يميز هذه الجهود والاسهامات الاستشراقية ذات المنحى الموضوعي، هي أن معالجاتها المنهجية لا تدعي التطابق مع الموضوع المدروس ـ وهو هنا مجال التاريخ الإسلامي ـ بقدر ما كان هاجسها استخدام آليات المنهج للوصول إلى إشتراح نظرة جديدة ومبتكرة يمكن لنا من خلالها استعادة ودراسة وقائع وأحداث العصور الإسلامية، ليس على مستوى أن ما ننتهي إليه من نتائج وتحليلات هو تفسير مطابق لحقيقة ما جرى فعلا، بل على مستوى توسيع دائرة فهمنا لهذا التاريخ ضمن منظور تعددي نسبي لا يدعي امتلاكه تفسيراً قاطعاً ووحيداً ونهائياً له، ومن خلال هذا المنظور أصبحت تلك الاسهامات أقرب لروح الموضوعية والعلمية التي يجب أن يتحلى بها المستشرق وهو يخوض في أبعاد التراث والتاريخ الإسلامي، فابتعدت بالنتيجة عن الوقوع في نمط الدراسات الاستشراقية السابقة، التي كانت معالجاتها والنتائج التي انتهت إليها، مبنية على أسس أيديولوجية وليست معرفية.

* هوامش البحث *

(١) جان دي جاك واردنبرغ ، المستشرقون، ترجمة: أنيس عبد الله الخالق محمود، ط١، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٤) ، ص١١.

(٢) جان دي جاك واردنبرغ ، المستشرقون، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) فرانشيسكو كابرييلي (١٩٠٤-١٩٩٦): من أبرز المستشرقين الإيطاليين، وله تأثير مهم بما قدمه من أعمال على مستوى الاستشراق الأوربي بشكل عام، تتلمذ على يد المستشرق الإيطالي الشهير كرلو نللينو، كان أحد أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما والمعهد الشرقي في نابولي، أولى اهتماما خاصا بدراسة الشعر العربي في الجاهلية تحقيقا ودرساً، فضلاً عن تحقيقاته لمخطوطات في التاريخ الإسلامي، في عام ١٩٤٨ انتخب عضوا مراسلاً في المجتمع العلمي العربي في دمشق، ألف كثيراً من الكتب والبحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ولاسيما بتاريخ العصر الأموي، وله إسهامات مهمة في دراسة مؤرخي الحروب الصليبية، فضلاً عن إسهاماته في دائرة المعارف الإسلامية...

للاستزادة ينظر:- فرانشيسكو كابرييلي ، محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب وتقديم وتعليق عبد الجبار ناجي،ط١، (بيروت : المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١١)، مقدمة المعرب، ص١٣.

(٤) فرانشيسكو كابرييلي، ثناء على الاستشراق، ضمن كتاب: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة واعداد: هاشم صالح، ط١، (بيروت : دار الساقي، ٢٠٠٠)، ص٢١-٢٢... وفي السياق نفسه يذهب هشام جعيط في تأكيده لحاضر الاستشراق ومستقبله، ولكن من زاوية نظر مختلفة، إذ يقول إنه سيأتي "اليوم الذي سيذوب علم الشرق في مختلف العلوم الانسانية التي تكونه بانتظار أن يسيطر العرب – المسلمون شيئاً فشيئاً على ـ المناهج الحديثة في البحث ـ ، فيفقد تقريباً سبباً للوجود، عدا كونه حلقة صغيرة في سلسلة المعرفة العالمية، في الأصل وعلى الأقل خلال قرن من الزمان من ١٨٥٠-١٩٥٠ كان وجود الاستشراق مشروطاً بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته، في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية وتقليلاً من شأن الشرق..." للاستزادة ينظر: هشام جعيط ، أوربا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط٣، (بيروت : دار الطليعة، ٢٠٠٧)، ص٤٣-٤٤.

(٥) محمد عابد الجابري ، نحن والتراث "قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي"، ط١، (بيروت : دار الطليعة، ١٩٨٠) ، ص٢٧.

(٦) عبدالله إبراهيم، المركزية الغربية، ط١، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠)، ص١١-١٢.

(٧) المرجع نفسه، ص٤٤.

(٨) ينظر في أثر هذه المبادئ ولاسيما نزعة الإعلاء والانتماء للعنصر الآري وأثره في تكوين المذاهب والأفكار السياسية الغربية، التي أسهمت في المحصلة النهائية من صعود النازية والفاشية: شانتال ميلون دلسول، الأفكار السياسية في القرن العشرين، ترجمة: جورج كتورة، ط١، (بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص٧٧-٩٢.

(٩) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة "دراسة ومناقشات"، ط٣، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦)، ص٢٦-٢٧.

(١٠) جعيط، أوربا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، مرجع سابق، ص٤٠.

(١١) في مسألة تحليل أبعاد الصراع التاريخي لعلاقة الإسلام بالغرب ينظر: أحمد عرفات القاضي ، الإسلام والغرب إشكالية الصراع وضرورة الحوار ، ط١، (القاهرة : مكتبة مدبولي ٢٠١٠)، ص١٠٩-١١٥.

(١٢) من الدراسات المهمة التي تتبعت وبتحليل منهجي أحد أبعاد هذا التشويه للدين الإسلامي، خاصة ما يتعلق بنبوة نبيه الأعظم محمد ﷺ ينظر: لخضر شايب ، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ط١، (الرياض : مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢)، ص٣٧-٥٧.

(١٣) ينظر: ادوارد سعيد ، الاستشراق "المعرفة، السلطة، الإنشاء"، نقله إلى العربية كمال ابو ديب، ط٢، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م) ، ص٤٠-٤٣...

يجدر في مثل هذا السياق الإشارة إلى مسألة مهمة تخص عملية التصدي لنقد الاستشراق، فهذه القضية إذا لم يراعَ فيها طبيعة المراحل التاريخية التي قطعها الاستشراق عبر تطوره، ولم يؤخذ بعين الاعتبار السياقات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي تحكمت بكل مرحلة من مراحله، فإنه –أي هذا النقد- سوف يقع في مسألة التقييم والحكم في التعميم والاختزال والأحكام السلبية التي قد تنال من جهود واسهامات حقيقية لمجموعة كبيرة من المستشرقين في حقل الدراسات الإسلامية، وعلى هذا الأساس نقول يجب أن لا نسحب النتائج التي انتهى اليها ادوارد سعيد في دراسته الهامة عن الاستشراق، ونجعلها النموذج لهذا النقد من حيث اعتبار

كل ما ورد فيها من ناحية المنطلقات والأسس المنهجية مطابقاً لحقيقة الاستشراق وأهدافه، فنكون في هذه الحالة قد وقعنا في المغالاة وعدم الإنصاف، فبالرغم من إن دراسة ادوارد سعيد فتحت افقاً جديداً ومبتكراً في تحليل الخطاب الاستشراقي، إلا أن ما ذهبت إليه أطروحة الكتاب الأساسية من أن كل الجهود الاستشراقية كانت واقعة في ثنائية السلطة والمعرفة – التي استمدها أصلاً من ميشيل فوكو وأعاد توظيفها في دراسته ـ واختزال كل تلك الجهود والنظر إليها كأنها عبارة عن تقارير استخباراتية أعدت لمراكز ومؤسسات القرار السياسي الغربي، لايوصلنا بالنتيجة ـ لفهم ظاهرة الاستشراق بشكل موضوعي ومدروس، ذلك أن كثيراً من تلك الجهود وحتى بعض مدارس الاستشراق لم تكن واقعة في ضمن هذه الثنائية، أما بحكم أن دراستهم كانت في حقول نظرية صرفة ليس لها علاقة بأبعاد وأطر سياسية كالتحقيق اللغوي أو التاريخي أو دراسات ما قبل الإسلام... وما سواها، أو لأن قسماً من أصحابها كانوا يمثلون دولاً لم يسجل لها أي حضور أو تحرك استعماري في دائرة الشرق الأوسط، كألمانيا مثلاً ، خاصة في فترة القرن الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي الفترة الزمنية التي حلل فيها ادوارد سعيد أغلب نماذج دراسته على أساس هذه الثنائية... للاستزادة في هذا الموضوع، ينظر النقد المقدم على كتاب ادوارد سعيد في: صادق جلال العظم ، الاستشراق والاستشراق معكوساً،، ط١، (بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٠م) ، ص٨-٩.

وفي السياق نفسه نقول ان أهم ما جاء به كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق كما أشار إلى ذلك وجيه كوثراني " ليس التوصيف الذي ينعت به بعض قطاعات الاستشراق بالعنصرية أو المركزية الاثنية الغربية، أو الثقافة الإمبريالية، أو خدمة الهيمنة الاستعمارية عن طريق تقديم معرفة معينة عن الشرق والمجتمعات الإسلامية وتواريخها، فكل هذه المواصفات يقدمها الاستشراق السياسي فعلاً، لكن أهم ما في انجازه هو استخدامه لإنجازات الثقافة الغربية نفسها في جانبها النقدي لذاتها، ليقرأ مسار الاستشراق ومآله "كخطاب معرفة" أدى وظيفة تاريخية واستنزف نفسه في عملية تراكم أضحت تطرح قطيعة وتجاوزاً على الصعيد المعرفي وفي شروط مغايرة لشروط صعود الغرب الإمبريالي وهيمنته على العالم...

للاستزادة ينظر: وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل "دراسات في البحث والبحث التاريخي، ط١، (بيروت : دار الطليعة، ٢٠٠٠) ، ص٩٢.

(١٤) محمد نور الدين افايه، ، الإسلام في متخيل الغرب "في مكونات الصور النمطية الغربية عن الإسلام، ضمن كتاب: الإسلام والغرب "الأنا والآخر"، مجموعة باحثين، سلسلة فكر ونقد،

الكتاب الأول، ط١، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩)، ص١١١.

(١٥) هذا الحكم لا ينسحب على كل جهود المستشرقين، فلقد أكد كثير من " المستشرقين الأكثر حداثة، على أهمية البعد الديني في التاريخ الإسلامي مع اعتمادهم على أحدث طرق المعالجة للعلوم الاجتماعية، ومهما يكن من أمر، فبينما نجد مستشرقين بعينهم يدرسون البعد الديني كما يفهمه المسلمون قبل أن يوجّه أولئك المستشرقون نقدهم وحكمهم، نجد آخرين يفعلون ذلك وهم يرمون في نهاية الأمر إلى تحقير شأنه وتشويه حقيقته..."

للاستزادة ينظر: محمد بن عبود، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٦٢.

(١٦) من باب الإنصاف والموضوعية نقول، إن هنالك من المستشرقين من أشار إلى هذه الحقيقة، منهم المستشرق الفرنسي الكبير كلود كاهين، الذي عرف بدراساته الموضوعية للتاريخ الإسلامي، حيث قال "في بعض الأحيان نجد أن التوسع المهيمن للغرب قد أثار دراسات وأبحاث تهدف إلى تنظيم الإدارة الاستعمارية، وترتيب شؤون الاستعمار حتى ولو حاولت أن تتخذ صفة الموضوعية... بالطبع ينبغي أن نعيد التوازن إلى الأمور فنعترف بضرورة دراسة هذه المجتمعات من الداخل، وليس فقط من الخارج، فالنظرة الخارجية أو الاستشراقية لا تكفي..." .

للاستزادة ينظر: مجموعة باحثين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد هاشن صالح، ط٢، (بيروت : دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٠)، ص٣٣.

(١٧) مكسيم رودنسون: من أهم المستعربين، إن لم نقل المستشرقين في فرنسا، له عدة إسهامات مهمة على صعيد دراسة التاريخ الإسلامي منها: الإسلام والرأسمالية ١٩٦٦م، الماركسية والعالم الإسلامي ١٩٧٢م، محمد ١٩٧٩م، العرب ١٩٧٩م، جاذبية الإسلام ١٩٨٠م، وقد ترجمت أغلب أعماله إلى اللغة العربية...

ينظر: مجموعة باحثين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ص٣٩.

(١٨) رودنسون، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، ضمن كتاب: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مرجع سابق، ص٤٩.

(١٩) أن مقولة الفصل ما بين البعد المعرفي والبعد الأيديولوجي في تحليل نسق الأفكار هي أحدى الآليات المهمة التي أستعملها محمد عابد الجابري في قراءته لحقل التراث العربي الإسلامي، ولقد قمنا بتوظيف دلالات هذه الآلية في تحديدنا للمناحي الأيديولوجية في إسهامات

المستشرقين، ورؤيتهم في مجال دراستهم للتاريخ الإسلامي، هذا يعني أن مصطلح الأيديولوجية في هذه الدراسة يعني المضمون الذي يحمله ذلك الفكر، أي الوظيفة الأيديولوجية السياسية الاجتماعية التي يعطيها صاحب أو أصحاب ذلك الفكر لتلك المادة المعرفية...

للاستزادة ينظر: الجابري، نحن والتراث، مرجع سابق ، ص٣١ ــ ٣٢.

(٢٠) محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، المرجع السابق ، ص ٢٨ ــ ٢٩ .

(٢١) لدراسة أثر هذه الاتجاهات في أحداث طفره نوعية في منهجية البحث التاريخي في دائرة الفكر الغربي.. ينظر: قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، ط١، (بيروت : المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،٢٠١٣)، ص١٧-٨٢.

(٢٢) ضمن هذا السياق يؤشر محمد أركون إلى ثلاث عقبات أبستمولوجية معرفية بقين بنظره ملازمة لتاريخ الاستشراق بالنسبة للأطر النظرية التي رافقت عملية دراستهم للتاريخ والحضارة الإسلامية بشكل عام.

الأولى: النزعة المركزية الغربية.

والثانية: التعميم الأيديولوجي.

والثالثة: حضور الأغراض غير العلمية في عمل المستشرقين أو قسم غير قليل منهم...

للاستزادة ينظر: عبد الإله بلقزيز، الاستشراق وحدوده المعرفية المنهجية، في نقديات محمد أركون، ضمن كتاب: محمد أركون المفكر والباحث والإنسان، مجموعة باحثين،، ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١) ، ص ٥٩.

(٢٣) نذكر من باب التمثيل لا الحصر جهود كل من: مونتغمري واط، مكسيم رودنسون، لويس غارديه، لويس ماسنيون، هنري كوربان، كارل بركلمان، رينه غينون، جورج قنواتي، كلود كاهين، جوزيف شاخت، روزنثال، ميجول آسن بلاسيوس، جوزيف فان أس، غوستاف لوبون، فلهاوزن، جاك بيرك، روجيه غارودي... وغيرهم.

* المصادر والمراجع *

١- أحمد عرفات القاضي ، الإسلام والغرب إشكالية الصراع وضرورة الحوار ، ط١، (القاهرة :

مكتبة مدبولي ٢٠١٠) .
٢- ادوارد سعيد ، الاستشراق "المعرفة، السلطة، الإنشاء"، نقله إلى العربية كمال ابو ديب، ط٢، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م) .
٣- جان دي جاك واردنبرغ ، المستشرقون، ترجمة: أنيس عبد الله الخالق محمود، ط١، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٤) .
٤- شانتال ميلون دلسول، الأفكار السياسية في القرن العشرين، ترجمة: جورج كتورة، ط١، (بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤).
٥- صادق جلال العظم ، الاستشراق والاستشراق معكوساً، ط١، (بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٠م).
٦- عبد الإله بلقزيز، الاستشراق وحدوده المعرفية المنهجية، في نقديات محمد أركون، ضمن كتاب: محمد أركون المفكر والباحث والإنسان، مجموعة باحثين،، ط١، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١) .
٧- عبدالله إبراهيم، المركزية الغربية، ط١، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠) .
٨- فرانشيسكو كابريلي ، محمد والفتوحات الإسلامية، تعريب وتقديم وتعليق عبد الجبار ناجي،ط١، (بيروت : المركز الأكاديمي للأبحاث، ٢٠١١) .
٩- فرانشيسكو كابريلي، ثناء على الاستشراق، ضمن كتاب: الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة واعداد: هاشم صالح، ط١، (بيروت : دار الساقي، ٢٠٠٠) .
١٠- قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، ط١، (بيروت : المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،٢٠١٣) .
١١- مجموعة باحثين، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة وإعداد هاشن صالح، ط٢، (بيروت : دار الساقي، ط٢، ٢٠٠٠) .
١٢- محمد عابد الجابري ، نحن والتراث "قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي"، ط١، (بيروت : دار الطليعة، ١٩٨٠) .
١٣- ـــــــــ، التراث والحداثة "دراسة ومناقشات"، ط٣،(بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦) .
١٤- محمد نور الدين افايه، ، الإسلام في متخيل الغرب "في مكونات الصور النمطية الغربية عن الإسلام، ضمن كتاب: الإسلام والغرب "الأنا والآخر"، مجموعة باحثين، سلسلة فكر

ونقد، الكتاب الأول، ط١، (بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٩) .
١٥- هشام جعيط ، أوربا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط٣، (بيروت : دار الطليعة، ٢٠٠٧) .
١٦- وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل "دراسات في البحث والبحث التاريخي، ط١، (بيروت : دار الطليعة، ٢٠٠٠) .

❊❊❊

قيمة الدراسات الاستشراقية في المباحث الإسلامية

(نظرة نقدية تقييمية)

■ د.خالد إبراهيم المحجوبي

مدخل

لم تزل الظاهرة الاستشراقية مثيرة للجدل والخلاف على مستوى التقييم والفاعلية والجدوى والتأثير والتأثر، ولم يزل الباحثون العرب والمسلمون ناظرين إليها نظرة غير موحدة.

سنركز بحثنا على التناول الاستشراقي لمباحث وقضايا الدراسات الإسلامية، التي حازت أهم، وأسخن، وأوسع، وأغزر ما كتبه المستشرقون في سياق تواصلهم البحثي مع العالم الشرقي وثقافاته وحضاراته.

لا أحسب أحداً ممن درس الاستشراق وأثره وعلاقته بالمباحث الإسلامية، يمكنه أن يحكم على المنهج، والمنتج الاستشراقي بحكم لا يكون مفاده أن هذا المنهج، والمنتج كلاهما – بعامة- قاصران، ومنطويان على نقاط ضعف كثيرة . ولا أراني مبالغا إذا قلت انه منهج، ومنتج غير علمي في عمومه .

وقد كان وراء هذا القصور التناولي بواعث متعددة، ستكون محور بحثنا ، ومناط اهتمامنا في هاته الأوراق.

المبحث الأول
تحديد البواعث والأسباب

ليس من الممكن إنكار اشتمال الطروح الاستشراقية على نقاط ضعف، أثرت فيها بعامة، وتأذت بها المكانة المعرفية، والسمعة العلمية لكثير من المستشرقين.

ونحن هنا سنشخص ما نراه من بواعث وأسباب أوصلت المنتج الاستشراقي- في مجال الدراسات الإسلامية تحديداً - إلى هاته الحالة التقييمية، المؤثرة بالضرر في مسيرة، وكيان حركة الاستشراق ونتاجها المعرفي .

□ الباعث الأول:

إن الباحثين المستشرقين إما أن يكونوا- فكرياً- ماديين، علمانيين لا يؤمنون بالتصورات الغيبية وبالأفعال اللااعتيادية ويضعون كل شيء تحت مجهر الحقائق المادية وإما أن يكونوا من اليهود أو النصارى أو اللادينيين[1]؛ من هنا فإنهم لايؤمنون بالديانة الإسلامية، ويشككون في مصدرها الإلهي، ويعتبرونها على الأقل من الأعمال الإنسانية العظيمة التي لا علاقة لها بالمصدر الإلهي .

وهكذا عندما تدرس أفكار وأطاريح هؤلاء الناس؛ فإنك تجدهم يشكون في الغزير من الحوادث والأخبار التاريخية التي أكدت صحتها معظم المصادرالتاريخية الموثوقة، من ذلك - مثلا - الاسترابة والتشكيك في وجود النبي محمد نفسه[2].

□ **الباعث الثاني:**

إن كثيراً من الأخطاء والتلبيسات التي وقع فيها المستشرقون كان مرجعها ومردها أن أكثرهم كان عند تناوله لقضية ما لا يتوغل فيها، ولا يتتبع بدقة كل ما يتعلق بها تأثيرًا وتأثرًا مما له شأن فيها؛ فلم يصلوا في كثير من بحوثهم إلى الأعماق، والجذور، ولم يستشفوا ما وراء الظواهر، والألفاظ ولم يتمثلوا حق التمثل البيئة والعصر والملابسات التي أثرت فيها[٣].

وهذا مرد وباعث ظاهر لصفة القصور التي اتسمت بها كثيرات من البحوث والدراسات الاستشراقية، ولو أن كثيرا منهم أنعموا أنظارهم في التفاصيل والملابسات لما يبحثون ؛ لجاءت نتائج دراساتهم مغايرة لما ظهرت عليه.

وجدير بالملاحظة أن هذا المرض البحثي - أعنى عدم الاستقصاء وضعف التدقيق- هو مرض تليد من قديم الزمن ومن أمثلته القديمة ماكتبه (أوريجين الاسكندري)[*] (١٨٥ ـ ٢٥٤م) آخر حياته بعنوان (الرد على كلسس) الذي كتب كتاب (المقال الحق) هاجم فيه اليهودية والمسيحية هجوما عنيفاً [٤] كما يفعل كثير من المستشرقين مع الإسلام ،وافترى على موسى وعيسى والأنبياء ماهم منه برآء.

□ **الباعث الثالث:**

إن كثيراً من الدراسات جاءت محكومة بنظرة مسبقة عن الموضوع المدروس بتأثيرات من المركزية الغربية من جهة، والأحقاد التليدة على الإسلام من جهة أخرى؛ لذلك كانت هذه الدراسات تجيء موظفة لأهداف سابقة محدده غالبا.

لذا وبسبب إحكامهم المسبقة وإغراضهم الأيديولوجية غير العلمية؛ وقفت بينهم وبين مواضيع بحثهم حواجز تمنعهم من فهمها وحسن إدراكها[٥].

ولا عجب في أن هذه المنهجية لاتتيح لصاحبها معرفة بالآخر إلا بقدر ما يجد في نفسه .

□ **الباعث الرابع:**

إن الكثير من الدراسات والبحوث الاستشراقية في مجال المباحث الإسلامية اعتمدت على مقابلة حوادثها، وقضاياها بما هو حاصل في زمننا وظروفنا، ولا ينظرون إليها بمعيار زمانها ومكانها، وهذا خطأ منهجي كبير لأن الحكم على الحوادث التاريخية مرهون بظروفها التي حصلت فيها (٦).

□ **الباعث الخامس:**

عدم الاطلاع على تفاصيل قضايا بحوثهم، في مظانها المناسبة لها، ولا في مصادرها الأصلية المتسمة بدرجة التوثيق اللائق بالبحوث العلمية .

من المثالات على هذا اعتماد بعضهم في مبحث السيرة النبوية – مثلا – على بعض الآثار والروايات ضعيفة الإسناد غير الموثقة، وعلى كتابات بعض الأدباء والروائيين .

من ذلك أن بعضهم يعتمد في كتاباته على مصادر ليست مؤهلة أصلاً – بأي وجهٍ – لأن تكون مرجعاً لبحث علمي في أي قضية .

مثال ذلك اعتماد إحدى المستشرقات في فرنسا في بحث لها عن الإسلام على كتاب (أساطير القرون) للفرنسي(فيكتورهوجو) في قصيدة الأرز، وجعلته مرجعا لها في رسالة للدكتوراه كانت تعدها سنة ١٩٨٩ (٧).

وقد لاحظ محمد أسد هذا العيب البحثي فقال عن المستشرقين ممثلا بجولدزيهر : إنه يطعن في كل حديث جاء عن الرسول معتمدا على كتب مجهولة لايليـق بباحث جاد أن يعتمد عليها (٨).

□ **الباعث السادس:**

عدم التزام الكثير منهم بالأمانة العلمية، والصدقية الموضوعية، التي ما خلت منها دراسة أو بحث ؛ ألا أصيب بالعقم على صعيد النتائج المرجوة، ذات الإفادة لمن يتلقاها وهذا ظاهر في كتابات كثير من المستشرقين مثل : (لامانس) و (غلوور) و(كولي) وغيرهم كثير.

ولنا أن نمثل بمثال على حيدتهم عن الأمانة العلمية، بما فعله (جولدزيهر) في بعض بحوثه فقد نقل جولدزيهر كلاماً عن الزهري بعد تحريفه وهو-قول الزهري- (إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث) . ثم قال جولد زيهر (وإن ذلك يُفهم استعداد الزهري لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية) وقد كان النص الأصلي كما هو عند ابن عساكر، وابن سعد، عن الزهري: (إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا أحدثكم بها ؛ فحدثهم)[٩].

نقل جولدزيهر من قول وكيع، عن زياد بن عبد الله أنه (كان مع شرفه في الحديث كذوبًا) وأصل العبارة كما في التاريخ للإمام البخاري (وقال ابن عقبة السدوس عن وكيع : هو ـ أي زياد بن عبد الله- أشرف من أن يكذب[١٠].

ونتيجة لكل ماسبق جاءت أغلب هاتيك البحوث والدراسات التي تمخضت عنها جهود المستشرقين مخالفة للجادة مبعدة للنجعة، وهذا الذي عليه نؤكد ليس مطردا في كل البحوث الاستشراقية، بل في أغلبها.

المبحث الثاني
الصورة المزدوجة للتناول الاستشراقي

عند استقراء دراسات وبحوث المستشرقين بعامة سنلقى بعضهم منصفا

معتدلا، غير متحامل ولامتعصب وهذا الضرب هو الممثل للأقلية منهم ـ أي البحاثة المستشرقين وإن كانت أكثر كتاباتهم المعتدلة تتركز في تاريخ العلوم التجريبية عند المسلمين، وتاريخهم الحضاري، وأثر المسلمين في هذا المجال لا ينازع فيه إلا مكابر وهم في هذا لم يأتوا بجديد غير إحقاق الحق، وهو فعل محمود بلا شك .

يأتي من هذا الباب-مثلاً- كتاب المستشرقة (زيغريد هونكه): (شمس العرب تسطع على الغرب) ، وكتاب (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) لآدم متز .

أما العلوم الدينية فلا نكاد نجد لها منصفا - إلا قليلا منهم - ؛ لخطورتها، وأهميتها في حياة الإنسان، ولأن هذه العلوم الدينية مرتبطة بالإسلام والدعوة العالمية للتوحيد، وإذاعة منهج الله على الأرض(١١).

وفي المقابل هناك من المستشرقين من يمثل الاستثناء في الموقف المضاد للفكر الإسلامي أو المتحامل عليه أو الممتهن لذويه. وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة الأدبية والأمانة العلمية [كما هو ظاهر في شخوص كثير منهم ولنا أن نمثل بناصر الدين دينيه في كتاب (محمد رسول الله) وروجيه غارودي ، وروم لاندو، وماسينيون، وغيرهم ممن أتصف بالأمانة العلمية والشجاعة، ومنهم من ارتضى الإسلام دينا مثل : روجيه غارودي، وموريس بوكاي، وعلي شودكيفتش مثلا .

وبرغم السرُج المنيرة في ظلام التعصب، فإن صوت هؤلاء الذين احترموا عقولهم وصدقوا مع أنفسهم، كان أشبه بالهمس وسط الضجيج الهائل ؛ فلا يسمعه أحد وإذا سمعه لا يأبه به، ولا يركن إليه؛ لأن الضجيج الذي ساد جو الاستشراق غطى على مثل تلك الهمسات، وجعل عامة الناس لا تطمئن إليها، بل ترك فيها عروقا من العقيدة الصحيحة إلي دين الشرق الملفق [كما زعموا](١٢).

يمكننا أن نقسم المستشرقين الذين تناولوا الإسلام وقضاياه بالبحث والدراسة

إلى قسمين:

١-قسم اتسمت بحوثهم بالموضوعية والأمانة .

٢- قسم اتسمت بحوثهم بعدم الموضوعية .

في هذا الصدد نجد ممن تناول المنهج الاستشراقي في البحث الأستاذ مالك بن نبي ـ رحمه الله- فهو يقسم المستشرقين من حيث اتجاههم العام نحو الإسلام من خلال كتاباتهم إلى قسمين : فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية ، وطبقة المشوهين لسمعتها . ويمثل الأستاذ مالك لطبقة المادحين والموضوعين في كتابا تهم وأفكارهم بـ (دوزى) و(سيديو) في علم الفلك وبآسيين بلاثيوس في الأدب(١٣). فهؤلاء بناء على ماحوته نتاجاتهم البحثية لاريب في سلوكهم مسلك النصرة للحقيقة العلمية، وللتاريخ؛ فخلت أعمالهم من آثار التعصب والمَيْن، ولا يعني ذلك أن كتاباتهم خلو من الأخطاء والهفوات.

ويرى الأستاذ السباعي أن (غوستاف لوبون) خير مثال على الإنصاف والاعتدال فيصف كتابه (حضارة العرب) بقوله : إنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته. (١٤) غير أننا لا نعدم سقطات وتجاوزات للوبون في بعض كتاباته.

ومن الموضوعيين الذين خلت كتاباتهم عن الأغراض، المستشرق (آدم متز) في كتابه(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)(١٥).

في هذا المقام سنمثل بنماذج نصية، لكل من الصنفين الذين يمثلان موقف الحركة الاستشراقية بعامة من الإسلام ومباحثه.

أولا: القسم غيرالموضوعي :

عرفت الحركة الاستشراقية بعامة كثيراً من الشخصيات التي جاء تناولها

البحثي للدراسات الإسلامية، خالياً من أدنى درجات الموضوعية التي لا يصلح بحث عدمها ، ولا تقوم لأي دراسة قائمة –بالمعايير العلمية ـ إذا ما كانت خلوا منها.

ولنا في هذا المقام أن نعرض فقرات على سبيل المثال لا الحصر مجتزأة من بعض أقوال هذا الضرب من المستشرقين، فإليكها مشفوعة بأسماء أصحابها :

على سبيل المثال لا الحصر قول (غلادستون) في معرض حديثة عن المسلم : (إنه الإنسان الذي لا إنسانية فيه)

ويقرر المسيو كيمون : (أن الديانة المحمدية جذام بين الناس، أخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً، بل هي مرض مريع).

ويقول لطفي لوفنيان : (إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح).

ويذكر كارل بروكلمان ـ متناسيا كل سماحة الإسلام ـ : (يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين، حيث وجـدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني).

ويقول وليم موير (إن سيف محمد والقرآن هي أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا)

وتيودور نولدكه أوصله علمه إلى « أن سبب الوحي النازل على محمد، والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع »(١٦).

هذه عبارات يفوح منها الافتراء بقدر يؤسف القارئ . إن كل هذا ما هو إلا غيض من فيض مما قد امتلأت به كتابات ومصنفات كثير من المستشرقين .

وما أردنا بإيراد مثل هذه الكلمات البذيئة المغرضة إلا عرض صورة صغيرة، ملتقطة من مجموع كتب المستشرقين لتوضيح موقفهم وطبيعة نظرتهم ولعل دراسات

أمثال هؤلاء جعلت عديد الدارسين يقولون مع المستشرق المسلم محمد أسد عند تقييمه للاستشراق«إن ضرره، أكثر من نفعه»(١٧).

ثانياً: القسم الموضوعي :

لايفوتنا في هذا المقام أن نورد الصورة الأخرى، من صور التناول الاستشراقي للإسلام وقضاياه غير أنها ـ وكما سنرى ـ جاءت بشكل موضوعي خلوٍ من أوحال العصبية وغبش الحقد الإيديولوجي .

من أهم المثالات النصية للصورة الموضوعية ما جاء على لسان غوستاف لوبون عندما قال : (كان تأثير العرب في الغرب عظيما للغاية، فأوروبة مدينة للعرب بحضارتها، ونحن لانستطيع أن ندرك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوروبة عندما أدخل العرب الحضارة إليها) . ولا يخفي ما في كتابه-أي لوبون- المهم (حضارة العرب) من إنصاف للعرب وحضارتهم (١٨).

وهذا(سيديو) يقول (ولقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل، إن عاجلا أو آجلا).

ويقول نيكلسون : (أعمال العرب العلمية اتسمت بالدقة وسعة الأفق؛ ولقد استمد منها العلم الحديث ـ بكل ما تحمل هذه العبارة من معان ـ مقدماته بصورة أكثر فاعلية مما نفترض»(١٩).

وهذا (هيجل) الفيلسوف الألماني « الذي عرفت عنه آراؤه الناقدة لجميع الأديان في كتابه (لغز العالم) نجده يقول في الإسلام : يجب علينا أن نعترف بأفضلية الدين الإسلامي على كل الأديان السماوية...، فقد احتفظ بعقيدة التوحيد خالصة احتفاظا لا مثيل له في الديانتين اليهودية والمسيحية ... يظهر هذا حتى الآن في أدعية

المسلمين وصلاتهم وخطبهم، وفي كل أركان شعائرهم» (٢٠).

وفي هذا السياق تأتي أقوال الأديب الأيرلندي (جورج برنارد شو) عن الإسلام ونبي الإسلام، رغم عدم إطلاعه الواسع على الدين الإسلامي وشريعته، فهو يقول (لو قدر لرجل مثل محمد أن يتولي قيادة عالمنا المعاصر؛ لتمكن من حل مشاكلة على النحو الذي يكفل له السلام والسعادة المنشودين، .... وقد كان رده ـ أي شو ـ عندما دعي للإسلام إنني أومن بإسلام النبي محمد وإسلام الخلفاء الراشدين، وليس بإسلام مسلمي هذا العصر (٢١).

وفي صورة ردة فعل على حملات التشويه والتدليس غير الموضوعية التي أنشأ يبثها كثير من المستشرقين والكتاب غير المسلمين، ينادي (توماس كارليل) في كتابه الإبطال يقول : »لقد أصبح من اكبر العار على أي فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغي إلى من يظن أن دين الإسلام كذب وأن محمدا خداع مزور...فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً».

وعندما خرجت مقولات عديدة من تحت عباءة بعض المستشرقين تقول : إن محمداً نبي الإسلام، هو المسيح الدجال، قام برنارد شو؛ وتصدى للقائلين بهذه المقولة وقال : «إن الكتاب الذي نزل على محمد ،وأخلاق محمد وتعاليمه التي تركها، كل هذه المعالم تقول إن محمدا لم ولن يكون دجالا في أي وقت من الأوقات، فهو إنسان فاضل كامل والذي جاء به لا يمكن أن يكون مصدره بشرا » (٢٢).

إن من يسمع هذا الكلام مقطوعا عن مصدره وقائله، لا يداخله ريب في أن قائله واعظ أو داعية مسلم قلبا وقالبا، وليس الأديب (جورج برنارد شو).

على الرغم من هذا كله يحرص كثير من أقطاب الاستشراق على طمس كل فضل لأمتنا في عقيدتها وتاريخها وأثرها في الحضارة الإنسانية، وحينما ألف (ناصر الدين دينيه) كتابه (محمد رسول الله) ثارت ثورة المستشرقين، لأنه لم يعبأ بما كتبوا،

ولأن اعتماده إنما كـــان على مصادر إسلامية، وكـتاب مسلمين ،كابن هشام، وابن سعد.

وقد نبه (دينيه)إلى أن الافتتان بالمستشرقين لا أساس له وهذا أمر طبيعي، لأنهم أساتذة في فكر رفضوه، وعقيدة ألحدوا بها، وأمامهم حضارة يحرصون على إدانتها وهضمها حقها وعدم توضيـــح معالمهـــا الحقيقية لاسيما في الصعيد الأكاديمي.

ومما قاله (روجيه غارودى) : (لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة حتى في الجامعات الغربية، وربما ما كان هذا مقصودا مع الأسف)[٢٣] . ويفسر هذا – أي عدم دراسة الإسلام على حقيقته ـ كثيرا من المواقف والآراء المجحفة بحق الإسلام، فما دام الإسلام لم يدرس دراسة صحيحة عند الغرب، فطبيعي أن تكون آراؤهم تجاهه، حاملة لطابع العداء، والسلبية ؛ مصداقا لقول من قال: المرء عدوٌّ ما جهل.

من ثم فقد كان للإسلام ودراساته، نصيب كبير كما علمنا من الافتراءات والتلبيسات التي حاكها كثير من المستشرقين، فضلا عن المبشرين النصارى في سبيل النيل من هذا الدين الخالد، والكيد له بشتى الطرق من بث فتنٍ، ونشر شبهٍ، وزرع تشكيكات، كل هذا كان صورة لإسقاطات كثير منهم.

إن لنا أن نسمي ما بدر من كثير من المستشرقين إسقاطا والإسقاط (projection) كما هو معلوم في علم النفس «حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه، ونقائصه، ورغباته المستكرهة، ومخاوفه المكبوته التي لا يعترف بها، إلي غيره من الناس، والأشياء، أو الأقدار أو سوء الطالع ..الخ ؛ وذلك تنـزيها لنفسه، وتخففا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب»[٢٤].

هذا ما نراه منطبقا على عدد كبير من المستشرقين الذين تصدوا للبحث في

الدراسات الإسلامية، والكتابة على دين الإسلام الخالد .

خـاتمـة

هنا نختم بحثنا الذي أفضى بنا إلى أن مرد القصور التناولي الاستشراقي جاء ناتجاً عن عدة من البواعث والأسباب التي كان بعضها منهجياً ،وبعضها ذاتيا، متصلاً بذوات الباحثين وأغراضهم الخاصة.

كما أوصلنا البحث إلى توكيد واقع الاختلاف بين أفراد المستشرقين وتوكيد أنهم في مجملهم ليسوا على نهج واحد، ولا بروح واحدة ؛ مما أوجب أن نقسمهم إلى قسمين :

١ – موضوعي أمين.

٢– غير موضوعي مغرض.

ومما أحرص على توكيده، وإرساخه في كلامي، أن المستشرقين برغم كل مناقصهم ومثالبهم، كانوا روادا في البحث العلمي، وتجديد مناهجه ،وتحقيق مصادره، وتحليل بوادره، وتدقيق موارده. كل هاته الأشياء كان لكثير من المستشرقين فضل عظيم في بثها وسط البيئة العلمية، والثقافية العربية والإسلامية الحديثة.

*** هوامش البحث ***

١– انظر نقد روجيه غارودى للاستشراق في: غارودى والمشكلة الدينية / محسن الميلي ص ٢٠٠ و بعدها .

٢ – انظر للتفصيل: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية – ساسي الحاج ٢/ ٢١٤.

٣ – دفاع عن السنة – محمد أبو شهبة : ص8

(*) فيلسوف ولد بالاسكندرية في أسرة تنصرت وسافر إلي فلسطين واضطهد ومات في صور .

٤ – انظر تاريخ الفلسفة اليونانية / يوسف كرم . دار القلم . بيروت ص 276.

٥ – روجيه غارودى والمشكلة الدينية / محسن الميلي ص٢٠٢.

٦ – الظاهرة الإستشراقية ٢/ ٢١٤.

٧ – انظر تسامح الإسلام وتعصب خصومه شوقى أبوخليل ـ منشورات مؤسسة مي للطباعة التوزيع ١٩٩٠. ط١.

٨ – صحيفة الأسبوع الثقافي لقاء مع محمد أسد ص٨ فبراير ١٩٧٦.

٩- – القرآن والنبي، ص٣٩٨ .

١٠ – نفسه ص ٣٢٩.

١١ – ضوابط الرواية عند المحدثين – صديق البشير نصر، ص ٢٨٣.

١٢ – خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة . محمد دسوقي. مجلة كلية الدعوة الإسلامية ص 75.

١٣ – نفسه.

١٤ – للاطلاع على أمثلة لذلك انظر ـ ضوابط الرواية عند المحدثين ـ صديق نصر ـ ص٢٨٢.

١٥ – ترجمة د محمد عبد الهادي أبوريده .تحت عنوان(الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) لجنة التالف والترجمة بالقاهرة ١٩٥٧.

١٦ – انظر هاته النقول في: أضواء على مواقف المستشرقين ـ شوقي أبوخليل. ص٥ – ٦.

١٧ – صحيفة الأسبوع الثقافي لقاء مع محمد أسد ص٨، ١٩٦٧.

١٨ – ترجمه (عادل زعيتر) عام ١٩٤٥ عن الفرنسية وطبع بطبعة ثالثة عربية ١٩٧٩ وكانت الثانية سنة ١٩٤٨ الأولى ١٩٤٥ وكتب عنه شوقي أبو خليل دراسة في سلسلة في الميزان (عن غوستاف لوبون).

١٩ – نفسه ص ١٠.

٢٠ – نفسه، ص١٠.

٢١ – كتاب الأبطال– ترجمة محمد السباعي – دار لرائد العربي – بيروت ط٤ – ١٩٨٢ص٥٤. نقلا عن مقال : أثر اليهودية والصهيونية على الاستشراق– مقال لمحمد الزيادي بمجلة رسالة

الجهاد ص١١٨.

٢٢- نفس المصدر السابق ص٣٦.

- ٢٣ - نفسه ص٩.

٢٤ - أصول علم النفس - أحمد عزت راجح - دار المعارف - القاهرة. ص٥٦٢.

الإمام زين العابدين عليه السلام في فكر المستشرقين

(دراسة وتحليل)

■ كريم جهاد الحسّاني(*)

مقدّمة

لقد أصبح الاستشراق اليوم علماً له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته، وأغراضه وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته، فصار حقاً على الباحث أن يُعنى بتحديد المفاهيم والأفكار التي تبّنتها تلك الأقلام؛ إذ لعب الاستشراق دوراً خطيراً في حياة الأمة الإسلامية، عبر قرون طويلة، وكان له من النتائج السلبية والإيجابية ما يعرفه المتخصصون في الدراسات الاستشراقية والمثقفون وغيرهم .

وتناولت نهضة المستشرقين التراث الاسلامي عن طريق جمع الوسائل المتاحة في الحصول على المعلومات، ولم يقفوا منه عندها فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى دراسته وتحقيقهِ ونشره وترجمته وتصنيفه من حيث النشأة والتطور .

(*) جمهورية العراق – النجف الأشرف.

ونحنُ اليوم بصدد الدراسة الاستشراقية للتاريخ الإسلامي وتحديداً عن عميد من عمداء آل محمد صلى الله عليه وآله ألآ وهو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وقد حاولنا فيها تناول آلآراء ودراستها وتحليلها عن هذه الشخصية العظيمة تحت مَظلة المفكرين من المستشرقين، وما أخرجوا لنا من أفكارٍ وآراء قد عُنيَ بعضهم بدراستها دراسة دقيقة من كل الجوانب، والآخر قد مرَّ عليها مرور الكرام.

وقد أَقمنا على هذه الدراسة عدة مقدمات أساسية لرفد هذا البحث من خلال بيان مقام شخصية الإمام علي زين العابدين عليه السلام، أما ما وردَ من الآراء الاستشراقية، فكانَ لِزاماً علينا وضع اللمسات الحقيقية؛ لذلك تمَّ طرح تلك الآراء ودراستها دراسة تحليلية بعيداً عن الحقد والعصبية للوصول إلى الحقيقة التاريخية التي لابد للباحث منها.

الفصل الأول

هوية الامام زين العابدين عليه السلام في المنظومة الاستشراقية

ربما يقول البعض إنَّ المعلومات المتوفرة عن حياة الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وسيرته الشخصية عند مؤرخي المستشرقين قليلة جداً لا تتناسب مع ما قامَ به من الأدوار العلمية والدينية والاجتماعية،إلاَّ إننا ومن خلال مراجعة بسيطة لما كتبهُ المؤرخون المسلمون عن هذه الشخصية العظيمة، وتجاهلهم عن سيرته مقارنةً بما أسهبوا في كتاباتهم شخصياتٍ اسلامية لم يكن لها ذلك الدور الفعّال في التاريخ الاسلامي، عند ذاك ترتفع الغرابة في تجاهل المؤرخين من المستشرقين الحديث عن حياته صلوات الله وسلامه عليه، لذلك عزت المستشرقة الايطالية (لورا فاغليري)[1] أسباب ذلك التجاهل عند مؤرخي المسلمين عن هذه الشخصيات الى أوامر السلطتين

الأموية والعباسية الكف عن ذكر وتدوين مناقب أئمة أهل البيت العقدية والتاريخية، ويُغيّبوا سيرتهم عليهم السلام، ومكانتهم العلمية، قائلةً :

«إنَّ هؤلاء الرواة والمؤرخين كانوا يخافون السلطات الاموية والعباسية ويخشونها خوفاً على مصالحهم المادية، ولهذا السبب غيّبوا مناقب الأئمة الأطهار، وبالغوا كثيراً الى درجة متطرّفة بعدم ذكر أسماء الأئمة»[٢].

إلاَّ إنَّ هذا التجاهل لم يمنع من إسهام بعض المستشرقين الملحوظ في الكتابة عن الأئمة وعلى الخصوص إمامنا زين العابدين عليه السلام. صحيح إنها لا يمكن موازنتها عدداً بالدراسات الاسلامية الاخرى، ولكنها دراسات قيّمة أيضاً، فمثلاً المستشرق الألماني (جيولوس هل)[٣] قدّم بحثاً عن الامام زين العابدين عليه السلام، نشره في كتاب حقّقهُ المستشرق الالماني المعروف (فايل)[٤] سنة ١٩١٥م، درسَ فيه حياة الامام عليه السلام وورعه عن أمور الدنيا[٥].

ونشر المستشرق الايطالي (كابيزوني) دراسة حول عصر الامام عليه السلام وما أولدته الانقسامات والنزعات الشيعية أنذاك،نشرها في مجلة R.S.O سنة ١٩٩١م[٦].

وتُعد دراسة المستشرق الالماني(مادولنك)[٧]من الدراسات القيّمة عن سيرة الامام زين العابدين عليه السلام، نشره في دائرة المعارف الدينية بعنوان : علي بن الحسين، والآخر بعنوان : الامام القاسم بن ابراهيم والزيدية، نشرها في برلين سنة ١٩٦٥م[٨].

ومن خلال ماسنعرضهُ من سيرة الامام عليه السلام الشخصية سيتّضح للقارىء الكريم ما أفرزته المنظومة الاستشراقية من الدراسة عن حياته عليه السلام .

■ المبحث الأول: الاسم والنسب الوضّاح:

اتفقَ المستشرقون على تسميته وتسمية أبيه عليهما أفضل الصلاة والسلام،

وذِكرِ نسبهِ الشريف الذي هو من صميم الاسرة العربية الهاشمية، ومن الذين صرّحوا بهذا النسب: (دونالدسن)[٩] في كتابه : عقيدة الشيعة[١٠]، و(كوهلبرغ)[١١] في بحثه الموسوم : زين العابدين علي بن الحسين[١٢]، و(كوربان)[١٣] في كتابه : الشيعة الاثنا عشرية[١٤]، و(سزكين)[١٥] في كتابه : تاريخ التراث العربي، الذي عرّجَ على نسبه الشريف وأكدَّ على انه حفيد علي بن أبي طالب، قائلاً:

«هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حفيد علي بن أبي طالب»[١٦].

الأُم :

أما أُمّهُ فقد أختلف مؤرخوا المسلمين فيها، فأغلب الروايات من الفريقين أجمعت على أنها فارسية من بنات ملك الفرس[١٧] .

لذلك فقد أكدَّ مؤرخوا الاستشراق على أجمعية هذا القول، ومنهم مؤرخهم المعروف (دونالدسن)، الذي قال :

«ويذكر معظم المؤرخين الذين تطرّقوا الى حياة زين العابدين الخاصة أنّ أُمّه كانت أميرة فارسية»[١٨].

وأشارَ(كونسلمان)[١٩]عندما تطرّق الى حياة الامام عليه السلام إجماع الروايات الشيعية على اختيار الامام علي عليه السلام لولده الامام الحسين عليه السلام أميرة من الفرس، بقوله:

«... وهكذا تقول الروايات الشيعية بأنَّ " عليّاً " ضمَّ لبيتهِ أميرة فارسية وكان ارتقى الأصل الفارسي النبيل بمكانة زين العابدين في نفوس المؤمنين»[٢٠] .

وعدَّ المستشرق الفرنسي(هنري ماسيه)[٢١] انتشار هذا الحديث في البلاد العربية والفارسية وهو أن الحسين بن علي – شهيد كربلاء – كان قد تزوّج ابنة آخر ملك ساساني فارسي، وكانت قد أُسرت أثناء الفتح»[٢٢] .

واكتفى(كوهلبرغ) بسرد تلك الروايات المختلفة التي ذكرها المؤرخون والتي أشارت الى هويتها ومصيرها دون أن يُقيّمَ صدقها أو كذبها علمياً أو يُسلّط الضوء على مفهومها[٢٣].

أما المستشرق(يان ريشار)[٢٤] فقد صرّح بعدم نفيه أو تأكيده لما وردَ من تلك الروايات والتي أحجمَ عن الأخذ بها المؤرخين من رجال الحداثة والذي أطلق عليهم بـ (الثوريين المعاصرين)[٢٥]، قائلاً :

«وما من نصَّ يسمح لنا بتأكيد ونفي هذه القصة، التي يحجم عنا أو عن الأخذ بها، جماعة الثوريين المعاصرين »[٢٦] .

أما الاسم المبارك لهذه المرأة الجليلة فقد وردَ في المنظومة الاستشراقية بعدّة أسماء طبقاً لما اختلف فيه المؤرخين؛ إذ ذكر(كوهلبرغ) في مقالته[٢٧] أسماء عديدة، منها: برّة[٢٨] وغزالة[٢٩] وجيدا[٣٠] وشهربانو[٣١] وشاه زنان[٣٢] الذي هو لقبٌ لها من أمير المؤمنين عليه السلام ومعناه في اللغة العربية:ملكة النساء أو سيدة النساء،وقيل: إنه كان لقبها وعمدَ الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام الى تغيرهِ بـ(شهربانوية)، وتعني: ملكة المدينة أو سيدة المدينة؛ ولربما جاء هذا التغيير لاختصاص هذا اللقب بفاطمة الزهراء[٣٣].

الولادة :

وقع الاختلاف في ولادة الامام عليه السلام زمانياً ومكانياً، فتضاربت الأقوال في الزمان الذي كانت فيه ولادته، فعلى المشهور إنَّ ولادته كانت سنة ٣٨ للهجرة[٣٤]- ٦٥٨ للميلاد، وهو ماذهبَ إليه الالماني الدكتور (سزكين) في كتابه : تاريخ التراث العربي[٣٥].

وذكره (كوربان) باتحادٍ مع سنة ٣٦ للهجرة[٣٦]/ ٦٥٦للميلاد[٣٧]، و(دونالدسن) على إنه قضى سنتين من عمره في زمن الامام علي عليه السلام المتوفى سنة

٤٠ه[٣٨]. وعدَّهُ (كوهلبرغ)[٣٩] مع أنحاءٍ أُخر من سنين: ٣٣[٤٠]و٣٦و٣٧[٤١] للهجرة.

أما مكان ولادته فقيل : إنه ولد في المدينة (يثرب) على المشهور[٤٢]، وهو ما أثبتتهُ أغلب الدراسات الاستشراقية عند ترجمتها للإمام السجادعليه السلام على انه المكان الذي حظي بولادته صلوات الله وسلامه عليه .

ولكن أرباب التحقيق يذهبون الى إنَّ ولادته كانت في الكوفة؛ وذلك لما أجمع عليه الرواة والمؤرخون انه ولد قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين بسنتين[٤٣]؛ إذ لم يُقم الامام الحسين عليه السلام وأفراد عائلته خارج الكوفة طيلة خلافة الامام علي عليه السلام[٤٤].

الكُنية واللقب :

تَرجمَ المستشرق اليهودي(كوهلبرغ) نبذة عن سيرة الامامعليه السلام الشخصية، وقال في مَعرَضِ كلامه عن كُناه صلوات الله وسلامه عليه، إنها وردت على أنحاءٍ مختلفة[٤٥]، وذكر منها : أبو عبد الله[٤٦]، و أبو الباقر[٤٧][٤٨].

أما ألقابهُ عليه السلام فقد أجمعت الدراسات الاستشراقية التي أسهمت بدراسة سيرته الشخصية التصرّيح باللقب المعروف بـ (زين العابدين) الذي أشتهر به، حتى صارَ إسماً يُردّدونه كلما ذكروه في دراساتهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يُلّقبوا به أحدٌ سواه من الشخصيات الاسلامية، كما جاء ذلك على لسان(ريشار) مثلاً، بقوله:

«وقد سُميَّ الامام الرابع علي بن الحسين الذي نجى من مذبحة كربلاء اسم زين العابدين، كلقب لُقبَّ به »[٤٩].

وقد أضفى(هنري كوربان) على هذا اللقب ترنيماتٍ جميلة تنمُّ عن روحية الامام عليه السلام العرفانية، وشارحاً باختصار معانيه، قائلاً :

«علي زين العابدين "زينة المتقين" ، " مَن كان في عبادةٍ دائمة"»(٥٠).

ورفعَ (دونالدسن) من شأن هذا اللقب بجعله الاسم المسجّل له في الجنة، قائلاً:

«واشتهر بالحزن والبكاء بعد شهادة أبيه، وحُسن التعبد، حتى لُقبَّ بزين العابدين، وبهذا الاسم يُنادى يوم القيامة »(٥١).

وأشارَ مُستشرقنا الى لقبٍ آخر(٥٢) أُشتهر به الامامعليه السلام، وكان يعتّزُ به كثيراً، وهو(ابن الخيرتين) لقوله صلى الله عليه وآله : «إنَّ لله من عباده خيرتين، فخيرتهُ من العرب قريش ومن العجم فارس »(٥٣) .

وذكر(كوهلبرغ) مجموعة من الالقاب الاخرى له، وشارحاً لمعانيها على وجه الاختصار، فجاءت هكذا :

«السجاد " الذي يسجد على نحوٍ دائم" ، والزكي " الطاهر" ، وذو الثفنات " يشير الى الثفنات على الجلد في أماكن التي تُلامس الارض في السجود" »(٥٤).

■ المبحث الثاني: مكانتهُ وأقوال المستشرقين فيه:

أدلى رجال الفكر والعلم والمعرفة من المستشرقين على تعظيم شخصية الامام زين العابدينعليه السلام والاعتراف له بالفضل والتفوق العلمي على غيره من عصره، وما قام به في تكوين الثقافة الاسلامية، وتنمية الفكر الانساني، وقد اتفقت كلماتهم على أنه أسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والاسلامي، وأحد أكثر العلماء المسلمين علماً ومعرفةً في عصره، ولعب دوراً بارزاً في تاريخ الاسلام من كلتا وجهتي النظر الدينية والفكرية، فهو قائد وعالم كلام على المستوى العالمي، كما شكلَّ مرجعاً في تفسير القرآن وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وكل ما يتعلّق بشعائر الاسلام وطقوسه وأعرافه، ونعرض هنا الى بعض ما أثرَ عنهم من كلماتٍ قيّمة في الإشادة بفضل هذا الامام العظيم :

١- **كارل بروكلمان**(٥٥) :

« علي بن الحسين زين العابدين، وهو أحسن الناس وجهاً »(٥٦) .

٢- **مونتغمري وات**(٥٧) :

« إنَّ الامام زين العابدين... وضع أُسس الشرعية الدينية للحركة الشيعية بحسب مفهوم الولاية »(٥٨) .

٣- **دوايت دونالدسن** :

« هو من البكائين الخمسة أو الستة في تاريخ العالم »(٥٩).

٤- **هنري كوربان** :

« علي زين العابدين السجاد زينة المتقين »(٦٠) .

٥- **إيتان كوهلبرغ** :

« علي برهنَ على رحابة الصدر حتى مع مَن أخطأ بحقد »(٦١) .

أبيات مديح الفرزدق في ذاكرة المستشرقين :

يوصف الفرزدق من شعراء العرب الكبار ممّن غمرتهُ قيمُ أهل البيت عليهم السلام وآمن بسمو ذات الامام زين العابدين عليه السلام وقداسته، وقد إنبرى في ميميته الخالدة التي إرتجلها للإشادة بمواهب الامام عليه السلام المعرفية، وذلك حينما أنكر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك معرفته أمام أهل الشام لئلا يفتتنوا بمعرفة الفرزدق لهم، وعلى أثرها أُعتقلَ وأودعَ السجن. والقصيدة تربو على (٢٧) بيت، مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعـــرفهُ والحـل والحرم

وتميّزت هذه القصيدة على بقية الشعر العربي بالخلود على امتداد التاريخ؛ لذلك لم تَغب عن ذاكرة المستشرقين، لما لها من المديح العالي لمكانة ومقام الامام زين العابدين عليه السلام، وإنسجام أبياتها بهذا اللون من الجمال؛ فالمستشرق الالماني المعروف

(جيولوس هل) قدّمَ بحثاً مهماً عن الشاعر الفرزدق والامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، نشره في كتابٍ حققهُ المستشرق الالماني (فايل) عام ١٩١٥م[٦٢].

كما أثبتَ هذه القصيدة ونسبتها(بروكلمان) في موسوعته لتاريخ الادب العربي، وأشادَ بوفاء الفرزدق للامام السجاد عليه السلام رغم الروايات الادبية التي قدحت في خُلق الشاعر واستخفافه بالدين والمقدسات على حدِ قوله[٦٣].

وأكدَّ صحة نسبة الأبيات الشعرية التي تظمنّت مديحاً للامام عليه السلام وإنها من نظم الفرزدق، المستشرق(هيورت)[٦٤] في كتابه الموسوم: تاريخ الأدب العربي، بقوله:

«كان الفرزدق أحد المناصرين لأحفاد النبي محمد وأحقيّتهم في الحكم، كان موقفه مُشرّفاً من خلال النظم الشعرية التي تضمّنت مديحاً للامام زين العابدين، ولقد سُجنَ نتيجةً لذلك»[٦٥].

واستنتجَ (دونالدسن) حراجة موقف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وغضبه من وجود الفرزدق الشاعر ونظمه قصيدة في مدح الامام زين العابدين عليه السلام، حينما جاء ليطوف حول الكعبة والتقى الجميع في الحج[٦٦].

أما المستشرق (كوهلبرغ) فقد شككَ في نسبة هذه القصيدة ونسبتها للفرزدق وبحضور هشام بن عبد الملك بن مروان، حينما قال :

« روي هذا المديح بصيغٍ مختلفة، يُحكم أن تكون غير موثوق بها على الأغلب أو بصورة تامة »[٦٧].

ونحسبُ أن (كوهلبرغ) قد تأثر بكلام أبي الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني، وتشكيكه بنسبة هذه القصيدة دون أن يُعيّن بالدليل الشاعر الذي تُنسب اليه[٦٨]، مع تظافر الروايات كُلّها على نسبتها للفرزدق، وعدم محاولة الاصفهاني الطعن في الرواية بتكذيب رواتها، وقد علّق على هذا التشكيك الشيخ محمد أبو زهرة[٦٩]، فقال :

«وإنّا لانرى ذلك الشك سائغاً أو يتفق مع المنهاج السليم في دراسة الروايات»[٧٠].

مسار العلوم وتأريخ الشيعة في عصر الامام عليه السلام :

كان دأب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد واقعة كربلاء نَشر ما حلَّ بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، إذ قضى الامام زين العابدين عليه السلام سنيّ حياته بالبكاء على أبيه، بعد أن كان الناجي الوحيد مع الاطفال والنساء في واقعة كربلاء كما يقول الفرنسي (إنطوان صفير)[٧١] :

« قُتلَ – الحسين – هو وأصحابه وأفراد عائلته فيما عدا الأطفال والنساء وأحد أبنائه الذي كان مريضاً هو علي بن الحسين السجاد »[٧٢].

وشهد عصره أحداثاً جساماً، وثوراتٍ عارمة؛ لكونه مرحلة انتقالية خطيرة في تاريخ الاسلام، فانقسم فيه الناس الى شطرين، شطرٌ من الناس الى العلم، وشطرٌ الى السياسة، ممّا حدا بالامام عليه السلام أن يكون في عُزلة عن هذا التطاحن الدنيوي مبتعداً عن السياسة. وهو ما عرضهُ المستشرق (فايل) من موقفه رفض التدخل في الامور السياسية، بل عدم الانشغال بتلك الاحداث بعدما شهدَ من الآمٍ ومحن على إثر فاجعة كربلاء التي تُثير في أعماقه كل مشاعر الحزن والأسى، وبعد أن عانى ما عانى وهو مريضٌ من الآم التعذيب والقيود التي سلّطها العُتاة الامويين[٧٣].

وهذا ما أكدت عليه المستشرقه (الرزينة ر. لالاني)[٧٤]، قائلةً:

« دفعت الصدمة التي أحدثها اختبار كربلاء، بابن الحسين علي زين العابدين، الى تجنّب الانغماس في السياسة بأقصى مايستطيع. فعندما ثار أهل المدينة ضد يزيد سنة ٦٣ه / ٦٨٣م، ترك زين العابدين المدينة الى أرضٍ له في ضواحيها[٧٥]. وعندما هزمَ جيش يزيد بقيادة مسلم بن عقبة أهل المدينة، فيما بعد، في معركة الحَرة، وحاصر المدينة ونهبها، لم يتعرّض زين العابدين وأُسرته بسوء. وهناك علاوةً على ذلك، دليل على ان زين العابدين أُعفي من مبايعة يزيد في حين أُكره بقية سُكّان المدينة الاخرين على فعل ذلك[٧٦] »[٧٧].

ثم تقول: «وحافظ زين العابدين في خضّم هذا الصراع على الخلافة، على موقفه الحيادي، وكانت الكوفة لاتزال تضم العديد من الشيعة الذين رغبوا في القيام بشيءٍ ما، على الرغم من فشل التوابين »(٧٨) .

وسارَ على هذا الرأي المستشرق (كوهلبرغ) من ان الامامعليه السلام تَبعَ سياسة الصمت جرّاء تلك الأحداث السياسية فكانت علاقته بالسلطة الحاكمة آنذاك غير متوترة لدرجة أنهم لم يُجبروه على مُبايعة يزيد بعد وقعة الحرّة(٧٩) .

فأغلب الدراسات الاستشراقية تذهب الى أنّه عليه أفضل الصلاة والسلام لم يُبرز على الساحة الاسلامية سياسياً، كما قال الالماني (هاينس هالم)(٨٠) :

« توفي – زين العابدين بن الحسين – سنة ٩٤ه / ٧١٣م من دون أن يبرز سياسياً »(٨١)

نشوء الحركة العلمية :

يكاد يتفق المؤرخون من المستشرقين على إنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام إنكبَّ على الشؤون الدينية ورواية الحديث والتعليم، وأنّ مهمته كانت الانصراف الى بث العلوم وتعلّم الناس، وتربية المخلصين. فرغم الانعزال السياسي إلاَّ ان الشيعة كانت ترجع إليه في شتى المسائل حتى غدا بيته والمسجد النبوي معهداً لطلاب العلم من أهل المدينة والوافدين من كل مكان، فتخرّج العلماء والفقهاء من مدرسته العلمية(٨٢).

لذلك يرى المستشرق(كوهلبرغ) في مقالته التي تُرجمت الى اللغة العربية، ونُشرت في المجلة المعروفة (دراسات استشراقية)، إنَّ هذا الانعزال والقعود أسس للدعوة الدينية للإمامعليه السلام وأصحابه، وتمكنوا من تأسيس أساس للامامية، قائلاً :

« وبعد هذه الحادثة – كربلاء – رجع الابن المتبقي من ذرية الحسين (أي زين

العابدين) الى المدينة وبدأ مع أصحابه فترة القعود. فقد ذهب هؤلاء الى إنَّ الافضل هو الانتظار الى أن يُهيىء الله تعالى زماناً لتحقق تلك الاطراف، وبعد انعزالهم عن القيام لتسلّم الحكم، بدؤوا بتوسيع نطاق الدعوة الدينية في رسالتهم بقوة، وبهذا تمكنوا من تأسيس أساس للامامية بوصفها حركة مستقلة ومتمايزة »(٨٣).

وانبرى الامام عليه السلام في تلك الفترة التصدي الى جمع الحديث وتدوينه بسبب المنع الحكومي آنذاك من رواية الحديث ونقله وكتابته، فتخرّج من مدرسته مجموعة كبيرة من الرواة نقلوا عنه الحديث ونشروه كما يذهب لذلك (كونسلمان)، إذ يقول: «كان له كثير من التلاميذ، فقد انتشر مذهب التشيع في عهده انتشاراً كبيراً»(٨٤) .

وقد عُرفَ الامام السجاد عليه السلام من رجال الثقة عند أهل الحديث، كما قال ابن سعد في الطبقات : كان « ثقةً مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً»(٨٥)، وقد أكثر من نقل الحديث وروايته حتى أفاد علماً جماً، كما قال النسابة العمري(٨٦).

وانطلاقاً من كونه صلوات الله وسلامه عليه من رواة الحديث فقد ذكره المستشرق(سزكين)، حينما قال: « وروى عن والده وعمّه الحسن، وابن عباس وابي هريرة، وعائشة وغيرهم. وروى عنه ابنه زيد، والزهري، وغيرهم، وقد مدحه الزهري بأنه أكبر فقيه»(٨٧)،(٨٨).

الفصل الثاني

إمامة علي بن الحسين عليه السلام رؤية إستشراقية

■ المبحث الأول: الإمامة في الدراسات الاستشراقية:

الإمامة واحدةٌ من تلكمُ التحولات الخطيرة التي شهدت وضعاً دينياً مختلفاً بين المسلمين، فهي ليست مسألةٌ عابرة سطحية إحتوت البساطة في مجرياتها، بل كان

لها الأثر الأكبر عمقاً في إمتداد الرسالـة الإسلاميـة والأكثر تأثيراً في سير خطّها الطويل.

وحيث إنَّ مسألة الإمامة تتعلق بجوهر الرسالة السماوية وتكملة الإنجازات النبوية التبليغية، وتكمن في إبراز وصاياها التي لا تنقسم ولا تفترق عن الأوامر القرآنية التي صدرت عن الباري عزوجل في إثبات القوانين اللازمة على صاحب تلك الرسالة النبي محمد ﷺ ، ومن ثم على المسلمين الالتزام بها والسير عليها وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾(٨٩)؛ لذلك فقد حدد القرآن الكريم الواقع السياسي والهيكلية الإدارية للمسلمين في حالة انتقال المُبلّغ الأول وصاحب الرسالة إلى الباري عزوجل، ولم يشأ أن يضع المسلمين في حالة الحيرة؛ لأنّ القرآن الكريم كان قد رسمَ الخطوات الأساسية المهمة للمسلمين، وليس من الصحيح أن يتركهم سداً يقعون في غيّهم وحيرتهم .

ولكن في حالة عدم التزام المسلمين بما صدرَ عن المُدبّر الأول وواضع القوانين لهذا الكون، فإنّ الويلات سوف تحِلُّ بهذا المجتمع الذي سوف ينحدر إلى الهاوية، وهذا ما حدث بالفعل وأدى إلى سلسلة من الصراعات والنزاعات بين المسلمين أنفسهم الذين رفعوا شعار «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله» ، والتي هي راية بني هاشم، وراية بني أُمية، بعد أن أولدت خلافات عميقة كانت أسبابها تتعلّق باليوم الأول الذي رحلَ فيه المبلّغ للرسالة الإلهية .

وقد أسهمت بعض الدراسات الاستشراقية لمحور الإمامة في بيان الخطوط العريضة والواقعية لمعتقدات الشيعة أمام العالم، ولم تقتصر تلك الدراسات والتوجهات على مدرسة من المدارس؛ بل اتسعت اهتماماتها على عدد من المدارس الاستشراقية، كالمدرسة الألمانية أو المدرسة البريطانية أو المدرسة الفرنسية أو المدرسة الأمريكية، وهكذا في بقية المدارس الأوروبية .

لذلك فقد أنجبت تلك المدارس عدداً لا بأس به من الدراسات القيّمة في هذا المحور – الإمامة –، إذ جاءت تارةً في بحوث مستقلة، وأخرى وردت ضمنية من خلال الدراسات المتعقلة بعقائد الشيعة، ومن تلك المدارس الذائعة الصيت هي المدرسة الألمانية، فجاءت دراسات المستشرق الألماني (اشتروطمن)[٩٠] والتي تناولها في كتابة المعروف « الزيدية»، الذي ألفه سنة ١٩١٢م، مصدراً مهما للمستشرقين الألمان من بعده، ثم تأليفه بعد عشر سنوات أي سنة ١٩٢٦م كتابه «الشيعة الإثني عشرية»[٩١] مستنداً ومعتمداً على المصادر الشيعية في بيان نظرية الإمامة.

أما بحوث المستشرق (مادلونغ) المثيرة للجدل فقد ركّزت على عقيدة الشيعة في الإمامة والتي نشرها في دائرة المعارف الدينية بعنوان «الإمامة»، وأشارَ فيها إلى ان الإمام عند الشيعة هو قائد السلطة الإلهية والسياسية في آنٍ واحد بما يعادل مفهوم divinely guider، ثم كتب بحثاً آخر في دائرة المعارف الاسلامية تحت عنوان«إمامة Imama»، تناول فيه نظرية الامامة عند مختلف الفرق الاسلامية. ووقف عند هذا المحور في بحوثه الخاصة عن العلامة الطوسي ورسالته الموسومة بـ«رسالة في الإمامة».

وقام المستشرق الالماني (كارل هاينرش)[٩٢] بدراسةٍ وقفَ فيها على عقيدة الشيعة في الإمامة تحت عنوان «إمامة»، وهي دراسة لكتاب «الامامة» للمرحوم محمد جواد مغنية الذي طُبع بعنوان : «الشيعة والحاكمون» .

وأسهمت المدرسة البريطانية في ميدان عقيدة الشيعة في الإمامة، فكان المستشرق (دوايت دونالدسن) أول مَن كتبَ كتاباً كاملاً حول التشيع حملَ عنوان : «عقيدة الشيعة»، وهي رسالته التي قدّمها في الدكتوراه عن الأئمة الاثني عشر، وقد ضمّنهُ بحثاً خاصاً في وجوب الامامة .

وقدّمت الدراسات الأمريكية في الإمامة وما يتعلق بها، بحوثاً مهمة كانت هي الأخرى الى جانب أخواتها من المدارس المتقدّمة مرتعاً للتحليل والتمحيص عنه، إذ

صدرت عدد من الملفات كان أهمها ما كتبه المستشرق تكاميتسو سشيامتو كتابه «القيادة أو الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية»(٩٣) .

أما المدارس الاستشراقية الأخرى الأوروبية وغيرها، فهي الاخرى أسهمت في تخريج دفعة من المستشرقين أخذوا على عاتقهم دراسة الامامة عند الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى،إذ قدّمَ المستشرق الإيطالي(كابيزون) بحثاً عن الكيسانية والامامية حول مسألة الامامة في حال أبو خالد الكابولي(٩٤)، ونشر الدراسة سنة ١٩٩٢م(٩٥).

وظهر لنا المستشرق الارجنتيني(لويس البيرتو فيتور) بدراسة قيّمة نقدّية عن الاسلام الشيعي أفردَ فيها فصلاً حول مسألة الإمامة، فضلاً عن ولاية الأئمة والسلطات الدينية والدنيوية وقد لعب الحوار مع الديانات في القرن الحالي دوراً مهماً في تقارب الثقافات ومعرفة الأفكار، وقطعَ أشواطاً بعيدة، وبفترة زمنية قصيرة؛ وذلك لما بيّن من الحقائق الناصعة التي كانت خافية على أذهان أغلب المستشرقين من الباحثين .

وكان للحوار المسيحي – الإمامي على وجه الخصوص، الأثر الواضح في تنمية العلاقات الفكرية؛ وذلك من خلال المؤتمرات التي فتحت باباً لطرح المرتكزات الدينية الاسلامية العقائدية ومنه محور – الإمامة – ؛ إذ تَطلّبَ تجديداً في الفكر الديني والموقف من الآخر، ومن ثمَّ وضوح السيرة وبيان العقيدة الحقّة من المنبع الأصلي .

وهنا يبرز دور أتباع أهل البيت عليهم السلام والسائرين على نهجهم، فالإمامية لم يقفلوا باب الاجتهاد، وفي فقههم القدرة على التكيّف مع العديد من المستجدات؛ لذلك كانت أهم نتائج تلك الحوارات هو إلتفاف المستشرقين الأوربيين الى التعرّف على هذا المحفز الديني؛ عندها صار التشيع الإمامي على وجه الخصوص موضوع الدراسة في عدد من المؤتمرات المهمة، ومنها مؤتمر (بترسبورغ) وباريس في نهاية الستينيات من القرن العشرين، وقد حضره عدد من علماء الدين لتدارس واقع وطبيعة مذهب الإمامية الإثني عشرية، وقد أُلقيت فيه بحوث قيّمة في الفرنسية والانكليزية

والايطالية وغيرها من اللغات عن التشيع الإمامي، وعقيدة الإمامية .

والأكثر أهميةً أنّ مؤتمراً آخر أعقب هذا المؤتمر تمَّ عقده في باريس أيضاً عام ١٩٧١م بعنوان : (التشيع الإثني عشرية) طُبعت بحوثه في جزأين، وكان للاستشراق الأوربي في المؤتمر حضوراً فاعلاً(٩٦).

الإمامة في فكر المستشرقين :

وقد انطلق بعض عُلماء المستشرقين من زاوية « الإمامة » في دراستهم الأولية للدخول إلى منّصة الخلافة وتعيين النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام خليفةً على المسلمين، وإن البناء الإلهي الذي وضعه لمحتوى الإمامة كان له دوراً مهماً في توطيده والتركيز عليه عن طريق كتابه المقدس القرآن الكريم، وقد وصفَ الإيمان بالرسالة السماوية للنبي محمد صلى الله عليه وآله من الركائز المهمة لهذا البناء

ومن هذا المنطلق بدأ أحد أعظم الباحثين والمفكرين المستشرقين في القرن العشرين والحاصل على لقب « العلاّمة » وهو (ميرسيا إلياد)(٩٧)، يُخطط وبشكل تفصيلي فيما يتعلق بإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبرزت رؤيته الأولى بإيمان أول شخصين، ذكر وأنثى، آمنا بالرسالة الإسلامية هما خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله ، والإمام علي عليه السلام ابن عمّه(٩٨).

وهذا الاتجاه الذي خاضَ فيه المؤرخ (إلياد) لم يكن غريباً عمّا تسالم عليه الباحثون في التاريخ الإسلامي من أنهم أي خديجة وعلي، أول مَن آمنوا برسالة النبي صلى الله عليه وآله ، لكن إصراره وإيمانه بأن علي هو الرجل الأول كان رادعاً على تأكيد وتصريح بعض مفكري المسلمين عن مسألة أول الناس إيماناً هو علي عليه السلام، لكنه كان صبياً، لذلك لم يعتبروه من الرجال الأوائل الذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وآله ووصفوا غيره بذلك(٩٩)، وهم بتلك الصفة الصبيانية يريدون أن يخضعوا إيمان علي عليه السلام إلى الإيمان العاطفي الذي شاركَ به ابن عمّه، لا الإيمان العقلاني بالدعوة المحمدية .

وقد ربط (إلياد) كغيره من المفكرين المستشرقين بشأن خلافة الإمام علي عليه السلام بحادثتي إيمانه وبيعته الأولى المعروفة بـ« بيعة الدار » والتي أنتجت عن تعيينه خليفةً له على المسلمين في المستقبل، وانه الشخص الجدير بحمل أعباء مسؤولية الرسالة المحمدية.

وهذا بالفعل ما أراده الباحث من دمج فكرة الإمامة بفكرة الإيمان وتوصّل من خلالها إلى نتيجة مهمة جداً وحسّاسة تتعلق بقضية استخلاف النبي صلى الله عليه وآله لابن عمّه وزوج ابنته عليّاً عليه السلام وقد اختاره فعلاً لهذه المهمة، قائلاً :

(أن يكون محمداً قد اختار علياً كخليفة)[١٠٠].

وفي كلامٍ لـ (سديو)[١٠١] وصفَ الإمام علي عليه السلام وصفاً منصفاً بقوله:

(وعلي هو من تعلّم حرية الضمير وحضور المجالس المدينة مع ميله إلى القيام بشؤون حياته المنزلية الهادئة، جمع زواج فاطمة في شخصية حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب، ووجبَ على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم)[١٠٢].

أما في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام فقد وصفَ المستشرق (ألفرد جيوم)[١٠٣] عهدهُ بداية الانقسامات التي لم تنته قط بين المسلمين، إذ ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله ومعها طلحة والزبير كانوا معارضين لحكم الإمام علي عليه السلام وقد هزمهم في الموقعة المعروفة باسم (واقعة الجمل)، وقتلَ طلحة والزبير، ولم تكن هذه الحادثة بداية المتاعب فحسب فقد كان هناك خصمٌ آخر وهو معاوية بن أبي سفيان، ابن عم الخليفة المقتول الذي كان عثمان قد عيّنهُ وآلياً على الشام، ممّا حدا به المطالبة بدمه[١٠٤].

آل علي والاستخلاف في الحكم:

لقد تبنت بعض الدراسات الاستشراقية الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي عليه السلام في حكم المسلمين ومن بعده في ولدهِ الحسن والحسين عليهما السلام وذريته عليهم السلام،

وأكدوا على وجهة النظر الشيعية التي تقول بأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد عيّن ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ ذكر المستشرق (ادوارد براون)[١٠٥]، إنّ النبي عيّن الإمام علي كقائد روحي للإسلام كي يخلفه، ثم يصل إلى نتيجةٍ فحواها، إنّ كل من الخلفاء الثلاثة قد اغتصبوا حق الإمام علي عليه السلام بالتوالي، ورغم انه انتخب كخليفة بعد مقتل عثمان إلاّ انه اغتيلَ بعد فترة وجيزة من الحكم المضطرب الذي استمر خمسة سنوات (٦٥٦- ٦٦١ م)[١٠٦] .

وأكدَ المستشرق (ليونارد بايندر)[١٠٧] بأنَّ الخلافة الأموية جاءت بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام واستخدمت الحزم والقمع مع كل مَن يُطالب بخلافة العلويين في إشارةٍ إلى خلافة الإمام الحسن عليه السلام، وإنّ الخلافة الأموية لم تكن شرعية؛ بل الشرعية الحقيقية لجمهرة الإسلام تكون في الأئمة الاثني عشر الذين ينحدرون من سلالة الإمام علي عليه السلام ومن النبي صلى الله عليه وآله عبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام[١٠٨] .

ويشير المستشرق السويدي (سودربلوم) إلى نظرية الأئمة، وانها تستند إلى عددٍ من الركائز، وإنّ التعاقب السماوي لهؤلاء الأئمة نابع ليس من كونهم ينحدرون من عائلة النبي صلى الله عليه وآله ومواهبهم فوق البشرية فحسب، بل لامتلاكهم جوهر نور سماوي، وهي قوة إلهية من الله سبحانه وتعالى، وانها روح الله التي انحدرت من آدم عليه السلام إلى سلسلة من الرجال الإلهيين ووصلت إلى سلف النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام عبر فاطمة، لتنتهي هذه السلسلة بالإمام الغائب عليه السلام الذي سيظهر في آخر الزمان[١٠٩] .

رؤية المستشرقين في إمامة زين العابدين عليه السلام :

إنَّ حقيقة إمامة الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام من ثوابت الدين الاسلامي الحنيف عند الإمامية، ومن البديهيات التي لاتقبل الجدل والشك؛ لقيام النص في تعينه على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام [١١٠].

وقد كثُر الجدل في الاعتراف بإمامته عليه السلام عند الفرق والتيارات

الاسلامية في عصره صلوات الله وسلامه عليه، فالكيسانية قالت بإمامة محمد بن الحنفية، والزيدية قالت بإمامة ولده زيد، ومذاهبٌ شتى أخذتهم الأهواء هُنا وهناك في تعيين الامام المفترض الطاعة.

لذلك ولجَ المستشرقون الخوض في غمار هذه الاختلافات لما للإمامة من أهمية كبرى في الوسط الديني، وبيّنوا رؤيتهم المعرفية عن واقع المسلمين أنذاك، إذ توّصلوا الى إنَّ أهم ما يُميّز الفكر الشيعي عن غيرهم من المسلمين عقائدياً وسياسياً هو مفهوم الإمامة، وهو ما تطرّق إليه(أنطوان صفير) في بحثه الموسوم : (الاسلام ضد الاسلام)، وإنّ الامام المنصوص عليه من الله تعالى بالنص وبالتالي فهو معصوم عن الخطأ، وإنَّ الإمامة متوارثة حيث ينص كل إمام على من سيخلفه بالاسم الصريح تفادياً للإشكال الذي حدث بعد وفاة النبي، وإنّ الأمر يبقى محصور بنسل النبي وذريته من فاطمة ابنته وعليٌ صهره وابن عمه وربيبه ويستمر في نسل الحسين بن علي حصراً(١١١).

إلاّ أنّه وبعد أحداث كربلاء الدامية من قتل الامام الحسين عليه السلام وذريته وأصحابه سرعان ما انقسم الشيعة في تولي الإمامة، وهنا يُصوّر لنا المستشرق (دونالدسن) هذا الانقسام الشيعي الى كيسانية يُرجّحون تولي الامامة محمد بن الحنفية، وإمامية يتمسكون بوصية الامام الشهيد لإبنه علي زين العابدين(١١٢) .

وكان نتيجة هذا النزاع ظهور مبدأ الوراثة في سلطة الإمامة كما ذهبت اليه المستشرقة (الرزينة ر. لالاتي)، بقولها :

« لم يكن هناك من نزاع حول الزعامة بين الشيعة أنفسهم حتى زمن الحسين. فبعد مأساته برزت الاختلافات التي أفضت الى قيام ونشوء مجموعات شيعية متنوعة. وقد اعترفت هذه المجموعات بأئمة تسلسلوا بشكل رئيسي من ذرية الحسين ابن علي من زوجته فاطمة، وذرية محمد بن الحنفية، ابن علي من زوجته خولة من قبيلة بني

حنيفة، وبقيت هوية أئمة الشيعة يعني أيّهم ورث سلطة علي -، بالإضافة الى الجدل حول طبيعة سلطته ومداها- على الدوام، أحد الأسباب الرئيسية لوجود ميول واتجاهات عديدة بين الشيعة الذين لم يعودوا، منذ زمن الحسين، مجموعة واحدة ضمن سياق واحدا»(١١٣).

ويرى (دونالدسن) إنتقال مبدأ الوراثة في الامامة وإن كان من شروط الامامة وجوب تعيين الامام لمن يخلفه، بقوله :

« إنَّ شروط الامامة وإن نصّت نظرياً على وجوب تعيين الامام لمن يخلفه، إلا اننا نلاحظ أنها تنتقل في الحقيقة بالإرث كلما كان الى ذلك سبيلاً. فحين قُتل علي الأكبر ابن الحسين في كربلاء انتقلت الامامة الى ابن الحسين الآخر، وهو علي الأصغر الذي لُقبَّ بعدئذ بزين العابدين»(١١٤).

ويقول (دونالدسن)، من إن ابن الحنفية ذهب بعد موت ابن الزبير الى مكة مع ابن أخيه زين العابدين ليقررا أيهما الوارث الحقيقي للإمامة. فقد كان يدّعي أنه أحق منه بها(١١٥)؛ لأنه كان ابن علي بن أبي طالب. لكن زين العابدين طلب منه أن يخاف الله ولا يأتي بهذه البدعة ثم اتفقا على التحكيم أمام الحجر الأسود في بيت الله الحرام فكانت النتيجة في صالح الامام زين العابدين بطبيعة الحال(١١٦).

هذه القصة التي ذكرها(دونالدسن) تُدلل خلاف رأيه بمبدأ الوراثة دون التنصيص الذي أكدَّ عليه المستشرق(يان ريشار) من قِبل الامام الحي ومنصوصاً عليه كما صرّحت بذلك الامامية، وإن بدونها لايمكن ان تكون الامامة مصدراً شرعياً، قائلاً :

« من حيث المبدأ فإن الوراثة وحدها ليست مصدراً شرعياً. والامام الحي وحدهُ هو الذي يُعين خليفته، بالنص المكتوب، باعتباره الأكثر جدارةً، روحياً، وجسدياً، لممارسة وظائفه القيادية، والأب الامام هو الذي ينقل لخليفته شخصياً،

الأسرار الخفية التي ورثها هو أيضاً، نقلاً عن النبي »[١١٧] .

وقررت المستشرقة (الرزينة) حسم هذا الموضوع باختيار عقيدة " النص"، وانها متوافقه مع الخلافة الوراثية بشرط إمكانية النص ضمن السلسلة الوراثية، قائلةً :

« أنه في ظل هذه الظروف – الانقسامات – أصبحت عقيدة " النص " مقرّراً حاسماً في اختيار الامام. واشتملت هذه العقيدة على فكرة " التقدير المسبق " التي أُعطيت حقيقتها العلنية من خلال الفعل الرسمي للإمام بالنص على خلفه. وهذه العقيدة متوافقه مع الخلافة الوراثية، لكنها لا تحول دون إمكانية انتقال النص خارج السلسلة الوراثية»[١١٨] .

ثم أكدت (الرزينة) على أن عقيدة النص هي التي ثبتت إمامة السجاد عليه السلام باستبعاد البقية من آل علي، بقولها:

« تساعد عقيدة النص التي طبّقها الحسين بخصوص ولده علي زين العابدين، في تثبيت إمامته مع استبعاد أولاد الحسن أو أي ذرية أُخرى لعلي»[١١٩].

ولذلك اعتبر(كونسلمان) الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أول الأئمة الذين تسلموا زعامة المؤمنين عن طريق وراثة الابن لأبيه[١٢٠]. وحددَّ مدة إمامته عليه السلام، قائلاً :

« ظل زين العابدين إماماً لمدة ٣٥ عاماً، أي منذ موت أبيه الامام الحسين عام ٦٨٠م »[١٢١].

ولهذا صرّح المستشرق (ماتيو تيرّييه)[١٢٢] بهيمنة التيار الامامي الاثني عشري بعد هذاالانقسام داخل البيت الشيعي فيما بعد مأساة كربلاء، قائلاً :

« إننا لن نتبع في هذا الموضع – انقسام الشيعة- إلاّ التيار الذي أصبح مُهيمناً، ألا وهو التيار المسمى " الامامي" أو " الاثني عشري" بعد مقتل الحسين، استمر خط

الأئمة من خلال ابنه الذي نجا من المجزرة، وصارت الإمامة بالوراثة»[١٢٣].

وأشار الفرنسي(هنري كوربان) الى إنحصار لقب الإمام بالأئمة الإثني عشر، وإنَّ الشيعة إنما يعترفون بإمامة إثني عشر شخصاً من أهل البيت عليهم السلام، وإنَّ عِلم الامامة نتيجة بديهية أساسية للفلسفة النبوية، وأنَّهم الأئمة عليهم السلام حقيقة واحدة ونور واحد، وهم أوصياء معارف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعددهم – كوربان – بحسب ظهورهم التاريخي، فكان منهم الامام زين العابدين عليه السلام، بقوله :

« ولأنّهم حقيقة واحدة ونور واحد، فإن ما يقال عن إمام منهم يصدق على كل من الاثني عشر الباقين. وهم يتتابعون،بحسب ظهورهم في التاريخ على هذا الشكل: ١- علي، أمير المؤمنين (٤٠ه – ٦٦١م) ٢- الحسن المجتبى (٤٩ه- ٩٦٩م) ٣- الحسين سيد الشهداء (٦١ه- ٦٨٠م) ٤- علي زين العابدين (٩٢-٧١١م) ٥- محمد الباقر (١١٥ه- ٧٣٣م) ٦- جعفر الصادق (١٤٨ه- ٧٦٥م) ٧- موسى الكاظم (١٨٣ه-٧٩٩م) ٨- علي الرضا (٢٠٣هـ- ٨١٣م) ٩- محمد الجواد التقي (٢٢٠ه- ٨٣٥م) ١٠- علي النقي (٢٥٤ه- ٨٦٨م) ١١- الحسن العسكري (٢٦٠ه- ٨٧٤م) ١٢- محمد المهدي القائم، الحجة. وقد رددوا جميعاً أنهم أوصياء على معارف رسول الله، ومعارف الانبياء السابقين »[١٢٤].

وعيّن المستشرق (فلهوزن)[١٢٥] في كتابه : الخوارج والشيعة، خليفة الامام الحسين عليه السلام الذي أراق دمه فداءاً لحقّه بأنّه علي بن الحسين زين العابدين[١٢٦]. ورسم الدكتور (جيمس ليندزي)[١٢٧] في كتابه : العالم الاسلامي، خارطة بأسماء الأئمة الاثنا عشرية وضمّنهم الامام علي زين العابدين[١٢٨].

■ المبحث ا ثاني: الإمام زين العابدين عليه السلام في دوائر المعارف الاستشراقية:

قلنا سابقاً إنّ المنظومة الاستشراقية قد عكفت على دراسة الشخصيات

التاريخية المهمّة في صدر الإسلام وما بعده، فكان موضع إهتمام عند أغلب المستشرقين الذين تفاوتت آراءهم بين مؤيدٍ ومُعارضٍ لتلك الشخصية، والبعض عرضهُ بأسلوبٍ تاريخي دون الولوج في التحليل والنقد لهذا أو ذاك .

ولكن هناك الكثير من المؤاخذات على أغلب تلك الآراء والدراسات التي تحاملت على آل الرسول من الأئمةعليهم السلام بالحقد والكراهية والتعصب، وهذا ناتج لا محالة عن القصور الذهني، والاعتماد على بعض المصادر التاريخية لدى المسلمين التي صنعتها أيادي السلاطين، وأنتجتها تلك العقول التي لا تحمل سوى الحقد والكراهية لآل البيت عليهم السلام؛ ولعلَ بعض هذه الآراء جاءت بوحيٍ من المبشرين الذين غزو العالمين العربي والإسلامي، وأرادوا تغطية الفشل الذي وصلوا إليه، فعمدوا إلى تشويه الحقيقة التي هي أَبين من الشمس في واضحة النهار.

وقد وقع الاختيار في دراسة مادة موضوعنا على دائرة من دوائر معارف المستشرقين العالمية، وهي : " دائرة المعارف الاسلامية "، والتي دوّنت فيها بصمات مجموعة من مؤرخيها الذين أخذوا على عاتقهم دراسة التاريخ الإسلامي، وتحت إشراف هيئآت متخصصة، وقد عملت هذه الموسوعات على تنمية الفكر الجماهيري في العصر الحديث، ، إذ أكبَّ فريقٌ كبير من علماء الغرب المستشرقين على دراسة تراث الحضارة الإسلامية العظيمة، بما فيه من دينٍ سمحٍ رضيٍ كريم، ومن لغةٍ غنيةٍ بمفرداتها، جميلة برسم حروفها، ومن أدبٍ يُصوّرُ نبضات القلوب وخلجات النفوس،ومن حُكمٍ وتشريع لم تصل الإنسانية بعدُ إلى خيرٍ منهما.

وقد أذاع هؤلاء المؤرخين كثيراً من دراساتهم في كتبٍ عدة ومجلاتٍ عامةٍ وخاصة، ثم رأوا منذ بداية القرن العشرين أن يجمعوا خُلاصة أبحاثهم في كتابٍ جامعٍ يتّبعون فيه منهج القواميس والمعاجم، فكتبوا هذه الموسوعة باللغات الاوربية الكبرى، الانجليزية والفرنسية والالمانية، وهي ليست مجهود فردٍ واحد، وإنّما هي ثمرة مجهودات أعلام المستشرقين، كتب كل منهم فيما تخصصَّ فيه من علمٍ وفنٍ، حتى صارت فصولهم نماذج في العمق والبحث والتحقيق، ومن هؤلاء الأعلام المستشرقين

الذين وردت أبحاثهم في هذه الدائرة :

فنسنك[١٢٩]، هوتسما[١٣٠]، أرنولد[١٣١]، هفنسنج، بروفنسال[١٣٢]، لامنس[١٣٣]، ياسيه، هرتمان[١٣٤]، جِيب .

وقد تُرجمت هذه الدائرة إلى اللغة العربية إعتماداً على الاصلين الانجليزية والفرنسية، وقامَ ثلّة من الرجال بترجمتها، وهم كلٌ من :

١- الاستاذ أحمد الشنيناوي، الاختصاص في الفلسفة والتاريخ .

٢- الاستاذ ابراهيم زكي خورشيد، الاختصاص في التاريخ .

٣- الاستاذ عبد الحميد يونس .

٤- الاستاذ حافظ جلال .

وتمتاز هذه الدائرة بذكر المراجع عقب كل بحث استكمالاً للمنهج العلمي، أضف إلى ذلك أنّهم قصروا أبحاثهم على ناحية واحدة من المعرفة الإنسانية هي تراث الإسلام وما يتصل به؛ ولهذا أطلقوا عليها : « دائرة المعارف الاسلامية ».

وهنا نضع بين يدي القارئ الكريم ما وردَ في هذه الدائرة عن الإمام زين العابدين عليه السلام في نسختها الإنكليزية، وقد توّخينا الدقة في النشر، إذ لم نحصل على النسخةالعربية، بعد أن طُبع منها خمسة عشرة جزءاً فقط، وليس في هذه الاجزاء المادة الخاصة بالامام زين العابدين عليه السلام، وطُبعت في الشارقة ثلاث وثلاثين جزءاً باللغة العربية، إلاّ انه مع الأسف تمَّ حذف المادة الخاصة بالامام زين العابدين عليه السلام لذلك سعينا في الحصول عليها باللغة الانكليزية ومن ثم تعريبها،وإليك ما جاء فيها:

زين العابدين:

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الامام الرابع للشيعة الاثنى عشرية. كُنيتهُ تقدّم على أنحاءٍ مختلفة فهو أبو عبد الله، أبو الباقر. بناءً على مصادر عديدة، ولد (في المدينة) في ٣٨/ ٦٥٨- ٦٥٩، إلاَّ إنّ السنين ٣٣ و ٣٦ و ٣٧ تعطي أيضاً ولادته، إذ ما

كانت البيانات التي تقول بأنّه لم يصل سن البلوغ في وقت واقعة كربلاء ٦١/ ٦٨٠ والتي يمكن أن يوثق بها، فسيضع تاريخ الولادة متّجهاً الى ٤٠/ ٦٦٠، وهذه البيانات مع كل ذلك رُفضت من قِبَل الواقدي ومصادر أخرى.

اسم أُمه على أنحاءٍ مختلفة يقدمها : برّه، غزالة، جيدا[١٣٥] ....، البعض يقول كانت أم ولد من السند أو سجستان، بينما الموروث الشيعي يقول انها بنت آخر أباطرة الساسانيين يزدجرد الثالث واسمها الفارسي شاه زنان، شهربانو أو شهربانويه. البعض يقول إنها توجهت الى الفرات بعد المعركة، إلاَّ إن الآخرين يؤكدون بأنها من الناجين من كربلاء[١٣٦].

الشيعة تُشير الى علي بابن الخِيرتّين، فبناءً على حديث الرسول قريش خير العرب والفرس خير العجم .

زين العابدين لم يكن الإبن الوحيد للحسين المسمى علي، فهناك آخرون قُتلوا في كربلاء وعرفوا بـ (علي الشهيد)، بعض المؤرخين ومنهم : ابن سعد[١٣٧]، وابن قتيبة[١٣٨]، والبلاذري[١٣٩]، والطبري[١٤٠]، يُشيرون عليه بـ(علي الأكبر)، ولزين العابدين بـ(علي الأصغر)، آخرون (مثل القاضي النعمان)[١٤١] يؤكدون إن زين العابدين هو أكبر الإثنين، وفقاً لذلك يُشيرون عليه بـ(علي الأكبر)، وعلي أخوهُ الشهيد علي الأصغر. بالنسبة للمؤلفين الاثني عشرية الكُثر فإن العنوان وعلي الأصغر يُشير الى الأخ الرضيع الذي قُتلَ أيضاً في كربلاء، فإن بعض المؤلفين يؤكدون بأن زين العابدين الأخ الأوسط لهذا السبب فهو علي الأوسط بينما الأكبر كان علي الشهيد. آخرون ينقضون موقع الأخوين الأكبر سناً.

في كربلاء يقال بأنَّ زين العابدين قد أصبح مريضاً جداً ليلتحق في القتال، بعد المعركة شمر بن الجوشن وجدهُ مضطجعاً على الحصير في خيمة النساء وأُمر به أن يُقتل، لكن نقضَ أمره من قِبَل عمر بن سعد آمر الجيش السوري.

عندما عليٌّ أُحضر أمام عبيد الله بن زياد في الكوفة فالحاكم أمر بتنفيذ حكم الاعدام به لكن أوقف بعد التماس من قِبَل أُخت الحسين زينب. علي مع ناجين آخرين أُخذوا الى يزيد في دمشق فأرجعهم الى المدينة. مشهدُ علي يُشكل جزء من المسجد الكبير في دمشق يُقال انه بُني في مكان حَبس زين العابدين.

في المدينة عاشَ علي حياة ورع أكسبتهُ عبارات تبجيل زين العابدين، السجاد (الذي يسجد على نحوٍ دائم)، الزكي (الطاهر)، وذو الثفنات (يُشير الى الثفنات على الجلد في أماكن التي تُلامس الارض في السجود). عند دنو وقت الصلاة يرتعش ويصفر وجهه، فكانت تُسبب أعماله العبادية الخشية على صحته.

يُعد من البكائين لأنه لسنين كان يبكي على والده وعلى شهداء كربلاء. واعتاد أن يخرج ليلاً بوجهٍ مُغطى كي يوزع الصدقة (صدقة السر)، وبعد موته مباشرةً اكتشف الناس هويته. عندما غُسّل على جسده وجدت علامات على أكتافه نتيجة حمله الغذاء ليلاً للفقراء.

علي شَغَفَ بدرجة كبيرة أن يتجنّب أي إتصال مع السلطات وتبنى توجهاً هادئاً نحو الامويين والزبيرين المُعارضين للخليفة. بعد معركة الحَرة عَمِلَ مسلم بن عقبة وفق أوامر يزيد فعامله باحترام ولم يحاول أن ينزع منه قسم الولاء للخليفة. إنَّ الاسباب الموجبة الى هذا التعامل ذلك أن علي لم يرغب أن يرتبط بثوار المدينة، وحمى علي حاشية مروان بن الحكم ومنهم زوجة مروان عائشة بنت عتبة على حالتها الاجتماعية في ينبع[١٤٢] : المصادر غير الشرعية تصفُ العلاقة الوديّة بين علي والخليفة مروان وعبد الملك، السابق أعارهُ مالاً ليستميل خلّته، وقبل وفاته قضى إنَّ ورثتهُ لا يحق لهم المطالبة برّد ما أعطاه؛ الأخير استشاروه حول رسالة استلمها من الامبراطور البيزنطي. المؤلفين الشيعة في المقابل يؤكدون أنَّ تعامل علي مع السلطات اعتمدت على التقية .

علي برهنَ على رحابة الصدر حتى مع مَن أخطأ بحقه : هشام بن اسماعيل اعتاد أن يُهين علياً خلال سنواته الأربعة كحاكم المدينة حتى بعد عزل هشام من قِبَل الوليد (٧ ربيع ٨٧/ ٢٦ شباط ٧٦)،عليٌّ منعَ عائلته وأصدقاءه أن يتكلّموا عن مرضه.

قصة مشهورة وهي إنَّ الخليفة المُستقيل هشام بن عبد الملك عندما جاء الى مكة في الحج كان غير قادر أن يشق طريقهُ الى الكعبة بسبب الزحام، لكن مع ذلك لعلي تفرّق الزحام وسمحوا له بالوصول غير المُعاق. في تلك المناسبة، الفرزدق ارتجَل قصيدة مدح عليّاً مما أثار غيظ هشام إلاَّ إنَّ المديح الذي وجدَ بنسخٍ مختلفة يحكم أن يكون غير موثوق بها على الأغلب أو بصورة تامة .

عليٌّ لم يأخذ على نفسه عهداً بالولاء لعبد الله بن الزبير، لكنه رافق أُختهُ سكينة بنت الحسين الى العراق لأجل زواجها بإبن عبد الله مصعب بن الزبير الذي استلم منه هبة ٤٠,٠٠٠ دينار(١٤٣) .

بين الشيعة، عليٌّ يتمتّع أولاً بدعمٍ قليل، أغلب الشيعة حوّلت الى محمد بن الحنفية الذي عُززت إمامته من قِبل المختار. في الكتابات الجدلية مؤلفوا الشيعة الاثنا عشرية تحاول أن تعرض إنَّ ابن الحنفية يعترف بقيادة علي، والقصة غالباً ما تتكرر بأنَّ الاثنين اتفقوا أن يلتزموا بحكم الحجر الاسود في الكعبة، إعجازاً الحجر تكلّم مؤيداً حقوق علي.

أبو خالد الكابولي الذي إلتحقَ أصلاً بابن الحنفية، يقال أنه بناءً على ذلك حوّلَ ولاءهُ الى علي. في رأي بعض الاسماعيليين إنَّ ابن الحنفية حُددّت له مهام من قِبل الحسين كستار كي يحمي هوية علي كإمام حق، فهو إمام مؤقت (مستودع، مضيء، وصي)، بينما عليٌّ هو الامام الدائم (المستقر). عندما نتبّع وفاة ابن الحنفية، فهناك مجموعة صغيرة من الكاسانيين كما يقال تعترف بعلي كإمام، بالمقابل إستناداً الى سكونية علي فإنَّ أغلب (ليس كل) الزيديين لايعتبرونه إمام .

العلاقة بين علي والمختار كانت غير مستقرة عندما أرسل المختار الى علي هبة بـ١٠٠,٠٠٠ درهم، عليٌّ لم يرغب أن يقبلها لكن لم يجرؤ أن يرفضها، بعد موت المختار عرض المبلغ على عبد الملك، الذي أخبره أن يحتفظ به. قصص متنوعة أخبرت عن الاثنين تعكس التوّجه المتضارب لمؤلفي الشيعة الاثنا عشرية إزاء المختار. من بينها الادعاء بأنَّ المختار كان شغوفاً كي يكسب دعم علي وتحوّل في النهاية الى ابن الحنفية بعد أن رُفضَ؛ والتقرير بأنَّ علي سبَّ علناً المختار(١٤٤) أو الرواية بأنَّ المختار كسب العرفان بالجميل لعلي بعد أن أرسل له رأس عبيد الله بن زياد بعد موت الأخير في المعركة على نهر الخازر ٦٧/ ٦٨٦.

في مجاميع الحديث السنيّة يظهر علي كناقل من عبد الله بن عباس، من والده، عمّه الحسن وآخرون. بين هؤلاء الذين نقلوا منه بعض من أبناءه، إضافة الى أبو إسحاق الصابئي، الحكم بن عتبة، عمر بن دينار والزهري، وفقاً للزهري (الذي خصَّ عليّاً بتقديرٍ عالي) فنقل القليل (كان قليل الحديث) .

يُقال إنَّ عليّاً مات في ٩٤/ ٧١٢ أو ٩٥/ ٧١٣ ، تواريخ أخرى ذُكرت ٩٢، ٩٣، ٩٩ و ١٠٠. دُفنَ في مقبرة البقيع. مؤلفوا الشيعة يؤكدون انه سُمَّ بأمرٍ من السلطة الخليفة الوليد أو أخوه هشام. يُقال بأنَّ له ذريةً بين الثمانية والخمس عشرة. أربعة من زوجته أم عبد الله بنت الحسن بن علي والباقين من الأُخريات.

عدد من النصوص القصيرة نُسبت الى علي، تتضمن صحيفة الزهد المؤكدة [الكليني، الكافي الجزء الثالث]. ونُسبت إليه أيضاً رسالة الحقوق محفوظة بنسختين في أعمال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي : كتاب ابن بابويه al-khisal (نجف ١٩٧١) وكتاب ابن شعبة تحف العقول (بيروت ١٩٧٤). مجموعة علي من الأدعية تسمى الصحيفة الكاملة أو الصحيفة (الكاملة) السجادية التي اكتسبت شهرة واسعة. توجد نسخ منقحة كثيرة وشروحات تزيد على العشرين. تُرجمت الى الفارسية في العهد الصفوي. نُسبت لعلي صلوات همسية (مناجات) أُضيفت الى بعض الطبعات

الحديثة للصحيفة. طبعة مترجمة الى اللغة الانكليزية بعمل كامل متوفر الان (الامام زين العابدين علي بن الحسين : مزامير الاسلام الصحيفة الكاملة السجادية) ترجمة مع مقدمة وتضمينات من قبل W.C.chihick لندن ١٩٨٨(١٤٥).

قراءة استشراقية في الصحيفة السجادية :

من ذخائر التراث الاسلامي، ومنجم من مناجم كتب البلاغة والتربية والاخلاق والادب في الاسلام كتاب " الصحيفة السجادية " للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، إذ فتحت هذه الصحيفة آفاقاً جديدة للوعي الديني في عصرٍ طغت فيه الاحداث الرهيبة، والمشاكل السياسية، فجاء دور الامام السجاد عليه السلام ليتخذ من رسالته الربانية طريقاً الى العباد من خلال الدعاء، إذ كان له الأثر البالغ والدور الفعّال في إيصال رسالته لشيعته ومواليه،فقد دعت الى التبتُّل وصفاء الروح، وطهارة النفس، والابتعاد عن النزعات الشريرة، عن طريق الاتصال بالله تعالى الذي هو مصدر الفيض والخير، وهو ما أشارَ إليه الدكتور (ميشال كعدي)(١٤٦)، حينما قال: «وردَ في الصحيفة السجادية، مئات العطاءات التي تحمل في طيّاتها أبعاداً وحدويّة، تدعو الى الاخلاق ومحبة الله »(١٤٧) .

واهتمت الأوساط الاسلامية اهتماماً بالغاً بهذه الصحيفة لما لها من الآثار العبادية، إذ يقول عنها العلاّمة الطنطاوي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ صاحب التفسير المعروف: «ومن الشقاوة إنّا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيّم الخالد في مواريث النبوة، وأهل البيت، وإنّي كلّما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق »(١٤٨) .

ولم تقتصر هذه الأهمية على العالم الاسلامي فحسب، بل تعدّاه الى الأديان السماوية الأخرى لملامحها الروحية المُتصلة بين العبد والرب، وهذا ما وقف عليه الدكتور(ميشال كعدي) عند قراءته لأدعية الامام عليه السلام، قائلاً :

« لو حاولنا أن نقرأ بدقة مناجاة زين العابدين وتصرّفاته وأدعيته، نلمس في صلاته قربان التقي، ومعراج المؤمن الذي يوصيه المسيح »(١٤٩) .

ويقول مُعرّجاً على ذلك أيضاً : « عبر قراءة كتاب الصحيفة يرى القارىء كثيراً من الملامح اللاهوتية والروحية المسيحية في معظم النصوص »(١٥٠).

وقد بدأت عناية الغربيين بهذا النوع من الاتجاه الديني من كما يقول الدكتور (رينولد نيكولسون)(١٥١)، من خلال تسليط الضوء على ما يُعرف بـ " التصوف الاسلامي " في مستهل القرن التاسع عشر باعتباره حركةً دينية إنقلابية نشأت في ظل التطورات العنيفة الشاملة التي مرَّ بها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الاولى(١٥٢) .

وكانت نتيجة تلك الدراسات أن وقع أصحابها في خطأ فادح من خلال دراستهم لطبقات الصوفية إعتماداً على كتبهم، أمثال : حلية الأولياء، وغيرها، فأدرجوا الامام زين العابدين من ضمن أسماء تلك الطبقات(١٥٣).

والملاحظ إنَّ (كوربان) حددَّ أدوار العناصر الرئيسية للعرفان الشيعي ابتداءاً من الامام السجادعليه السلام ، بقوله: «إنَّ كبرى قضايا العرفان الشيعي، قد تكونت وبشكل رئيسي، حول تعاليم الأئمة الرابع والخامس والسادس وهم علي زين العابدين ٩٥هـ/ ٧١٤م – محمد الباقر ١١٥هـ/ ٧٣٣م – وجعفر الصادق ١٤٥هـ / ٧٦٥م»(١٥٤).

لذلك عدَّ المستشرق(سزكين) عند دراسته لتاريخ التراث الاسلامي صُحف الامام السجادعليه السلام من ضمن كتب الصوفية المعروفين أمثال : الحسن البصري، وأبو مسلم الخولاني، وأضرابهم من الصوفية، حينما قال : «وهناك " صحيفة في الزهد " وصلت إلينا، ألّفها زين العابدين علي بن الحسين المتوفى سنة ٩٢ه/ ٧١٠م »(١٥٥).

في حين جاءت بيانات أئمة أهل البيتعليهم السلام واضحة في لعن وذم الصوفية وطبائعهم العبادية التي يُمارسونها(١٥٦)، وإنَّ العبادة المُثلى تتلخص في ممارسة المتقين

التي جسدّها سيد الساجدين حينما يقول: « إنّي أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلا ثوابه، فأكون كالعبد المطيع، إن طمعَ عملَ وإلاّ لم يعمل. وأكره أن أعبده لا غرض لي إلاّ لخوف عقابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل.

قيل له : فلم تعبده ؟

قال : لما هو أهله بأياديه عليَّ وإنعامه »(١٥٧).

لذلك أوصى الأئمةعليهم السلام شيعتهم بهذه الصحائف العبادية، وأن يجعلها المتقون طريقاً يلتمسون الوصول الى الله تعالى، كما يقول المستشرق (ريشار) :

« وهناك أدعية تُنسب إليه – زين العابدين- يأخذ بها الشيعة، بصورة عامة اليوم، وجُمعت في كتاب أو مجموعة، يتداولها الشعب العادي، كعمل من أعمال التقوى وتسمى " الصحيفة السجادية " »(١٥٨).

ونظراً لأهمية الصحيفة السجادية فقد وردت تسميتها عند رجال الفكر الاستشراقي بأسماءٍ ميّزتها عن الاسماء المعروفة عند المفكرين المسلمين بـ " إنجيل أهل البيت " و " أخت القرآن " و " زبور آل محمد " و " إنجيل آل محمد " و " زبور آل الرسول "(١٥٩)، إذ رُسمت أقلامهم بأسماءٍ تنمّ عن التأثير الغربي الواضح بالعبادة اللاهوتية للكنيسة، فالإمام زين العابدينعليه السلام عندهم كرُسل الكنيسة القديسيين من أعبد الخلق، وأكثرهم طاعةً لله تعالى، وهذا ما نراهُ واضحاً عند المستشرق (هنري كوربان) من خلال ذكره لآثار الامامعليه السلام ، قائلاً :

«وهو– السجاد– مؤلف كتاب معروفٌ بإسم " مزامير وأناجيل عائلة الرسول " وهو نص كان موضوعاً لتفسيرات عدد كبير من الكتّاب الشيعة، وبقي حتى أيامنا هذه كتاب الممارسة الدارجة لدى جميع التُقاة من رجال الدين الشيعي»(١٦٠).

وعكفَ بعض علماء المستشرقين ومنهم(كوهلبرغ) على دراسة الصحيفة السجادية، ذاكراً شروحاتها التي يقول : إنها تربو على العشرين(١٦١)، وإنها حين تمَّ

ترجمتها الى الفارسية في العهد الصفوي أُضيفت عليها خمس عشرة مناجاة[١٦٢] أُطلق عليها : " صلوات همسيّة "، ولا سيما في النسخ الحديثة للصحيفة. وقد تمَّ ترجمتها الى اللغة الانجليزية بعنوان : " الترنيمة المقدسة في الاسلام " أو " مزامير الاسلام " : الصحيفة السجادية الكاملة، ترجمها (W.W.Chittick جتك)[١٦٣]، وطبعها في لندن عام ١٩٨٨م[١٦٤].

ومن الجدير بالذكر إنَّ الصحيفة السجادية تُرجمت الى اللغة الالمانية والفرنسية والأُردية الى جانب الفارسية والانجليزية.

الخاتمة

(نتائج البحث)

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا السفر الخالد مع الامام الهمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ورحلتي التي أبحرتُ بها هذه المرّة مع المستشرقين لمعرفة ما رسمته أناملهم عن هذا الرجل العظيم من سُلالة آل محمد صلى الله عليه وآله.

فهي دراسةٌ جديدة تختلف عمّا صدر عنه صلوات الله وسلامه عليه في خزانة المكتبة الاسلامية على العموم والشيعة على الخصوص؛ إذ حاولتُ فيها أن أُقدّم للقارىء الكريم بعض معالم تلك الرسوم التي ظهرت من خلال سرد آراء مواقف الغرب الصريحة، والوقوف على طائفة من الأبعاد الانسانية والمخزون الاستقرائي لتراثهم البعيد عن الأنظار، بعد أن عكفتُ على مراجعة جملة من المراجع والمصادر الأجنبية التي عرضتُ بعضها للترجمة، وتدوين بعض أقوالهم عن شخصية الامام زين العابدين عليه السلام.

وممّا تقدّم من معلوماتٍ واردة في هذه الدراسة، وما توّصل اليه البحث من استنتاجات يمكن إدراجها في النقاط الآتية :

أولاً : إنَّ الامام زين العابدين عليه السلام الشخصية الاسلامية البارزة ومن التابعين أصحاب الطبقة الثانية، وهو الامام الرابع من أئمة العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا ، والامام عليه السلام حفيد رسول الانسانية، نشأ في بيت والده الامام الحسين بن علي عليه السلام شهيد كربلاء، فتأثر بأبيه أدباً وخلقاً وعلماً، ولُقبَّ بألقاب عديدة كان أبرزها " زين العابدين"؛ لعبادته التي كانت زيناً لكل عابدٍ، وفخراً لكل مَن أطاع الله، وذلك لما أظهر منه من الانقياد والطاعة له سبحانه وتعالى، فلم يؤثر عن أي أحد من العبادة مثل ما أثر عنه عدا جدّه الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

ثانياً: أشادَ المستشرقون بالدور العلمي الذي قامَ به الامام زين العابدين عليه السلام ، إذ فتح على يديه في عصره مجالس البحث والدراسة، فقد تفرّغ صلوات الله عليه لبسط العلم واشاعته بين المسلمين في وقت كان الجمود الفكري قد ضرب نطاقه على جميع أنحاء العالم الاسلامي، ولم تعد هناك أي نهضة فكرية أو علمية بسبب الفتن التي لحقت بالأمة الاسلامية من الثورات والانتفاضات الشعبية ، فكانت حلقة درسه تنعقد في بيته وبالمسجد النبوي الشريف، وتضم كبار التابعين وأعيان الفقهاء من المدينة المنورة وغيرهم من الأنصار، فكان له الفضل الذي لا يستهان به مع جهود العلماء الآخرين من المذاهب الاسلامية .

ثالثاً : لقد كان الامام زين العابدين عليه السلام من أعظم الرواة وأهمّهم في الاسلام، وكانت لروايته أهميّة خاصة عند علماء الحديث، خصوصاً ما يرويه الزهري عنه، فقد قال أبو بكر بن أبي شيبة : " أصحّ الاسانيد الزهري عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي" .

رابعاً : عكفت أغلب بحوث المنظومة الاستشراقية على دراسة وتحليل أغلب الشخصيات المهمة في صدر الاسلام، والتي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المسلمين، ومن خلال الدراسات الاسلامية لهذه المنظومة يُلاحظ المتتبع لها أنها لا تنظر الى تلك الشخوص المرّموقة نظرة المؤمن بها، إذ الغاية عندهم استقصاء الحقائق بموضوعية

علمية. وكانت الإمامة واحدة من تلكم الدراسات التي اهتمَّ بها المستشرقون لما لها من تحولات خطيرة على المشهد الاسلامي وجوهرها وعمقها في امتداد الرسالة النبوية، وقد تبنّت بعض الدراسات الاستشراقية المؤقف الذي يؤيد استخلاف الامام علي عليه السلام والأئمة من بعده في حكم المسلمين.

خامساً : خاضَ أهل الاستشراق في جميع ميادين التاريخ الاسلامي، وقد حظيت سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالقدر الكبير من اهتماماتهم، فكان هذا الاهتمام يفوق القدر الذي اهتمّوا به في دراساتهم عن سيرة بعض الشخصيات عن أي مذهب من المذاهب الاسلامية الاخرى.

وقد إلتجأ بعضهم في كتاباتهم باللغتين العربية والاجنبية الى روح الاعتدال والموضوعية في دراساتهم لشخصيات أهل البيت عليهم السلام ومنها شخصية الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

سادساً: أكدَّ المستشرقون على ما وردَ عن المؤرخين من أنّ الامام السجاد عليه السلام ابتعد عن التيارات السياسية ابتعاداً مطلقاً، فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك، واتجه صوب العلم فرفع مناره، وأسس قواعده. وأنه صلوات الله وسلامه عليه واجه في عصره صراعاً مثيراً مع التيارات السياسية والفكرية أمثال الكيسانية، فكان الامام عليه السلام يشكو بمرارة لأصحابه عن أولئك النفر الذين جلبوا العار للتشيع .

سابعاً : تتبّعنا دوائر المعارف الاستشراقية فوجدنا أنها لم تخلُ من ذكر للامام زين العابدين عليه السلام ضمن مفردات ومواد تلك الموضوعات التي احتوت في طيّاتها؛ لعلمها بأهمية هذه الشخصية في التاريخ الاسلامي، فكانت أمامنا دائرة المعارف الاسلامية الذائعة الصيت، فآثرنا أن نستقي من كلماتهم عن الامام عليه السلام ونجعلها بين يدي القارىء الكريم بعد ترجمتها الى اللغة العربية .

ثامناً : ساهمَ الامام زين العابدين عليه السلام في إثراء المكتبة الاسلامية عامةً والشيعة خاصة؛ لذلك سلّطَ المستشرقين الضوء في كتاباتهم على النتاجات السجاديّة لهذه الثمرة من ثمرات الفكر الاسلامية؛ لأنّه الامتداد الطبيعي لجدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استسقاهُ من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وأدركَوا إنَّ حياة هذا الرجل كانت حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة، ولعلّ من أجمل ثروات الامام عليه السلام العلمية، هي أدعيته الجليلة التي عُرفت بالصحيفة السجادية، والتي أسماها العلماء تارةً بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله ، وأخرى بإنجيل آل محمد صلى الله عليه وآله ، وعلى لسان أهل الاستشراق بـمزامير الاسلام، ومزامير عائلة الرسول .

*** هوامش البحث ***

١» لورا فيشيا فاغليري، باحثة إيطالية معاتا الصرة، إنصرفت الى التاريخ الاسلامي قديماً وحديثاُ، والى فقه العربية وآدابها، من آثارها : قواعد العربية في جزئين طبع سنة ١٩٣٧م، والاسلام ١٩٤٠م ، ودفاع عن الاسلام، وعدد من الدراسات في المجلات الاستشراقية المعروفة .

2»See Vajelerie,L. Vessia " Fatim" in Encyclopedia of Islam (New Edition) Volume II. pp. 841- 850.

٣» مستشرق هولندي، ولد سنة ١٥٩٦م، درس في جامعة ليدن علوم اللاهوت والفلسفة والطب والرياضيات، سافر الى مراكش سنة ١٦٢٢م وهناك تعلم اللغة العربية، ثم عاد الى ليدن بعد سنتين ليُعين في في جامعة ليدن أُستاذا للغة العربية، سافر الى الشرق من أجل جمع عدد من المخطوطات العربية فتجوّل في في آسيا الصغرى وبصحبته ٢٥٠ مخطوطة وأغلبها موجودة الان في مكتبة ليدن، واشتغل جوليوس وقتلاً طويلاً في إعداد نشره للنص العربي لكتاب الفصول الثلاثين، وكتاب الحركات السماوية لمحمد الفرغاني، وغيرها، توفي سنة ١٦٦٧م.

بدوي ،عبد الرحمن (ت١٤٢٢هـ) ، موسوعة المستشرقين ، ط الدار العالمية للفلسفة ، ص٢٠٤.

٤» مستشرق ألماني يهودي الديانة، ولد سنة ١٨٠٨م، تعلم العبرية والفرنسية، ودخل جامعة هيدلبرج ليدرّس اللاهوت والدراسات التاريخية، سافر الى باريس ليواصل دراساته الشرقية فتلقى دروساً في العربية، ثم سافر الى البلدان العربية، من نتاجاته : ترجمة كتاب " أطواق الذهب للزمخشري، والف ليلة وليلة، والنبي محمد لأشنوتجرت، وغيرها، توفي سنة ١٨٨٩م.

موسوعة المستشرقين ، ص٣٩٠.

5» Hell, J (al- Farazdaks loblied auf Ali ibn al (Zain al Abidin) in Feslschrifl Eduard

Sachau (ed G Weil, Berlin 1915,) P. 368.

6» Cappezzone (Abiura dalla Kaysaniyya convesione all Imamiyya : IL caso di Abu Halid al – Kablil) in RSO. Volume 66 (1992). PP. 1-13.

٧» ولفرد فرديناند ماديلونغ، ولد ألمانيا سنة١٩٣٠م، أكمل تعليمه المبكر في ايبرهارد لودفيغ، وفي عام ١٩٤٧انتقلت عائلته إلى الولايات المتحدة ، درس في جامعة جورج تاون، وفي عام ١٩٥٢ ذهب إلى مصر وبقي هناك لمدة عام، وخلال اقامته هناك، إندلعت الثورة المصرية لعام ١٩٥٢، وعقب مغادرته مصر عاد إلى ألمانيا وأتم رسالة الدكتوراه في عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٥٨ تمَّ ارساله الى العراق من قبل الحكومة الالمانية للعمل في سفارتها هناك وبقي فيها سنتين، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة شيكاغو وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد .

موقع الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

8» Madelunj. W (Des Imam Al Qasim ibn Ibrahim und die Glou – benlehre der Zaiditen Berlin 1965), idem (Zayn al – Abidinj) in ELR. VolymeI. p. 849 .

٩» هو دوايت نيوتن دونالدسن، ولد في مدينة موسكينغوم كونتري سنة ١٨٨٤م، ودرس في مسقط رأسه وحصل على شهادة البكالوريوس سنة ١٩٠٧م من كلية واشنطن وجيفرسون، واختير من قبل الكنيسة ليكون مبشراً للمسيحية فوفد الى البنجاب وهناك درس في معهد فورمان كريستيان وبعد ثلاث سنوات عاد الى بلاده ليواصل دراساته اللاهوتية في مدينة بيتسبورغ بولاية بنسلفانيا حيث نال شهادة الماجستير في اللاهوت سنة ١٩٢٧م وخلال هذه الفترة اختير من قبل الكنيسة كمبشر الى ايران واستقر في مشهد حتى سنة ١٩٤٠م وخلال وجوده في ايران اتجه الى العراق لدراسة أوضاع الشيعة ، توفي في مدينة لكيلاند سنة ١٩٧٦م.

ينظر : مراد ، يحيى (معاصر) ، معجم أسماء المستشرقين ، ط الاولى - دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠٤م ، ص٣٤٢ .

(١٠) دونلدسن ، دوايت(ت١٣٩٥ه) ، عقيدة الشيعة ، ترجمة: ع. م ، ط مؤسسة المفيد – بيروت ١٩٩٠م .

١١» وُلد إيتان كولبرغ، أو إيتان كوهلبرغ في تل أبيب سنة ١٩٤٣م ، درس في صباه علم الموسيقى والعزف على البيانو في نيويورك، بدأ بدراسة اللُّغة العربية في المدرسة الثانوية، ثم التحق بالجامعة العبرية سنة ١٩٦٤م، وحصل على درجة الدكتوراة في جامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٩م، عُيِّن عام ١٩٧٢م محاضرًا في قسم اللغة العربية في الجامعة العبرية، ولّى رئاسة كُرسي الدراسات الإسلاميّة على اسم ماكس شلوزنجر، من مصنفاته : جوامع اداب الصوفية، والعقيدة والشريعة عند الشيعة الامامية، وابن طاووس ومكتبته، والوحي والتحريف.

ينظر : موقع الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

12» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.481

١٣» ولد هنري كوربان سنة ١٩٠٣م في فرنسا، ودرس الفلسفة في كلية الاداب (السوربون) في باريس،

وتولى كوربان معهد الدراسات الايرانية التي قامت بإنشائها الحكومة الفرنسية سنة ١٩٤٥م، وأخذ يهتم بعلوم الحكمة والعرفان المنتشرة في إيران فاعتنق الدين الإسلامي سنة١٩٤٥م، توفي سنة ١٩٧٨م، له عدة مصنفات منها : كشف المحجوب، وجامع الحكمتين، وعبهر العاشقين، والمشاعر لصدر الدين الشيرازي، وغيرها .

موسوعة المستشرقين ، ص٤٨٢ – ٤٨٥ .

١٤» كوربان ، هنري (ت١٣٧٨هـ) ، الشيعة الاثنا عشرية ، ترجمة : د. ذوقان قرقوط ، ط الاولى – القاهرة ١٤١٣هـ ، ص٨٢ .

١٥» البروفيسور فؤاد سزكين ولد في تركيا سنة ١٩٢٤م، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، واصبح استاذاً في جامعة استانبول سنة ١٩٥٤م، وفي سنة ١٩٦١م إتخذ من ألمانيا موطناً له وبدأ عمل على تحقيق وإعادة نشر تاريخ العلوم العربية، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٧٨م، وحصل على وسام الاستحقاق من قبل رئيس ألمانيا في تأسيس معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية .

موقع الانترنيت http://www.marefa.org/index.php المعرفة

١٦» سزكين ، فؤاد(معاصر) ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة : د. محمود حجازي و د. عرفة مصطفى و د. سعيد عبد الرحيم ، ط الرياض ١٤١١ه ، م١ ج٣ ، ص٢٦٢ .

١٧» تضاربت الأخبار والروايات في الزمن الذي تمَّ فيه اقترانها بالامام الحسين عليه السلام، فقيل : في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل : في خلافة عثمان بن عفان؛ إذ انها وردت في سبي عبد الله بن عامر عند فتح خراسان وأراد الخليفة بيعها في الاسواق، إلاَّ إن الامام علي عليه السلام قال له : لا يُعامل في بني الملوك معاملة سائرهم. فقام بتزويجها للامام الحسين عليه السلام. وقال جمعٌ من المؤرخين والرواة ان أمير المؤمنين علي عليه السلام لّما ولّي الخلافة أرسل حريث بن جابر والياً على جانب من المشرق، فبعث اليه إبنة يزدجر بن شريار فزوّجها الى ولده الحسين عليه السلام فولدت له الامام زين العابدين عليه السلام .

ينظر : المفيد ، محمد (ت٤١٣ه) ، الارشاد ، ط الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٩٢م ، ج٢ ، ص١٢٧ ؛ شهر آشوب ، محمد (ت٥٨٨ه) ، مناقب آل أبي طالب ، ط الحيدرية – النجف الاشرف ١٩٥٦م ، ج٣ ، ص٢٥٩ ؛ ابن عنبة ، أحمد (ت٨٢٨ه) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٥٨ه ، ص١٩٢ ؛ القندوزي ، سليمان (ت١٢٩٤ه) ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق : سيد جمال علي اشرف ، ط الاولى – دار الاسوة ١٤١٦ه ، ج٣ ، ص١٥٢ ؛ بحر العلوم ، جعفر (ت١٣٧٧ه) ، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ، تحقيق : أحمد علي مجيد الحلي ، ط الاولى – الاعلمي – بيروت ١٤٣٣ه ، ج٢ ، ص٨-٩ .

١٨» عقيدة الشيعة ، ص١١٨ – ١١٩ .

١٩» جرهارد كونسلمان، مستشرق ألماني، عملَ لوقت طويل محققاً بالتلفزيون الألماني، ومن خلال عمله هذا صار على دراية كبيرة بالتطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في المنطقة العربية، له

مؤلفات كثيرة منها : العرب والقدس، وأغنياء الشرق، والحرب غير المقدسة (لبنان)، والنيل، وغيرها .

٢٠» كونسلمان ، جرهارد (معاصر) ، سطوع نجم الشيعة ، ترجمة : محمد أبو رحمة ، ط الاولى – القاهرة ١٤١٢ه ، ص٦٥ .

٢١» مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٨٨٦م، وتعلم في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، حصل على دبلوم في العربية والفارسية والتركية، سافر الى مصر واصبح عضوا بالمعهد الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة، قتل في ٩ نوفمبر ١٩٦٩م، من مصنفاته : بحث في الشاعر سعدي، وفردوسي والملحمة القومية، ونظام الملك، ومختارات فارسية، وتحقيق كتاب تاريخ مصر للميسّر .

موسوعة المستشرقين ، ص٥٣٦.

٢٢» ماسيه ، هنري (ت١٣٨٩ه) الاسلام ، ترجمة : بهيج شعبان ، ط عويدات – بيروت ، ص١٩٣.

23» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482

٢٤» مستشرق فرنسي، استاذ الدراسات الايرانية في جامعة السوربون، صدر له : المثقف والمناضل في الاسلام المعاصر.

٢٥» يُشير (ريشار) الى الباحث والمؤرخ علي شريعتي صاحب كتاب : (التشيع العلوي والتشيع الصفوي) وأمثاله، فراجع.

٢٦» ريشار ، يان (معاصر) ، الاسلام الشيعي- عقائد وايديولوجيات- ، ترجمة : حافظ الجمالي ، ط الاولى – دار عطية – بيروت ١٩٩٦م ، ص٦١ .

27» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482

٢٨» ينظر : الخصيبي ، الحسين (ت٣٨٥ه) ، الهداية الكبرى ، ط مؤسسة البلاغ – بيروت ١٩٩٩م ، ص٢١٣ ؛ مناقب آل أبي طالب ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

٢٩» ينظر : البخاري ، أبي نصر(ت٣٤١ه) ، سر السلسلة العلوية ، تقديم : محمد صادق بحر العلوم ، ط الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ ، ص٣١ ؛ ابن الجوزي ، عبد الرحمن (ت٥٩٧ه) ، صفوة الصفوة ، ط الاولى – دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٥٥هـ ، ج٢ ، ص٥٢ ؛ النويري ، شهاب الدين (ت٧٣٣ه) ، نهاية الارب في فنون الادب ، ط طابع گوستاتسوماس وشركاه – وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المزي ، أبي الحجاج(ت٧٤٢ه) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد ، ط الثالثة – الرسالة – بيروت ١٤٠٩ه، ج١٢ ، ص٢٣٧؛ الحنبلي ابن العماد (ت١٠٩٨ه) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط الصدق الخيرية – القاهرة ١٣٥٠هـ ، ج١ ، ص١٠٤ ، ج٢١ ، ص٣٢٤ .

٣٠» لم يرد هذا الاسم في كتب التاريخ، وربما وقع التصحيف فيه.

٣١» النيسابوري ، محمد (ت٥٠٨ه) ، روضة الواعظين ، تقديم : محمد مهدي الخرسان ، ط قم ، ج١ ، ص٢٣٧ ؛ الحسيني ، محمد (ت٩٢١ه) ، غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ،

تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ .

٣٢» الشبلنجي ، مؤمن (ت١١١٣هـ) ، نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، ط الاولى – المنيرية – القاهرة ، ص١٢٦ .

٣٣» ينظر : مناقب آل أبي طالب ، ج٢ ، ص٢٧٠ ؛ ، الكليني ، أبي جعفر(ت٣٢٩ه) ، الكافي ، تحقيق:علي أكبر الغفاري، ط الخامسة حيدري طهران ١٣٦٣ه، ج١ ، ص٤٦٧ .

٣٤» الشافعي ، محمد (ت٦٥٢ه) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، تحقيق : ماجد أحمد العطية ، ط قم ، ج٢ ، ص٤١ ؛ الاربلي ، علي(ت٦٩٣ه) ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ط الثانية – دار الاضواء – بيروت ١٩٨٥م، ج٢ ، ص٧٣ المالكي ، ابن الصباغ علي (ت٨٥٥هـ) ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، ط الثانية – العدل – النجف الاشرف) ، ص٢١٢ .

٣٥» تاريخ التراث العربي – قسم الفقه- ، م١ ، ج٣ ، ص٢٦٢ .

٣٦» المسعودي ، أبي الحسن (ت٣٤٦ه)، إثبات الوصية ، ط الرابعة – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٧٤ه ، ص١١٦ ؛ الطوسي ، أبي جعفر (ت٤٦٠ه) ، مصباح المتهجد ، ط الاولى – مؤسسة فقه الشيعة– بيروت ١٤١١ه ، ص٧٣٣. كشف الغمة ، ج٢ ، ص١٠٥ عن ابن الخشاب .

٣٧» الشيعة الاثنا عشرية ، ص٨٢ .

٣٨» عقيدة الشيعة ، ص١٢٢ .

39»Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam. 481

٤٠» إنفرد به ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١ه) ، مختصر تاريخ دمشق ، ط دار الفكر – ١٤٠٤ه ، ج١٧ ، ص٢٣٠ .

٤١» ذكره الطوسي في مصباح المتهجد ، ص٧٣٣ .

٤٢» تحفة الراغب ، ص١٣ ، مطالب السؤول ، ج٢ ، ص٤١ ؛ الفصول المهمة ، ص٢١٢ ؛ كشف الغمة ، ج٢ ، ص٧٣ ؛ الكافي ، ج١ ، ص٤٦٨ .

٤٣» مطالب السؤول ، ج٢ ، ص٤١ ؛ القرماني ، أحمد (ت١٠١٩ه) ، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ ، ط حجرية – كافل التبريزي – بغداد ١٢٨٢ه ، ص١٠٩ ؛ نور الابصار ، ص١٢٦ ؛ البستاني، بطرس (ت١٣٠٠ه) ، دائرة المعارف ، ط بيروت ١٩٨٩م ، ج٩ ، ص٣٥٥.

٤٤» للاطلاع ينظر : القرشي ، باقر (ت١٤٣٣ه) ، موسوعة أهل البيت عليهم السلام – الامام زين العابدين – ، ط الاولى – دار المعروف – قم ١٤٣٠ه ، ج١٥ ، ص٣٢.

٤٥» ذكر المؤرخون عدة كُنى للامام عليه السلام غير التي ذكرها (كوهلبرغ) في النص، منها : أبو الحسين وأبو الحسن .

ينظر : علي ، زيد (ت١٢٣ه) ، مسند الامام زيد بن علي ، ط الاولى – المعارف العلمية – مصر ، ص٢٢٦ ؛ الجهضمي ، نصر (ت٢٥٠ه) ، تاريخ أهل البيت المروي عن الأئمة عليهم السلام ، محمد رضا الجلالي

، ط الثالثة – قم ١٤٣٥ه ، ص١٧١ ؛ الشيرواني ، حيدر (ت١١٤٥ه) ، مناقب أهل البيت عليهم السلام ، تحقيق: محمد الحسون، ط المنشورات الاسلامية ١٤١٤ه ، ص٢٥٥.

٤٦» ذكره ابن عساكر، علي (ت٥٧١ه) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، ط دار الفكر – بيروت ١٤١٥ه ، ج٤٤، ص١٤٧؛ والمزي في تهذيب الكمال ، ج١٣ ، ص٢٣٧ ؛ والذهبي ، محمد (ت٧٤٨ه) ، تاريخ الاسلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام ، ط الثانية – بيروت ١٤٠٩ه ، ج٢ ، ص٦٦ .

٤٧» ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة ، ج٢ ، ص٥٢ ؛ والنووي، أبي زكريا (ت٦٧٦ه) ، تهذيب الاسماء واللغات ، ط الاولى – المنيرية، مصر ، ق١، ص٣٤٣ ؛ والشبلنجي في نور الابصار ، ص١٣٧ .

48» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam. 481 . مُعرّب

٤٩» الاسلام الشيعي ، ص٦٠ .

٥٠» الشيعة الاثنا عشرية ، ص٨٢ .

٥١» عقيدة الشيعة ، ص١٢٠ .

٥٢» المصدر نفسه ، ص١١٩ .

٥٣» ينظر : الزمخشري ، أبي القاسم (ت٥٣٨ه) ، ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، تحقيق : عبد الامير المهنا ، ط الاولى – الاعلمي – بيروت ١٤١٢ه ، ج١ ، ص٣٣٤ ؛ ابن خلكان ، أحمد(ت٦٢١ه) ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. ط السعادة – القاهرة ١٩٤٨م ، ج٣ ، ص٢٦٧ .

54» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482 . مُعرّب

٥٥» كارل بروكلمان، مستشرق الماني، ولد في مدينة روستوك سنة ١٨٦٨م، كان أبوه تاجراً ، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، وقد استطاع الحصول على الدكتوراه الأولى سنة ١٨٩٠م، انتخب بروكلمان في جامعات: برلين وليبزيج وبودابست وبون ودمشق، وغيرها، توفي ٦ مايو سنة ١٩٥٦م عن عمر يناهز ٨٧ سنة، من مؤلفاته:العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وديوان لبيد مترجم، وتلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، والوفا في فضائل المصطفى، وغيرهما .

موسوعة المستشرقين ، ص٩٨-١٠٥ .

٥٦» بروكلمان ، كارل (ت١٣٧٥ه) ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : د. عبد الحليم النجار ، ط دار المعارف – مصر ، ج١ ، ص٢١١ .

٥٧» وليام مونتغمري واط، ولد في بريطانيا ٤مارس سنة ١٩٠٩م، عمل استاذاً للغة العربية والدراسات الاسلامية والتاريخ الاسلامي بجامعة إدنبرة باسكتلندا، توفي في٢٤ إكتوبر سنة ٢٠٠٦م وله من العمر٩٧ سنة، من أشهر كتبه : محمد في مكة ١٩٥٣م، وكتاب محمد في المدينة ١٩٥٦م.

موقع الانترنيت http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb119289340

58» Hodjson, M. (How did the Shia?)Op. Cit. P. 1,3,Watt, M. (Shilsm under The Umayyads) in (Shiism) Volum. I.

٥٩» عقيدة الشيعة ، ص١٢٠ .

٦٠» الشيعة الاثنا عشرية ، ص٨٢ .

61» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482 . ، مُعرّب

62» Hell, J (al- Farazdaks loblied auf Ali ibn al (Zain al Abidin) in Feslschrifl Eduard Sachau (ed G Weil, Berlin 1915,) P. 368.

٦٣» تاريخ الادب العربي ، ج١ ، ص٢١١ .

٦٤» ماري كليمنت هيورت، مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٨٥٤م، درس اللغة العربية في الرابعة عشر من عمره، تخرج من كلية اللغات الشرقية، وفي سنة ١٩٠٨م عُيّن مديراً للدراسات عن الاسلام والديانات العربية في ايفا، توفي سنة ١٩٢٦م عن عمر يناهز ٧٢سنة، أما أعماله فهي قليلة ولم يتم إعادة اصدارها لحد الان، منها : تاريخ الادب العربي.

١- موقع الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

65» Huart,clement. Ahistory of Arabic Literature. New York: D.Appleton, 1903.51 مُعرّب

٦٦» عقيدة الشيعة ، ص١٢١ .

67» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482 . ، مُعرّب

٦٨» روى الاصفهاني هذه الابيات لدادو بن سلم في قثم بن العباس، وقيل : لخالد بن يزيد فيه. وقيل الابيات تُنسب الى عمر بن شبة الملقب بالحزين في عبد الله بن عبد الملك بن مروان.

الاغاني ، ج١٥ ، ص٢١٧ .

٦٩» هو محمد بن أحمد أبو زهرة، أكبر علماء الشريعة الاسلامية في مصر، ولد سنة ١٣١٦هـ، تخرج من كلية اصول الدين وعين استاذا محاضراً للدراسات العليا في الجامعة سنة ١٩٣٥م، توفي سنة ١٣٩٤م، له مؤلفات منها : تاريخ الجدل في الاسلام، مذكرات في الوقف.

ينظر : الزركلي ، خير الدين (ت١٤١٠ه) ، الاعلام ، ط الخامسة – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م .

٧٠» أبو زهرة ، محمد (ت١٣٩٤ه) ، الامام زيد ، ط محمد علي صبيح – مصر ، ص٢٨ .

٧١» ولد إنطوان صفير في لبنان ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨م استاذ جامعي لبناني – فرنسي، واستاذ جامعي في العلاقات الدولية في جامعة السوربون في فرنسا، له اهتمام بالتاريخ والسيرة، شغل منصب تحرير دورية (كراسات الشرق) .

ينظر : الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

٧٢» بشارة ، جواد (معاصر) ، المسألة الشيعية – رؤية فرنسية – ، ط دار ميزوبوتاميا – بغداد ٢٠١٥م ، ص٤٨ .

73» Hell, J (al- Farazdaks loblied auf Ali ibn al (Zain al Abidin) in Feslschrifl Eduard Sachau (ed G Weil, Berlin 1915,) P. 368.

٧٤» الدكتورة الرزينة لالاني، عضوة وباحثة في معهد الدراسات الاسماعيلية، ومتخصصة في الشؤون العربية وحائزة على شهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية من جامعة إدنبرغ، شاركت في محاضرات حول أدب الحديث في كلية الدراسات الشرقية في جامعة كامبريدج، وعملت مستشارة باللغة العربية في جامعة دومونفور، كماحاضرت لسنوات عديدة في معهد الدراسات الاسماعيلية.

٧٥» ينظر : الطبري ، ابن جرير (ت٣١٠ه) ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط دار المعارف – مصر ١٩٦٢م ، ج٢ ، ص٢٢٠ .

٧٦» ينظر : الدينوري ، ابن قتيبة (ت٢٧٦ه) ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط الاولى – دار احياء الكتب العربي١٩٦٠م ، ص٢٦٦ ؛ المسعودي ، أبي الحسن(ت٣٤٦ه)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط الثانية – دار الهجرة – قم ١٤٠٤هـ ، م٣ ، ص٧٠ .

٧٧» لالاني ، الرزينة(معاصره) ، الفكر الشيعي المبكر – تعاليم الامام محمد الباقر – ، ترجمة: سيف الدين القصير ، ط الاولى – دار الساقي – بيروت ٢٠٠٤م ، ص٥٤ .

٧٨» المصدر نفسه ، ص٥٥ .

79» Kohlberj. (Zain al Abidinj) in Ensyclopidia of Islam.482 . ، مُعرّب

٨٠» ولد هاينس عام ١٩٤٢م في مدينة أندرناخ على نهر الراين في المانيا، بدأ في عام ١٩٦٢م دراسة كل من العلوم الاسلامية والسامية والعصور الوسطى في جامعة توبنغن، خصّ ظاهرة الغنوصة الاسلامية في مباحث منها : كونيات وعلم الخلاص لدى الاسماعيليين الاوائل، وكتاب الأظلة. وهو مستشرق ناشر ومشارك في كل من الدوريات التالية : عالم المشرق، والاسلام، كما نشر عدد من الكتب منها : الشيعة، والاسلام الشيعي – من الدين الى الثورة، والفاطميون وتقاليدهم في التعليم، والاسلام ماضٍ وحاضر .
ينظر : هالم ، هاينس (معاصر) ، الغنوصية في الاسلام ، ترجمة : رائد الباش ، ط الاولى – منشورات الجيل ٢٠٠٣م ، المقدمة .

٨١» الغنوصية في الاسلام ، ص٦١ .

٨٢» ينظر : الامام زيد ، ص٢٤ ؛ موسوعة أهل البيت عليهم السلام – الامام زين العابدين – القرشي، ج١٥ ، ص٣٠٧ – ٣٠٨.

٨٣» كوهلبرغ ، إيتان ، الشيعة الأوائل في التاريخ والدراسات ، ترجمة ونقد : رضا ياري نيا و سيد مصطفى مطهري ، مجلة دراسات استشراقية ، ع٢ ، السنة الاولى ٢٠١٤م ، ص٢١٤ .

٨٤» سطوع نجم الشيعة ، ص٦٧ .

٨٥» ابن سعد ، محمد (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، ط دار صادر – بيروت ، ج٥ ، ص٢٢٢ .

٨٦» العمري ، علي (ت٧٠٩ه) ، المجدي في أنساب الطالبيين ، تحقيق : أحمد المهدوي الدامغاني، ط الاولى – سيد الشهداء – قم ١٤٠٩هـ ، ص٩٢ .

٨٧» العسقلاني ، ابن حجر (ت٥٢٨هـ) ، تهذيب التهذيب ، ط الاولى – دار الفكر – بيروت ١٤٠٤هـ ، ج٧ ، ص٣٠٥ .

٨٨» تاريخ التراث العربي –الفقة – ، م١ ، ج٣ ، ص٢٦٢ .

٨٩» المائدة ، ٦٧

٩٠» اشتروطمن (رودولف)، مستشرق الماني، ولد سنة ١٨٧٧م، وقد تخصص في اللاهوت وصار مدرساً في مونستر سنة ١٩٠٥م، وقسيساً ومرشداً للدراسات في شوليفورتا سنة ١٩٠٧م، وفي سنة ١٩٢٣م أصبح استاذاً للدراسات الشرقية في جامعة جيسن، وقد اهتم مترجمنا بالمذاهب المستوردة في الاسلام ومهتماً بالدراسات الدينية وفهم الظاهرة الدينية بوجه عام، توفي سنة ١٩٦٠م ، له عدة مصنفات منها : مذهب الزيدية في الامامة، وأبحاث في المبتدعة، وبدر وأحد وكربلاء، والشيعة الاثنا عشرية، والبربر والاباضية، والنصيريا في سوريا، وغيرهما .

ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص٣٤ – ٣٥.

91»Rudolph. Strhmann : Die Zwolfer Schia,a (Leipzij 1926)

٩٢» كارل هينرش بكر، ولد في أمستردام في اليوم الثاني عشر من ابريل سنة ١٨٧٦م، لأب مصرفي وتنتسب العائلة الى الطبقة البرجوازية، درس في جامعات لوزان، هايدلبرغ وبرلين، وسافر إلى إسبانيا، السودان، اليونان، وتركيا قبل حصوله على الدكتوراه في عام ١٨٩٩، وسافر القاهرة وعاد منها الى بلاده سنة ١٩٠١م، عين مستشارا مقررا في وزارة المعارف الروسية، ثم وزيرا سنة ١٩٢٥م، كان له ولع كبير بعلم اللاهوت، توفي سنة ١٩٣٣م، له: دراسات اسلامية.

ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص١١٣ – ١١٦ .

93» Takmamitsu Shimamoto : Leadership in Twelve Shiism

٩٤» أبو خالد القماط الكابلي، وردان، ويكنى كنكر، كوفي، عُدَّ من أصحاب الامامين زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام ، له كتاب، ثقة، إذ وردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه عن أئمة آل البيت ذكرها علماء الرجال من الامامية في مصنفاتهم للدلالة على توثيقه وتعديله .

ينظر : الطوسي ، أبو جعفر (ت٤٦٠ه) ، الرجال ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨١هـ ، ص٢٧٧ ؛ الخوئي ، أبو القاسم (ت١٤١٣ه)، معجم رجال الحديث ، ط الاولى – الاداب – النجف الاشرف ١٩٧٤م ، ج١٥ ، ص١٣٤ .

95» Capezzone, (Abiura della Kaysaniyyae conversion all,ilamiyya : il caso di Abn

Halid – Kabuli, in RSO Volume 66 1992) P I- 13

٩٦» للاطلاع ينظر : ناجي ، عبد الجبار (معاصر) ، التشيع والإستشراق ، ط الاولى – منشورات الجيل ٢٠١١م ، ص٢٩٨.

(٩٧) ولد في بوخارست، عاصمة رومانيا سنة ١٩٠٧م، حصل على الدكتوراه عن اليوغا في الهند عام ١٩٣٢م، وعُيّن بعد عودته إلى بوخارست منصب الملحق الثقافي لسفارة رومانيا في لندن، وفي عام ١٩٤٥م عُيّن أُستاذاً في معهد الدراسات العليا في باريس، ثم درس في جامعة السوربون وفي جامعات أوربية مختلفة، وفي عام ١٩٥٧م انتقل إلى جامعة شيكاغو في أمريكيا ليدرس علوم الميثولوجيا وتاريخ الأديان، له عدة مصنفات تربو على الأربعين كتاباً منها : دراسة في تاريخ الأديان، واسطورة العود الأبدي، وملامح من الأسطورة، واليوغا خلود وحرية، وغيرها.

إلياد ، ميرسيا (ت١٣٣٦هـ) ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة : عبد الهادي عباس، ط دار دمشق – دمشق – ١٩٨٧م ، المقدمة .

(٩٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٧٧ .

(٩٩) أشار إلى ذلك الرازي في قوله تعالى : {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} الواقعة ، ١٠، وانّ ابا بكر هو أول الناس إيماناً من الرجال.

ينظر : الرازي ، أبو حاتم (ت٢٧٧هـ) ، ، تفسير الرازي ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، ط صيدا – المكتبة العصرية ، ج١٦ ، ص١٧٠ .

(١٠٠) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج٣ ، ص٩٠ و ص١٣٤ .

(١٠١) سديو لوي بيير، مستشرق فرنسي، ولد في باريس في ٢٣ يونيو ١٨٠٨م، وتعلّم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات، حصل على الليسانس من جامعة باريس في الحقوق، قام هو بمتابعة أبحاث أبيه في ميدان تاريخ الفلك والرياضيات عند الشرقيين، توفي عام ١٨٧٥م، من آثاره : رسالة في الفلك، ودراسة عن الحسن بن الهيثم، بحث في النظم الجغرافية، وغيرها .

ينظر : حمدان ، عبد الحميد (معاصر) ، طبقات المستشرقين ، ط مصر – مكتبة مدبولي ، ص٥٠ – ٥١.

(١٠٢) بيير ، سديو (ت١٢٩١هـ) ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط دار احياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٤٨م ، ص١٢٦ .

(١٠٣) ألفرد جيوم، ولد سنة ١٨٨٨م، تخرج من جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الاولى وعيّن محاضراً للغة العبرية الملكي بلندن سنة ١٩٢٠م واستاذاً للغات الشرقية في جامعة درهام، واستاذاً لدراسات العهد القديم في جامعة لندن سنة ١٩٤٥م، ونال أوسمة عديدة وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٤٨م والمجمع العراقي سنة ١٩٤٩م، توفي سنة ١٩٦٢م، من آثاره : تراث الاسلام، ومدخل إلى علم الحديث، وأثر اليهودية في الاسلام، والتشريع الاسلامي .

ينظر : معجم أسماء المستشرقين ، ص٣٠٩.

(١٠٤) جيوم ، الفرد (ت١٣٨١هـ) ، الإسلام ، ترجمة : محمد مصطفى ، ط القاهرة – ١٩٨٥م ، ص٢١ .

(١٠٥) ادوارد براون، مستشرق انجليزي، ولد سنة ١٨٦٢م، درس براون في مدرسة جلنلموند ومدرسة إيتون الشهيرة، ودخل جامعة كمبردج لدراسة الطب في ١٨٧٩م، وحصل على بكالوريوس الطب سنة ١٨٨٧م، كان مهتما باللغات الشرقية وخاصة في الادب الفارسي، أقام في ايران فترة من الزمن، ولما عاد منها عين سنة ١٨٨٨م مدرسا للغة الفارسية في جامعة كمبردج، ثم قام برحلات عديدة منها الى باريس وتركيا وتونس ومصر وغيرهما، توفي سنة ١٩٢٦م، له عدة مصنفات منها : التاريخ الادبي الفارسي، والطب العربي، وتحقيق كتاب تذكرة الشعراء لدولتشاه، وكتاب لباب الالباب، وغيرما.

ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص٧٩ ؛ طبقات المستشرقين ، ص٩٣- ٩٤.

106» dward. Browne , Enchycloedia of religion and Ethics, vol, IIP. 299 E

١٠٧» مستشرق امريكي معاصر له كتاب دراسة المناطق اعادة تقويم نقدية ، وله كتاب دراسة الاسلام .

108» Leonard Binder , The Ideolocical Revolution in the middl eas Department of political science of university chiicago. p. 32

N, Soderblorn , Encyclopaedia of religion and Ethics, vol, p. 183 (109)

١١٠» للاطلاع ينظر : أصول الكافي ، ج١ ، ص٢٩٧ و ٣٠٤ باب النص على وجوب إمامة علي بن الحسين ، الحديث ٣ ؛ القمي ، أبو القاسم (ت٤٠٠ه) ، كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، تحقيق : عبد اللطيف الحسيني ، ط قم ١٤١٣ه ، ص٣١١ ؛ العاملي، محمد (ت١١٠٤ه) ، اثباة الهداة بالنصوص والمعجزات ، تصحيح : هاشم الرسولي المحلاتي ، ط الاولى – العلمية – قم ١٣٧٩ه ، ج٥ ، ص٢١٤ .

١١١» المسألة الشيعية رؤية فرنسية ، ص٥٠ .

١١٢» عقيدة الشيعة ، ص٢٢٦ .

١١٣» الفكر الشيعي المبكر – تعاليم الامام محمد الباقر- ، ص٢٤-٢٥ .

١١٤» عقيدة الشيعة ، ص١١٤ .

١١٥» من المؤكد أنّ محمد بن الحنفية كان يُدين بالامامة للامام زين العابدين عليه السلام، ولم يدع الامامة لنفسه، وإنّما ادّعاها الناس له، وحاشا أن يدّعي ما ليس له، فقد كان من أشد الناس ورعاً، ومن أكثرهم تحرّجاً في الدين، فهو الذي يهبها لمن يشاء من عباده، وهو على يقين أن إمام عصره هو الامام زين العابدين عليه السلام. وأما النزاع الذي جري بينه وبين الامام في الرواية المشهورة إنما هو نزاع صوري واتفاقٌ مسبق؛ وذلك لبلورة الرأي العام، وإرجاع القائلين بإمامة محمد بن الحنفية الى الحق .

للاطلاع ينظر : موسوعة سيرة أهل البيت – الامام زين العابدين- ، القرشي ، ج١٥ ، ص١٢٣- ١٢٤.

١١٦» عقيدة الشيعة ، ص١١٨ .

١١٧» الاسلام الشيعي ، ص٣٠ .

١١٨» الفكر الشيعي المبكر – تعاليم الامام محمد الباقر – ، ص٦٠ .

١١٩» المصدر والصفحة نفسها .

١٢٠» سطوع نجم الشيعة ، ص٦٥ .

١٢١» المصدر نفسه ، ص٦٨ .

١٢٢» ماتيو تيرييّه، أستاذ الفلسفة، ودكتور العلوم الدينية، باحث مشارك في مخبر البحوث حول الديانات التوحيدية.

١٢٣» تيرييّه ، ماتيو(معاصر)، الشيعة والسنة سلام مستحيل، ط جانفي – ٢٠١٦م ، ص١٥.

١٢٤» كوربان ، هنري (ت ١٣٩٨هـ) ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة نصير مروة و حسن قبيسي ، ط الثانية – بيروت ١٩٧٧م ، ج١ ، ص١٠١ .

١٢٥» فلهوزن (يوليوس)، مؤرخ ألماني مسيحي، ولد سنة ١٨٤٤م، درس على يد العالم باللغات السامية (إيفلد)، وفي سنة ١٨٧٢م أصبح أستاذاً ذا كرسي في جامعة جريفسفلد، فانتقل الى جامعة هلّه في سنة ١٨٨٢م حيث قام بتدريس اللغات الشرقية، توفي سنة ١٩١٨م، من مصنفاته : في تاريخ اليهود ونقد الكتاب المقدس، وتأليف الاسفار الستة، ونقد الانجيل، وفي تاريخ الاسلام والعرب، وغيرهما .
ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص٤٠٨ – ٤١٠.

١٢٦» فلهوزن ، يوليوس (ت١٣٣٦هـ) ، الخوارج والشيعة ، ترجمة : عبد الرمن بدوي ، ط النهضة – مصر – ١٩٥٨م ، ص٢٥٦ .

١٢٧» جيمس ليندزي، دكتوراه في فلسفة التاريخ في جامعة وسكونسن، أستاذ التاريخ ودراسات الشرق الاوسط المشارك في جامعة كولورادو ، ومتخصص في التاريخ المبكر للاسلام، والخلافة، وقصص الانبياء، له مجموعة دراسات منها : البعد التاريخي للاسلام، وتحرير كتاب ابن عساكر وتاريخ الاسلام المبكر، ودعوة فاطمة في افريقية، وغيرها.

١٢٨» ليندزي ، جيمس (معاصر) ، العالم الاسلامي في العصور الوسطى ترجمة : د. ناصر الحجيلان ، ط الاولى – أبو ظبي ١٤٣٣ه ، ص٢٣ .

١٢٩» أرند جان فنسنك، مستشرق هولندي، ولد سنة ١٨٨٢م، كان استاذاً للغة العربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٧٢م حتى وفاته، وقام برحلات الى مصر وسوريا وعدد من البلدان العربية، وانصرف الى العناية بالحديث النبوي، فوضع بالانكليزية للالفاظ الواردةفي اربعة عشر كتابا من كتب السنن والسيرة،، نقله الى العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وسماه مفتاح كنوز السنة، وتولى تحرير موسوعة دائرة المعارف الاسلامية، وله كتب بالانكليزية عن الاسلام والمسلمين، توفي سنة ١٩٣٩م.
ينظر : الاعلام ، ج١ ، ص٢٨٩.

١٣٠» مارتن تيودو هوتسما، مستشرق هولندي، ولد سنة ١٨٥١م، دخل جامعة ليدن، وفي سنة ١٨٧٥م

حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت، برسالة عنوانه : النزاع حول العقيدة في الاسلام، ، وعين سنة ١٨٩٠م أستاذاً للغة العربية في جامعة أوترخت، توفي سنة ١٩٤٣م، من أعماله العلمية : فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن، تحقيق كتاب ديوان الاخطل مادح الامويين، وتحقيق كتاب الاضداد ، وغيرهما .

ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص٦١٦ .

١٣١» آرنولد (توماس ووكر)، مستشرق انكليزي ولد سنة ١٨٦٤م، وتعلّم أولاً في مدرسة بلايموت، انتقل الى في مدرسة لندن سنة ١٨٨٠م، ثم التحق بكلية المجدلية في جامعة كمبردج سنة ١٨٨٢م، قام بتدريس الفلسفة في كلية عليكره الاسلامية لمدة عشر سنوات، وعين استاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور، وقام بالتدريس في جامعة القاهرة بقسم التاريخ، توفي سنة ١٩٣٠م، من أعماله : الدعوة الاسلامية، والمعتزلة، والخلافة، والاضطهاد، وغيرهما .

ينظر : موسوعة المستشرقين ، ص٩ .

١٣٢» ليفي بروفنسال، مستشرق فرنسي، ولد في الجزائر سنة ١٨٩٤م، كثير الاشتغال بالمخطوطات العربية، وتعلم في الجزائر، وحضر حرب الدردنيل في الدجيش الفرنسي، عين سنة ١٩٢٠م مدرساً في معهد العلوم العليا المغربية في الرباط، وانتدب لتدريس تاريخ العرب في جامعة السوربون في باريس، توفي سنة ١٩٥٥م، من مصنفاته : فهرس المخطوطات العربية في الرباط، والحضارة العربية في اسبانيا، والبيان المغرب، وغيرهما .

موقع r.wikipedia.org/wiki

١٣٣» هنري لامنس، مستشرق بلجيكي، وفرنسي الجنسية، ولد في مدينة جنت سنة ١٨٦٢م، من علماء الرهبان اليسوعيين، تعلّم علوم اللاهوت في انكلترا، وكان استاذاً للاسفار القديمة في كلية روما، واستقر في بيروت فتولى ادارة جريدة البشير، توفي سنة ١٩٣٧م، صنف كتباً بالعربية منها : فرائد اللغة، والالفاظ الفرنسية المشتقة من العربية، والمذكرات الجغرافية للاقطار السورية، وغيرهما .

ينظر : الاعلام ، ج٨ ، ص٩٩ .

١٣٤» هارتمان ، مارتن، مستشرق الماني، ولد في مدينة برسلاو في ٩ ديسمبر سنة ١٨٥١م، درس في جامعة ليبتسك، حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٨٧٤م، في اللغة العربية والدراسات الاسلامية، وفي سنة ١٨٩٨م أنشأ معهد اللغات الشرقية في برلين، وأصبح عميد الدراسات الاسلامية في ألمانيا، توفي في برلينة سنة ١٩١٨م، من أعماله : رسائل من تركيا، وتركستان الصينية، واغاني الصحراء الليبية، وغيرهما.

ينظر : معجم أسماء المستشرقين، ص٦٩٤ .

١٣٥» لم يرد هذا الاسم في كتب التاريخ، وربما وقع التصحيف فيه .

١٣٦» لا يخفى على المؤرخ المحقق إنَّ هذه التي وردت في النص غير شهربانو والدة الإمام زين العابدين عليه السلام

فإنَّ الأخيرة توفيت في نفاسها، ومن الممكن أن التي كانت في كربلاء هي زوجة محمد بن أبي بكر التي تزوّجها الامام الحسين عليه السلام بعد وفاته وأنجب منها عبد الله، وهي التي ذكرها البعض أنها رمت نفسها في الفرات بعد قتل الامام الحسين عليه السلام.

ينظر : مناقب آل أبي طالب ، ج٣ ، ص٢٥٩ ؛ ينابيع المودة ، ج٣ ، ص١٥٢؛ تحفة العالم ، ج٢ ، ص٨.

١٣٧» الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٢١١ .

١٣٨» الدينوري ، ابن قتيبة (ت٢٦٧ه) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط دار المعارف – القاهرة ، ص٢١٤ .

١٣٩» البلاذري ، أحمد (ت٢٧٩هـ) ، أنساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ط الاولى – دار التعارف – بيروت ١٩٧٧م ، ج٣ ، ص١٤٦ .

١٤٠» الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ، ط مؤسسة الاعلمي – بيروت ، ص١١٩.

١٤١» القاضي النعمان ، أبي حنيفة (ت٣٦٣هـ) ، شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق : محمد الحسيني الجلالي ، ط مؤسسة النشر الاسلامي – قم ، ج٣ ، ص١٥٤ .

١٤٢» هي منطقة تقع بين مكة والمدينة، وهي قريبة من طريق الحاج الشامي .

ينظر : الحموي ، ياقوت (ت٦٢٦ه) ، معجم البلدان ، ط دار احياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٩ه ، ج٥ ، ص٤٤٩.

١٤٣» من الأمور المقطوع بها انَّ الإمام زين العابدين عليه السلام لا يرى لأي زبيري أو أموي كفاءة لمصاهرته، كيف ونصب عينه أحقاد القوم؛ فيكيف يُرافق أُخته سكينة الى الزواج المزعوم من مصعب الزبيري ؟ إنها من الموضوعات التاريخية التي وضعها الاصفهاني صاحب الاغاني وابن قتيبة صاحب المعارف؛ لشويه مسيرة أهل البيت عليهم السلام . فراجع.

١٤٤» ليس في الكتب الامامية المحققة ما يشير الى أن الامام زين العابدين عليه السلام بادر الى سب المختار، فضلاً عن أخلاقه عليه أفضل الصلاة والسلام التي تأبى السب واللعن.

145» Islam,Volume,7,New york, The Encyclopaedia of E.j.BRILL,1993. 481-483.

١٤٦» ميشال سليم كعدي، ولد في بلدة قوسايا (زحله – لبنان) سنة ١٩٤٤م، وحصل على شهادة الدكتوراه في فقة اللغة العربية سنة ١٩٨٣م، عضو في أكاديمية الفكر بلبنان، وعضو اتحاد الكتاب اللبنانيين، يمتاز نثره باسلوب جمالي خاص، له عدة مؤلفات منها : الامام علي نهجا وروحا وفقها، ورياحين الامامة، ومعلموا العالم – مسرحية- ، والمرأة في شعر الدكتور زياد نجيب، وخليل فاخوري شاعر الشباب، وغيرها.

١٤٧» كعدي ، ميشال (معاصر) ، الامام زين العابدين عليه السلام والفكر المسيحي ، ط الاولى – بيروت ١٤٣٤هـ ، ص١٨٩.

١٤٨» الحسين،علي(ت٩٣ه)،الصحيفة الكاملة السجادية،ط المشكاة – طهران١٣٦١ه، مقدمة المرعشي ، ص٢٨.

١٤٩» الامام زين العابدين والفكر المسيحي ، ص١١٦ .

١٥٠» المصدر نفسه ، ص١٥٥ .

١٥١» مستشرق انجليزي، ولد سنة ١٨٦٨م، دخل جامعة أبردين، ثم كلية الثالوث في كمبردج، ثم تحول الى دراسة اللغتين الفارسية والعربية، في سنة ١٩٠١م، انتقل الى كلية الجامعة في لندن أستاذا للغة الفارسية، توفي في شستر سنة ١٩٢٤م، من نتاجاته العلمية : ترجمة وشرح ديوان "مثنوي معنوي" للشاعر الفارسي جلال الدين الرومي، وتاريخ الادب العربي، وغيرها .
موسوعة المستشرقين ، ص٥٩٣- ٥٩٤.

١٥٢» نيكولسون ، رينولد (ت١٣٤٤ه) ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة : أبو العلا عفيفي ، ط القاهرة – ١٣٧٥هـ ، المقدمة.

١٥٣» الاصبهاني ، أبي نعيم (ت٤٣٠هـ) ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ط الاولى – السعادة – مصر ١٣٥٢هـ ، م٣ ، ص١٣٤ .

١٥٤» تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ج١ ، ص٧٥ .

١٥٥» تاريخ التراث العربي ، م١ ، ج٤ ، ص٩٣ .

١٥٦» للاطلاع ينظر : الكافي ، ج٥ ، ص٦٥ ؛ النوري ، حسين (ت١٣٢٠ه) ، مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة أل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، ط الاولى – بيروت ١٤٠٨ه ، ج١٢، ص٣٢٣.

١٥٧» العسكري ، الحسن (ت٢٦٠هـ) ، تفسير الامام العسكري عليه السلام، تحقيق : مدرسة الامام المهدي ، ط الاولى – قم ١٤٠٩هـ ، ص٣٢٨. .

١٥٨» الاسلام الشيعي ، ص٦٠ .

١٥٩» ينظر : اغا بزرك ، محسن (ت١٣٩٠ه) ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ط دار الاضواء – بيروت ، ج١٥ ، ص١٥

١٦٠» الشيعة الاثنا عشرية ، ص٨٢ – ٨٣ .

١٦١» اهتمّت الاوساط الاسلامية الشيعية اهتماماً بالغاً بالصحيفة السجادية، إذ بلغت الشروحات عليه لحد يومنا هذا على ثمانوان شرحاً تقريباً. فراجع .

١٦٢» لقد نُسبت هذه المناجات الى الامام زين العابدين عليه السلام، إذ دوّنها المحقق العلامة المجلسي في بحاره، وعدّها العلماء الذين ألّفوا في ملحقات الصحيفة السجادية من بنودها، كما ذكرها المحقق الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان، وقد حفلت بها خزائن المخطوطات في مكتبات العالم، وتوجد منها نسخة أثرية بخطٍ رائع في مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الاشرف.
المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١ه) ، بحار الانوار ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط الثانية- الوفاء – بيروت

١٩٨٣م ، ج٩١ ، ص١٤٢ – ١٥٣؛ القمي ، عباس (ت١٣٥٩ه) ، مفاتيح الجنان ، تعريب : محمد رضا النوري ، ط الثالثة – قم ٢٠٠٦م .

163» Chittick, W.W. : The Psalim of Islam : al- Sahifa al – Sajjadiyyawith an introduction and annotation (London 1988).

164» Islam,Volume,7,New york, The Encyclopaedia of .j.BRILL,1993.484

* المصادر والمراجع *

خيرُ ما نبتدئُ بهِ (القرآن الكريم) **اللهم زَيّن به لساني وجمّل به وَجهي**.

١- الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م).

اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ، تصحيح : هاشم الرسولي المحلاتي ، (ط الاولى – العلمية – قم ١٣٧٩هـ) .

٢- القرماني ، أحمد بن يوسف، (ت١٠١٩ه) .

أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ ، ، ط حجرية – كافل التبريزي – بغداد ١٢٨٢ه .

٣- الدينوري ، أحمد بن داوود ، (ت٢٧٦ه) .

الاخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، ط الاولى – دار احياء الكتب العربي ١٩٦٠م .

٤- المفيد ، أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري ، (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) .

الارشاد ، (ط الحيدرية – النجف الاشرف – ١٣٩٢هـ) .

٥- الزركلي ، خير الدين (ت١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) .

الاعلام ، (ط٥ دار العلم للملايين –بيروت – ١٩٨٠م) .

٦- أبو زهرة ، محمد أبو زهرة (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م) .

الامام زيد – حياته وعصره،(ط دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٤).

٧- كعدي ، ميشال ، (معاصر) .

الامام زين العابدينعليه السلام والفكر المسيحي كعدي ، (ط الاولى – بيروت ١٤٣٤هـ) .

٨- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م) .

أنساب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، (ط الاولى – دار التعارف – بيروت ١٩٧٧م) .

٩- المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي ، (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م) .

بحار الانوار ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، (ط الثانية – الوفاء – بيروت ١٩٨٣م) .

١٠- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

تاريخ الاسلام ، تحقيق: د. عمر عبد السلام ، (ط الاولى - دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ).

١١- الطبري ، ابن جرير محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) .
تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط دار المعارف – مصر ١٩٦٢م).
١٢- الجهضمي ، نصر بن علي ، (ت٢٥٠ه) .
تاريخ أهل البيت المروي عن الأئمةعليهم السلام ، محمد رضا الجلالي، (ط الثالثة – قم ١٤٣٥ه) .
١٣- ابن عساكر ، علي بن الحسين ، (ت٥٧١ه) .
تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، (ط دار الفكر – بيروت ١٤١٥ه) .
١٤- بحر العلوم ، جعفر بن محمد باقر (ت١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) .
تحفة العالم في شرح خطبة المعالم ، تحقيق : أحمد علي مجيد الحلي ، (ط الاولى – الاعلمي – بيروت ١٤٣٣هـ) .
١٥- ناجي ، الدكتور عبد الجبار (معاصر) .
التشيع والاستشراق ،(ط الاولى – منشورات الجمل ٢٠١١م) .
١٦- العسكري ، الحسن بن علي ، (ت٢٦٠هـ) .
تفسير الامام العسكري عليه السلام ، تحقيق : مدرسة الامام المهدي ، (ط الاولى – قم ١٤٠٩هـ) .
١٧- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) .
تفسير القرآن ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، (ط صيدا – المكتبة العصرية) .
١٨- النووي ، أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) .
تهذيب الاسماء واللغات ، (ط الاولى المنيرية مصر) .
١٩- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) .
تهذيب التهذيب،(ط الاولى – دار الفكر – بيروت ١٩٨٤م).
٢٠- المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢ه/ ١٣٤٧م) .
تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، (ط مؤسسة الرسالة – ١٤٠٣هـ) .
٢١- الاصفهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) .
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، (ط الاولى – السعادة – القاهرة ١٣٥٢هـ) .
٢٢- البستاني، بطرس (ت١٣٠٠ه) .
دائرة المعارف ، (ط بيروت ١٩٨٩م) .
٢٣- الطهراني ، اغا بزرك محسن بن علي (ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .
الذريعة الى تصانيف الشيعة ،(ط دار الأضواء بيروت).
٢٤- الزمخشري ، أبي القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) .
ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق : عبد الامير مهنا،
ط الاولى – مؤسسة الاعلمي – بيروت ١٩٩٢م) .
٢٥- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) .

الرجال ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، (ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨١هـ) .
٢٦- النيسابوري ، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ/ ١١١٤م) .
روضة الواعظين تقديم:السيد محمد مهدي الخرسان،(ط قم).
٢٧- البخاري ، أبي نصر سهل بن عبد الله بن داود (ت٣٤١هـ/ ٩٥٣م).
سر السلسلة العلوية ، تقديم : محمد صادق بحر العلوم، (ط الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ) .
٢٨- الحنبلي ، ابن العماد عبد الحي العكري (ت١٠٩٨هـ/ ١٦٦٨م) .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (ط الصدق الخيرية – القاهرة ١٣٥٠هـ) .
٢٩- أبي حنيفة ، النعمان بن محمد ، (ت٣٦٣هـ).
شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق : محمد الحسيني الجلالي ، (ط مؤسسة النشر الاسلامي – قم) .
٣٠- الحسين ، علي بن الحسين ، (ت٩٣ه).
الصحيفة الكاملة السجادية،(ط المشكاة –طهران ١٣٦١ه).
٣١- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).
صفوة الصفوة ، (ط الاولى – مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٥٥هـ) .
٣٢- ابن سعد ، محمد بن سعد ، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥ م) .
الطبقات الكبرى (ط دار صادر – بيروت) .
٣٣- حمدان ، الدكتور عبد الحميد صالح ، (معاصر) .
طبقات المستشرقين ، (ط مصر – مكتبة مدبولي) .
٣٤- ابن عنبة ، أحمد بن علي بن حسين ، (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) .
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، (ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٥٨هـ) .
٣٥- الحسيني ، محمد بن حمزة الحسيني،(ت ٩٢١هـ/ ١٥١٥م).
غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، (ط الاولى – الحيدرية – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ) .
٣٦- الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب ، (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) .
الكافي ، تحقيق:علي أكبر الغفاري،(ط الخامسة حيدري طهران ١٣٦٣هـ) .
٣٧- الاربلي ، علي بن أبي الفتح (ت٦٩٣ه/ ١٢٩٣م) .
كشف الغمة في معرفة الائمة، (ط الثانية – دار الاضواء بيروت ١٩٨٥م) .
٣٨- القمي ، أبو القاسم (ت٤٠٠ه) ،
كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر ، تحقيق : عبد اللطيف الحسيني ، (ط قم ١٤١٣ه) .
٣٩- العمري ، علي بن محمد (ت٧٠٩ه/ ١٣٠٩م) .

المجدي في أنساب الطالبيين ، تحقيق : أحمد المهدوي الدامغاني ، (ط الاولى – سيد الشهداء – قم ١٤٠٩هـ) .
٤٠- ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١ه) .
مختصر تاريخ دمشق ، (ط دار الفكر – ١٤٠٤ه).
٤١- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر،(ط الثانية – دار الهجرة – قم ١٤٠٤هـ) .
٤٢- النوري ، حسين (ت١٣٢٠ه).
مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة أل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، (ط الاولى – بيروت ١٤٠٨ه) .
٤٣- علي ، زيد بن علي ، (ت ١٢٣ه/ ٧٤٠ م) .
مسند الامام زيد بن علي بن الحسين ، (ط دار الحياة – بيروت) .
٤٤- الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن، (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) .
مصباح المتهجد ، (ط الاولى – مؤسسة فقه الشيعة– بيروت ١٤١١ه) .
٤٥- الشافعي ، محمد بن طلحة ، (ت٦٥٢ه).
مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، تحقيق :
أحمد العطية ، (ط – قم).
٤٦- الدينوري ، ابن قتيبة أحمد بن عبد الله ، (ت٣٢٢هـ / ٩٣٤م) .
المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة،(ط دار المعارف –مصر ١٩٦٩م) .
٤٧- مراد ، الدكتور يحيى مراد (معاصر) .
معجم أسماء المستشرقين ، (ط الاولى – دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠٤م) .
٤٨- الحموي ، ياقوت بن عبد الله البغدادي، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) .
معجم البلدان ، (ط دار احياء التراث العربي – بيروت ١٩٧٩م) .
٤٩- الخوئي ، أبو القاسم علي أكبر بن هاشم (ت١٤١٣ه/ ١٩٩٢م)
معجم رجال الحديث ،(ط الاولى – الاداب – النجف الاشرف ١٩٧٤م) .
٥٠- القمي ، عباس (ت١٣٥٩ه).
مفاتيح الجنان ، تعريب : محمد رضا النوري ، ط الثالثة – قم ٢٠٠٦م) .
٥١- ابن شهر اشوب ، محمد بن علي ، (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) .
مناقب آل ابي طالب ، (ط الحيدرية – النجف الاشرف ١٩٥٦م) .
٥٢- الشيرواني ، المولى حيدر بن علي (ت ١١٤٥ه/ ١٧٣٢م) .
مناقب أهل البيت عليهم السلام ، تحقيق : محمد الحسون ،
(ط المنشورات الاسلامية – ١٤١٤هـ) .
٥٣- الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).

المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ، (ط مؤسسة الاعلمي – بيروت) .
٥٤- بدوي ، عبد الرحمن (ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .
موسوعة المستشرقين ، (ط الدار العلمية للفلسفة) .
٥٥- القرشي ، باقر بن شريف ، (ت١٤٣٣هـ).
موسوعة أهل البيت عليهم السلام الامام زين العابدين ،
(ط الاولى – دار المعروف – قم ١٤٣٠هـ) .
٥٦- النويري ، شهاب الدين (ت٧٣٣هـ) .
نهاية الارب في فنون الادب، (ط طابع گوستاتسوماس وشركاه – وزارة الثقافة والارشاد القومي).
٥٧- الشبلنجي ، مؤمن بن حسن الشافعي (ت١١١٣هـ/ ١٧٠١م) .
نورالابصار في مناقب آل بيت النبي المختار،(ط الاولى المنيرية القاهرة).
٥٨- الخصيبي ، الحسين بن حمدان ، (ت٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) .
الهداية الكبرى ، (ط مؤسسة البلاغ – بيروت ١٩٩٩م) .
٥٩- ابن خلكان ، أحمد بن محمد (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) .
وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ط السعادة – القاهرة ١٩٤٨م) .
٦٠- القندوزي ، سليمان بن ابراهيم (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) .
ينابيع المودة لذوي القربى ، (ط السابعة – الجديدة – النجف الاشرف) .

المراجع والمصادر المترجمة :

١- ماسيه ، هنري (ت١٣٨٩ه) .
الاسلام ، ترجمة : بهيج شعبان ، (ط عويدات – بيروت).
٢- جيوم ، الفرد (ت١٣٨١هـ).
الإسلام ، ترجمة : محمد مصطفى ، ط القاهرة – ١٩٨٥م
٣- ريشار ، يان (معاصر) .
الاسلام الشيعي- عقائد وايديولوجيات- ، ترجمة : حافظ الجمالي ، (ط الاولى - دار عطية – بيروت ١٩٩٦م) .
٤- بروكلمان ، كارل (ت١٣٧٥ه).
تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : د. عبد الحليم النجار ، (ط دار المعارف – مصر) .
٥- سزكين ، فؤاد(معاصر).
تاريخ التراث العربي ، ترجمة : د. محمود حجازي و د. عرفة مصطفى و د. سعيد عبد الرحيم ، ط الرياض ١٤١١ه

٦- بيير ، سديو (ت١٢٩١هـ).
تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، (ط دار احياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٤٨م) .
٧- كوربان ، هنري (ت ١٣٩٨هـ).
تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة نصير مروة و حسن قبيسي ، (ط الثانية – بيروت ١٩٧٧م) .
٨- إلياد ، ميرسيا (ت١٣٣٦هـ).
تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة : عبد الهادي عباس، (ط دار دمشق – دمشق – ١٩٨٧م).
٩- فلهوزن ، يوليوس (ت١٣٣٦هـ).
الخوارج والشيعة ، ترجمة : عبد الرمن بدوي ، ط النهضة – مصر – ١٩٥٨م) .
١٠- كونسلمان ، جرهارد (معاصر).
سطوع نجم الشيعة ، ترجمة : محمد أبو رحمة ،
(ط الاولى – القاهرة ١٤١٢ه) .
١١- كوربان ، هنري (ت١٣٧٨هـ).
الشيعة الاثنا عشرية ، ترجمة : د. ذوقان قرقوط ،
(ط الاولى – القاهرة ١٤١٣هـ) .
١٢- تيرييّه ، ماتيو(معاصر).
الشيعة والسنة سلام مستحيل، (ط جانفي – ٢٠١٦م).
١٣- دونلدسن ، دوايت. م . دونلدسون ، (ت١٣٩٥ه/ ١٩٧٦م).
عقيدة الشيعة ، ترجمة: ع. م ،(ط مؤسسة المفيد – بيروت ١٩٩٠م) .
١٤- هالم ، هاينس (معاصر).
الغنوصية في الاسلام ، ترجمة : رائد الباش ، (ط الاولى – منشورات الجيل ٢٠٠٣م) .
١٥- لالاني ، الرزينة (معاصره).
الفكر الشيعي المبكر – تعاليم الامام محمد الباقر ، ترجمة : سيف الدين القصير ، (ط الاولى – دار الساقي – بيروت ٢٠٠٤م).
١٦- نيكولسون ، رينولد (ت١٣٤٤ه).
في التصوف الاسلامي وتاريخه، ترجمة : أبو العلا عفيفي (ط القاهرة – ١٣٧٥هـ) .
١٧- بشارة ، جواد (معاصر).
المسألة الشيعية – رؤية فرنسية – ، (ط دار ميزوبوتاميا – بغداد ٢٠١٥م) .

المراجع والمصادر الأجنبية :

1- Vajelerie, L. Vessia. The Encyclopaedia of Islam, New Edition: Supplement. Brill Archive, 1980.

2- Hell, J .(al- Farazdaks loblied auf Ali ibn al (Zain al Abidin) in Feslschrifl Eduard Sachau (ed G Weil, Berlin) 1915.
3- 3- Cappezzone. (Abiura dalla Kaysaniyya convesione all Imamiyya ::Imamiyya IL caso di Abu Halid al – Kablil) in RSO. Volume 66),1992. ..(
4- Madelunj. W. (Des Imam Al Qasim ibn Ibrahim und die Glou – benlehre der Zaiditen Berlin 1965), idem (Zayn al – Abidinj) in ELR.
5- Anumber of Leadinj Orientalists, The Encyclopaedia of Islam. Brill : Leiden, 2002.
6- Hodjson, M. (How did the Shia?)Op. Cit. Watt, M. (Shilsm under The Umayyads) in (Shiism).
7- Huart,clement. Ahistory of Arabic Literature. New York : D.Appleton,1903.
8-Rudolph. Strhmann : Die Zwolfer Schia,a Leipzij 1926.
9- Takmamitsu Shimamoto : Leadership in Twelve Shiism.
10- dward. Browne. Enchycloedia of religion and Ethics, vol, IIP. 299 E.
11- Binder, Leonard. The ideological revolution in the Middle East. Krieger Publishing Company, 1979.
N, Soderblorn. Encyclopaedia of religion and Ethics. 12-
13-Chittick, W.W. : The Psalim of Islam : al- Sahifa al – Sajjadiyyawith an introduction and annotation (London 1988).
.The Encyclopaedia of Islam,Volume7,New york E.j 14- .BRILL,1993.

المجلات :

١ – دراسات **استشراقية** ، ع٢ ، مجلة ، السنة الاولى ٢٠١٤م– ١٤٣٦ ه.

٢ – **الشيعة الاوائل في التاريخ والدراسات** ، أ. د. اتيان كولبرغ ، ترجمة ونقد : رضا ياري نيا وسيد مصطفى مطهري .

مواقع الانترنيت :

١– موقع الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

٢– موقع المعرفة http://www.marefa.org/index.php

٣– المكتبة الوطنية الفرنسية http://data.bnf.fr/ark:/12148/cb119289340

❋❋❋

اللهجات العربية في الفكر الاستشراقي

■ عبد العالي احمامو(*)

١ ـ الاستشراق اللغوي:

اهتم العديد من المستشرقين بالجانب اللغوي في دراساتهم لمجتمعات العالم الشرقي، باعتبار أن اللغة هي الجسر الذي يربط المستشرق بالمجتمع قيد الدرس، ولا سبيل للتعرف على تراث وثقافة العالم العربي دون التمكن من لغته ولهجاته. وقبل الخوض في تعريف الاستشراق اللغوي، نشير إلى أننا لم نخلص إلى أي اختلاف بينه وبين الاستشراق في مفهومه العام سوى التمييز في الأهداف حيث جاء الأول مقتصرا على اللغات واللهجات، فيما الثاني تتعدد أهدافه ومجالات دراسته.

ومما لاشك فيه أن الدراسات العربية والإسلامية تحتل منزلة مهمة في الحوار العقلي الدائر بين أوروبا والإسلام، خاصة أن فتوحات العرب الكبرى والمواجهة المسلحة بين الدولة الإسلامية الفتية والإمبراطورية البيزنطية وبين الدول الأوروبية الأخرى فيما بعد؛ لم تتركا للساسة الغربيين متسعا من الوقت كي ينشغلوا بدراسة

(*) باحث بسلك الدكتوراه ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة ابن طفيل ـ القنيطرة ـ المغرب.

اللغة العربية، كما يضاف إلى ذلك قيام العالم الإسلامي بالمحافظة على تراث اليونان وغيرهم في مجالات الفلسفة، والرياضيات، والطب، والفلك، والعلوم الطبيعية وبإثرائها، مما حث الأوروبيين على الترجمة من العربية إلى اللاتينية((١)).

وقد عرفت أوروبا منذ القرن الثالث عشر تحولا في الاهتمام بالعربية خاصة بعد مؤتمر فيينا ١٣١٢م، وذلك بعدما اقتنع العديد من الأوروبيين أن الطريقة المثلى للتعامل مع المسلمين هو التعرف عن كثب على أفكارهم ولغاتهم، بعدما كان القضاء عليهم عسكريا هو الحل، وظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عُقد مجمع فيينا عام ١٣١٢م الذي أوصى أن تُدرس العربية في كبرى المراكز العلمية الأوروبية: باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامنكا، وتعد هذه الخطوة بداية المحاولات الأوربية رسميا للاهتمام بالعربية(٢).

ومع بداية القرن السادس عشر، فتحت الأوساط الأكاديمية الأبواب لكي تَدْرس وتُدَرِّس اللغة العربية. فإلى جانب كون العربية كانت لغة الكنائس الشرقية؛ كان الشرق في نظر الغرب آنذاك هو الحضارة الإسلامية، حيث اتجهت أولى الاهتمامات الغربية نحو دراسة هذه اللغة، وجاء السبق في هذا المجال من إسبانيا "فقد صدرت أول آجرومية عربية في أوربا على يد بطرس ذي القلعة في غرناطة عام ١٥٠٥هـ"(٣).

وما اكتفى علماء الاستشراق في أوروبا بدرس اللغة العربية، وادِّخار كتبها، لكنهم انصرفوا منذ عهد اختراع الطباعة إلى طبع الشيء الكثير من تواريخ بلاد العرب وجغرافيتها وتراجم رجالها وأصول شعوبها. هكذا تيسر للأوروبيين أن ينشروا أهم تلك الكتب في مختلف العلوم العقلية والنقلية. ومن جملتها أول طبعة من القرآن باللغة العربية نشرها بابا غانيني في مدينة البندقية، ثم نشر أندريا أريفابن من مانتو أول طبعة للقرآن باللغة الإيطالية، وبعد ذلك طبع هذا المصحف بسائر لغات أوروبا(٤).

ويعتبر محمد كرد علي أن كتاب دائرة المعارف الإسلامية، الذي لا يزال يصدر إلى اليوم في مطبعة ليدن الهولندية بلغات العلم الثلاث، الإنجليزية والألمانية والفرنسية، هو أصح كتاب كتب في تاريخ بلاد العرب وجغرافيتها وتراجم رجالها وأصول شعوبها، "فمن قرأه وعرف أن أمهات كتبنا في الدين والعلم والتاريخ لاتزال تطبع في مطابع الغرب منذ زهاء أربعمائة سنة، أي على أوائل عهد اختراع الطباعة، وأن المطبوع منها بالعناية الفائقة تتألف منه خزانة كتب كبرى تحتوي على كل فن ومطلب، وأن ما طبع من أسفار أسلافنا في أوربا وأمريكا على أيدي المستشرقين من أهل تينك القارتين يبلغ أضعاف أضعاف ما طبع بلغات الشرق كله، من عرف كل هذا يدرك مبلغ عناية الإفرنج بلغتنا ومدنيتنا وتاريخنا"(٥).

كما نقرأ في "أطرب الشعر وأطيب النثر" للأب لويس شيخو "أن المطبوعات العربية وحدها التي تصدر في أنحاء أوروبا فضلا عن بقية اللغات السامية، تنيف كل عام على الألف والثلاثمائة بين التآليف الصغيرة والكبيرة ذات المواضيع المتوسطة والخطيرة، وذلك بلا مراء أقوى دليل يثبت ما في علماء الغرب من الكَلَف بنشر آثار لغتنا"(٦).

وكانت دراسة العربية شائعة في شبه جزيرة إيطاليا، بالنظر إلى أن تعلمها من الحاجات الماسة لكل تجار المدن البحرية "حيث وضع أحدهم سنة ١٢٦٥م باللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا، وظلت العربية مألوفة في عدة أماكن من إيطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية، فكانت في بلاط نورماندیا وهوهانستوفين وفريديريك الثاني وديمنفروا لغة العلم العالي والشعر والأدب. وكان من سقوط الدولة البيزنطية في القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان إلى إيطاليا وكثير من نصارى الشرق، واختراع الطباعة وقيام الإصلاح الديني أن هبت في أرجاء إيطاليا حركة النهضة العلمية التي تجلت أجمل مظاهرها في الدروس الشرقية ولاسيما في دروس العربية والإسلام"(٧).

كما شاعت في القرون الوسطى في أوروبا لغتان فقط من لغات الشرق بين العلماء؛ وهي اللغة العبرانية التي كانت تعتبر لغة الإنسانية الأصلية، واللغة العربية التي كانت مهمة لكثرة البشر الذين يتكلمون بها، ولشهرة فلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وابن سينا وابن زهر والفارابي، لذلك أنشئ في باريس منذ أواسط القرن الثالث عشر للميلاد درس عام لتدريس اللغة العربية(٨).

وفي منتصف القرن السادس عشر ثار جماعة من البروتستانت بزعامة مارتن لوثر الألماني على الكنيسة، للتأكيد على ضرورة العناية باللغات التي أسموها (سامية)، وهي اللغات التي دونت بها النصوص المقدسة؛ كالعبرية والآرامية، "ولما كانت هذه اللغات مندثرة غامضة في كثير من مفرداتها وتراكيبها؛ فقد بات لزاما عليهم أن يستعينوا على معرفة ألغازها وغوامضها بالاستئناس بالعربية، وهكذا أصبحت العربية معينا لهم في معرفة نصوص كتبهم المقدسة، وكانت إلى ذلك الوقت لغة مهمة علميا، إذ كانت وعاء لعلوم مختلفة كالطب والكيمياء، وأهم من ذلك فيما يختص للأوربيين؛ أنها حفظت لهم الفلسفة اليونانية التي ترجمت إلى العربية، وفي هذا يقول آربري: "كان من فخارها (أي العربية) أنها صارت الواسطة التي نقل بها أرسطو وجالينوس اللذان كانا قد آلا إلى النسيان"(٩).

وتبقى العلاقات السياسية والاقتصادية للقوى الكبرى مع الدول الإسلامية العامل الأكبر وراء الاهتمام باللغة العربية، حيث انتزعت هولندا زمام المبادرة مع بداية القرن السابع عشر لمدة تقارب القرنين، أما بعد نجاح الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م في تحقيق أفكارها، انتزعت فرنسا الريادة في مجال الدراسات العربية، فكان نصيب هذه الدراسات من الانتعاش ما شهدته حركة الاستشراق في القرن التاسع عشر ككل وافر(١٠).

وبعد أن تطور المنهجين التاريخي والمقارن عند الغرب، وظهرت نتائج

الدراسات المقارنة التي قاموا بها، برزت الحاجة إلى دراسة تقارن اللغة العربية بأخواتها اللغات السامية. إذ يترتب على هذا النوع من الدراسات فوائد عظيمة تعود بالنفع على نتائج الدرس المقارن. إذ "إن معرفة اللغات الآرامية وغيرها من اللغات السامية تكون واسطة لحل مشاكل لغوية كثيرة في العربية، وأن معرفة العربية تحل مشاكل أخواتها اللغات السامية"(١١)، وفي القرن الثامن عشر بدأت صورة جديدة للشرق تشق طريقها؛ وذلك تماشيا مع عصر التنوير والحركة الرومانسية. فكسبت الدراسات العربية طفرة كبيرة أدت بها في نهاية المطاف إلى الانفصال عن علوم اللاهوت، وقد تزعم ذلك الجيل الكبير من المستشرقين الأوائل؛ كل من: شولتزر ورايسكي وسيلفستر دي ساسي(١٢).

والملحوظ أن الاتجاهات الأساسية لاهتمام المستشرقين بالعربية تتميز بعدة خصائص أهمها:

أ- التركيز على النصوص التراثية بقصد فهمها واستخلاص القواعد منها. وهم لا يتوقفون في ذلك عند عصور الاحتجاج اللغوي، بل يتجاوزون ذلك إلى العصور التالية حتى العصر الحديث. أما النصوص المعاصرة فهي قلما تبحث في هذا النمط من الكتب، ولو درست النصوص المعاصرة فإنها تعد عندئذ استمرارا للنمط القديم. أما النصوص الحديثة فيطلقون عليها اسم (العربية المعاصرة)(١٣).

ب- الاعتماد على الكتب العربية النحوية والصرفية والمعجمية، لذا كانت بداية جهودهم في القرن الماضي تنصب على تحقيق كتب التراث بعامة، بما في ذلك الكتب اللغوية، وترجمة بعضها إلى لغاتهم(١٤).

ومن جهود المستشرقين اللغوية المبكرة ترجمة دواوين الشعراء، والأعمال الأدبية المهمة؛ مثل كتاب مجمع الأمثال للميداني، ومقامات الحريري، إضافة إلى ترجمة الكتب المهمة في اللغة العربية وطباعتها؛ مثل الكتاب لسيبويه، والمفصل للزمخشري،

وشرح المفصل لابن يعيش وغيرها[١٥].

كما لا يخفى أثر الاستشراق في تنظيم المعجم العربي، وإسهام علمائه في تبويبه وترتيبه وتأليفه على السواء، خاصة عندما تجاهل العرب، في غفلة من الزمن، تراثهم اللغوي، وتناسوا تفوقهم المعجمي على العالم بأسره، فإنه منذ أن ابتدأت حركة الاستشراق عني القائمون بها بدراسة اللغة العربية لتفتح لهم كنوز الثقافة العربية، ولتفتح لهم أسواق بلاد العالم العربي، وفي نفس الوقت تفتح لهم الطرق إلى استعمارها، فأول معجم نسمع عنه ألفه رافانج في القرن السادس عشر، وطبع بعد وفاته في أوائل القرن التاسع عشر عام ١٨١٣م[١٦].

ومنذئذ واصل المستشرقون إخراج المعاجم العربية القديمة وتنظيمها، وإصدار المعاجم العربية الحديثة كما واصلوا دراستها بجهد واجتهاد، وقد أدى ذلك كله إلى أثرهم في الأدب العربي المعاصر؛ حيث تأثر العرب المحدثون في هذا الميدان بمنهجهم تماما[١٧].

٢ ـ إسهامات المستشرقين في دراسة اللهجات العربية:

قدم المستشرقون إنجازات كبيرة في مجال الدراسات الشرقية بصفة عامة والدراسات العربية بصفة خاصة، وتنوعت هذه الدراسات حيث قُدمت لمن يريد من الأوروبيين تعلم العربية وإتقانها؛ وشملت تأليف الكتب التي لا غنى عنها؛ مثل كتب القواعد، والمعاجم، وفهارس المخطوطات، وشروح النصوص، إضافة إلى نشر كتب التراث العربي، والعناية بالمخطوطات العربية، ووضع فهارس خاصة لها في المكتبات، وتحقيق المخطوطات النادرة ونشرها.

وما يهمنا من خلال علاقة المستشرقين بالتراث العربي، عنايتهم باللهجات العربية، حيث سنسلط الضوء على الاستشراق اللغوي في شقه اللهجي؛ أي الدراسات التي اهتمت باللهجات العربية، من خلال الأعمال والدراسات والمناهج

المعتمدة في ذلك، إضافة إلى الصعوبات التي يجدها الباحث في تتبع هذه الإسهامات، وأهمية دراستها والهدف منها.

ولن نطيل في التعريف والنشأة، وإنما سننكب على إسهامات المستشرقين في دراسة اللهجات العربية، والمناهج والوسائل التي اعتمدوها في ذلك، ثم أهم الأسباب والدوافع لدراسة أعمالهم اللغوية.

لقد ساهم امتزاج الأمم الغربية في البلاد العربية في اهتمام المستشرقين بالبحث في اللهجات العربية حيث تم إدخال تدريس لهجاتها وأصولها وتقلباتها وتطوراتها في جامعاتهم وكلياتهم، وذلك بإنشاء مدارس اختصت بدراسة اللغات الشرقية، وخاصة منها العربية، فعكف الكثير من اللغويين على دراسة اللهجات ووصف أصواتها وصيغها، وضبطها بالاستعانة بأجهزة التسجيل ومختبرات للتجارب الصوتية، كما رسموا خرائط موضحة لكل ظاهرة من ظواهر اللهجة العامية، بل في بعض الأحيان لكل كلمة من كلماتها خريطة تبين دلالتها أو كيفية النطق بها في كل منطقة من مناطق هذه اللهجة، وساهمت هذه الأعمال في تأليف العديد من الأطالس اللغوية في العديد من الجامعات.

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن لدراسة اللهجات أصولا قديمة في التراث اللغوي العربي، إلا أنها لم ترق إلى مستوى العلم أو البحث المستقل، ولا تعدو النظر السريع قصد الإفادة والاسترشاد في تفسير أو تحليل بعض ظواهر الفصحى.

والجدير بالذكر أن أول الإشكالات، التي نبه إليها إبراهيم الكعاك، في دراستنا للهجات العربية، تتجلى في كون النصوص التي وصلتنا هي مواد لغوية متوارثة، يختلط فيها الفصيح بالعامي والبَيْن بين، لذلك ينصح الباحث بالاستناد إلى المعالجة والمقاربة العلمية مما راكمته الدراسات اللغوية واللسانية في مختلف مستوياتها وعدم الاعتماد على الفكر اللغوي الكلاسيكي فقط[١٨].

وينتقل الباحث بعد ذلك إلى الحديث عن الصعوبات والعوائق التي تواجه دارس اللهجيات العربية، ويأتي في مقدمتها:

١- قلة المادة اللغوية.

٢- انعدام الدراسة اللغوية المنهجية للهجيات العربية.

٣- نقص في تنظيم وفرز المادة اللغوية حسب المعايير الجغرافية والإتنية والاجتماعية.

وتتجلى قلة المادة اللغوية عند أحمد مختار عمر في كون " اللهجات العربية القديمة لم يُسجل كثير من سماتها وخصائصها، بل سُجل القليل، وهو ما دخل في نطاق اللغة الفصحى، وترك الكثير وهو ما خرج عنها"(١٩).

أما في ما يخص المادة اللهجية، خاصة ما يتعلق بالنوعيات اللسانية للغة العربية، يشير إلى قلة الدراسات المتعلقة بهذا الجانب، اللهم ما سجل في إطار الفكر اللغوي التقليدي، خاصة كتب اللحن التي اهتمت بعلاج الفصحى من اللحن(٢٠) والخطأ الذي استشرى فيها.

وقد كان للمستشرقين دور كبير في إحياء الدراسة اللهجية، والاهتمام باللهجات العربية دراسة وتحقيقا وتصنيفا وفهرسة، ويمكن هنا أن نشير إلى بعض هذه الأعمال التي اختلفت مناهجها وأهدافها(٢١):

-***أصول اللغة العربية العامية والفصحى***، قدمه باللاتينية دي سفاري De Sivarie سنة ١٧٨٤ م إلى الحكومة الفرنسية. ونشر الكتاب بعد موت صاحبه سنة ١٨١٣م.

-***الألفاظ اللغوية المشتقة من العربية*** لسوزا البرتغالي Souza، طبع سنة ١٨١٢م.

- ***بحث في لغة نجد الحالية*** للمستشرق ج. ج هسJ.HesS سنة ١٩١٢م.

- ***رسالة في اللغة المالطية*** للمستشرق الألماني جزينيوس Gesenius المتوفى سنة ١٨٣٢م.

- ***مفردات الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية*** للمستشرقين: دوزي Dozy وأنغلمان Englmann طبع في ليدن سنة ١٨٦٩م.

- ***كنز المصاحبة والأدب للأنيس والطالب في لغة مصر والمغرب***، تأليف يوحنا يوسف مرسل J.J .Marcel، وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧م.

- ***مفتاح كنوز النحو والأدب لعلوم العرب***، تأليف م برنييه M .Brenier، طبع في باريس سنة ١٨٥٥م.

- ***كتاب الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد***، تأليف دسبارمي F .Despermet، طبع في البليدة بالجزائر سنة ١٩٠٥م.

- ***قواعد باللغة المصرية العامية*** لفسك Fask الأمريكي عنونها ب (أجرومية مَصْري مكتُوبَة باللسان المصري ومعها أمثلة).

- ***نصوص عربية في لغة العرائش العامية***، لمخيمليانو ا. سنطون Maximiliano X Santon الأندلسي، جمع فيه لغة العرائش في المغرب سنة ١٩١٠م، ونشر الأخبار بحرفها المغربي، ورسم لفظها بالحرف الإفرنجي، وترجمها بلغته المعروفة بالقسطيلية، وذيلها بمعجم الألفاظ الصعبة وشرحها.

ومما لاشك فيه حضور عدد مهم من أمثال هذه الدراسات التي وصل إليها الباحثون العرب، أو التي لازالت بحاجة إلى ما يخرجها إلى الوجود بالبحث والدراسة والتمحيص، وذاك سعينا وراء ما خلفه خوصي ماريا لورشندي من دراسة للعامية المغربية.

أما فيما يخص جهود الغربيين في تدريس العربية، فيمكن اعتبار (مدرسة نابولي للدروس الشرقية)، التي أنشأها الإيطاليون، الأولى من نوعها في تدريس اللغات الشرقية الحية، ولاسيما العربية العامية، وذلك للحاجة إليها وإلى فهمها للتعامل بها والتفاهم مع أهل البلاد التي دخلوها واتجروا فيها[٢٢].

أما في ألمانيا، فقد ظهرت دراسة اللغة العربية في مرحلة مبكرة نسبيا ترجع إلى العصور الوسطى، وكان ياكوب كريستمان (١٥٥٤-١٦١٣) أول من حاول تدريس اللغة العربية ونشرها في ألمانيا، حيث وضع كراسا لتعليم كتابة الحروف العربية، وترجم أجزاء من الإنجيل إلى العربية للتمرن على القراءة، وصنف فهرسا موجزا لمجموعة من المخطوطات العربية التي كانت في حوزة أحد النبلاء الألمان، ثم ما لبثت الدراسات العربية أن نشطت فيما بعد، وقد كان لكل من فرايتاك، وكاسباري، ونولدكه، وبراجشتراسر، وكارل بروكلمان، وغيرهم دور بارز في تطوير الدراسات العربية في ألمانيا وإغنائها[٢٣].

وتجدر الإشارة إلى أن معظم الجامعات الأوربية التي تقوم بتدريس اللغة العربية تبدأ بالفصحى أولا، إذ يتلقى الدارسون قواعد اللغة العربية الفصحى، ويتعلمون قراءة نصوص التراث وتحليلها، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة دراسة اللهجات لمن يريد، والاستثناء الوحيد في ذلك هو جامعة أمستردام في هولندا، إذ تبدأ دراسة اللغة العربية فيها بدراسة اللهجة المصرية لعدد من الفصول الدراسية، ثم بعد ذلك تأتي دراسة اللغة العربية الفصحى[٢٤].

أما في باقي الدول الأوربية، فقد تم إنشاء مدرسة للغرض نفسه في فيينا (النمسا) سنة ١٧٥٤م، وأطلق عليها اسم (مدرسة القناصل)، لأنها كانت تعلم القناصل اللهجات العربية، ثم بعد ذلك أسست مدرسة باريس للغات الشرقية الحية سنة ١٧٥١م، وكان أول من عَلّم فيها المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي[٢٥].

- وبعد ذلك، أنشئت مدرسة لازارفLazarev الإكليريكية للغات الشرقية في مدينة موسكو الروسية سنة ١٨١٤م، وكانت تعلم العربية ولغات الشرق الأخرى، ومن بين من درس فيها الشيخ محمد عياد الطنطاوي، الشيء الذي ساعد على الاعتناء بالعربية اللهجية، وعقب ذلك تم تأسيس مدرسة همبرغ الاستعمارية لتخريج السياح والتجار والموظفين بلغات الشرق، ومنها العربية العامية، كما أنشأت جامعة لندن، في أوائل القرن التاسع عشر، فرعا لتدريس الفصحى واللهجات العربية، وكان من مدرسيها حبيب أنطون السلموني اللبناني، الذي ألف معجما بالعربية والإنجليزية طبع سنة ١٨٨٩م، ولما حل فارس الشدياق بلندن اقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب بالعربية المحكية، حيث قدّمه باللغة الإنجليزية سنة ١٩٠٦م(٢٦).

كل هذا كان من بين العوامل التي ساعدت على ظهور علم اللهجات الذي يتناول الظواهر اللغوية التي تحدث في لغة من اللغات بسبب اختلاف اللهجات، أو التي يكون اختلاف اللهجات سببا رئيسا فيها، وذلك كالإبدال في اللغة العربية، والفك والإدغام، والهمز، والتسهيل، وقضايا المشترك والمتضاد والمترادف(٢٧).

كما يتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدة لهجات مرتبطة بها ، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك، والصلة بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات، وخصائص هذه اللهجات في مستويات التحليل اللغوية، من أصوات، وبنية، وتركيب، ودلالة، وما يحصل لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت وحياء، وقد تتحول إحدى اللهجات إلى لغة، إذ ذاك يتناول علم اللهجات أسباب ذلك، كما يدرس آثار كل لهجة في صاحبتها، ومدى تأثرها بها، ثم استنباط القوانين التي سارت عليها اللغة في ذلك كله(٢٨).

ويهدف هذا العلم إلى دراسة اللهجات المحلية التي يتكلمها الناطقون بها دراسة علمية موثقة كما هي في وضعها المنطوق، إذ غالبا ما تُجرى هذه الدراسات على

شكل أبحاث ميدانية، يقوم الباحثون بإعداد عدد كبير من التسجيلات الصوتية للناطقين بهذه اللهجة أو تلك، ثم يبدؤون بعد ذلك بدراستها، فيصفون أولا نظامها الصوتي وما فيها من أصوات وحركات، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى دراسة نظامها الصرفي والنحوي وما فيها من ضمائر وأسماء وأفعال وكلمات مميزة لها، وأخيرا يختمون هذه الدراسة بنشر النصوص التي قاموا بتسجيلها وترجمتها إلى لغتهم، ومن ثم إعداد قوائم بالمفردات اللغوية الواردة في هذه النصوص، ويمكن اعتبار الأبحاث الميدانية أهم ما يميز علم اللهجات(٢٩).

ومادمنا نتكلم عن علم اللهجات، فالأكيد أنه يتعين علينا التطرق إلى أهم المناهج التي يعتمدها المستشرقون في دراسة الظواهر اللغوية من بينها اللهجات العربية، وهذا ما سنفصل فيه في المبحث الموالي.

٣ ـ مناهج المستشرقين:

تنبع دراسات المستشرقين من بيئات مختلفة وثقافات متعددة، ومن بلدان عديدة، الشيء الذي يساهم في ظهور التباين بين تلك الأعمال، خاصة إذا علمنا أن المستشرقين يتأثرون، وهم يدرسون العربية، بالحركة العلمية والفكرية في بلدانهم، مستعملين وسائلها. وقد سارت بحوث المستشرقين اللغوية، في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر في ضوء المنهجين التاريخي والمقارن، وفي القرن العشرين مال بحثهم إلى استعمال المنهج الوصفي، كما أنهم "ينطلقون في الغالب من المناهج التي تدرس بها لغاتهم، أو من خلال تأثرهم الكبير بتلك المناهج"(٣٠).

ويرى محمود عكاشة أن سبب اختلاف مناهج ومستويات التحليل راجع إلى اتجاهات العلماء ورؤيتهم التحليلية للغة، فالباحث يختار المنهج الذي يراه ملائما لتحقيق أهدافه من تحليل اللغة، وتقسيم اللغة على مستويات يخضع أساسا لموقف الباحث من اللغة والمنهج الذي يصطفيه لنفسه من بين مناهج التحليل، ويؤثر في ذلك

أهمية مستوى من مستويات التحليل يراه الباحث يستأهل اهتمامه لما به من عناصر غنية البحث[٣١].

واشتهر من بين هذه المناهج التحليلية التقسيم الذي وضعه ماريو باي لمستويات التحليل اللغوي، فقد رأى أن دراسة اللغة على ما جرى عليه العرف سواء كان منهجا وصفيا أو تاريخيا، تندرج في أربعة مستويات، وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماما على نحو دقيق؛ فأصوات اللغة مثلا تتأثر كثيرا بالصيغ، والعكس كذلك صحيح. والصوت والصيغة كلاهما يتأثران ـ غالبا ـ بالمعنى. والمستويات الأربع التالية هي التي تشكل بناء اللغة العام[٣٢]:

١ـ مستوى الأصوات Phonology: ويدرس أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصوتية مادة خاما تدخل في تشكيل أبنية لفظية، كما يدرس وظيفة بعض الأدوات في الأبنية والتركيب، وهذا ما يطلق عليه علم وظائف الأصوات؛ أي دراسة وظيفة الصوت اللغوي في الكلام عن طريق زيادة في الكلمة مثل العناصر الصرفية، ومن ناحية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية، وصفات كل مقطع أو عن طريق أدائه صوتيا، وما ينتج عن ذلك من نبر وتنغيم ووقفات وطبقة الصوت، وكل العناصر الصوتية التي تشارك في الدلالة وتؤثر في المتلقي.

٢ـ مستوى الصرف Morphology، أو مستوى دراسة الصيغ اللغوية وبخاصة تلك التغييرات التي تعتري صيغ الكلمات فتحدث معنى جديدا، مثل اللواحق التصريفية inflectional endings كعلامات الجمع ("ون" أو "ين" للمذكر السالم، و"ات" للمؤنث السالم)، وياء النسب في (مغربي، فاسي)، والسوابق Prefixes كحروف المضارعة وهمزة التعدية (يكتب، أخرج)، والتغيرات الداخلية كتضعيف وسط الكلمة للتعدية في (كتّب).

٣ـ مستوى النحو Syntax: الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات

كلامية؛ مثل نظام الجملة: التي تفيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معين أن موسى هو الضارب وعيسى هو المضروب، حيث يقوم النحو بتعيين فاعل الجملة بوضع مفرداتها مرتبة إن التبس المعنى كما في المثال السابق، لعدم وجود قرينة معنوية أو لفظية تعين الفاعل، الشيء الذي استوجب وضع المفردات في ترتيبها المعهود من قواعد النحو: الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به، لئلا يلتبس المعنى.

٤ـ مستوى المفردات Vocabulary الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة، ومعرفة أصولها، وتطورها التاريخي، ومعناها الحاضر، وكيفية استعمالها. ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمى بالاشتقاق Etimology وهو يختص بدراسة تاريخ الكلمات، وفرع آخر يسمى الدلالة Semantics ويختص بدراسة معاني الكلمات، إضافة إلى المعجم وهو فن عمل المعاجم اللغوية، ويستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، ويضاف إلى ذلك اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبر فيها، وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة العصر الحديث.

وإذا كنا سنقتصر بالحديث على بعض من هذه المناهج، فهذا لا يعني أن ما سنذكره يلخص كل المناهج والتطبيقات التي استعان بها المستشرقون، لأن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل وشامل.

١,٣ المنهج الوصفي:

يعتبر المنهج الوصفي مظلة واسعة ومرنة تتضمن عددا من المناهج والأساليب الفرعية مثل المسوح الاجتماعية ودراسات الحالات التطورية والميدانية وغيرها. إذ أن المنهج الوصفي يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع. والأكيد أن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة

في كافة البحوث العلمية لذلك يذهب العديد من الباحثين إلى اعتبار المنهج الوصفي يشمل باقي المناهج الأخرى باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي[٣٣].

- وتستند البحوث الوصفية إلى عدد من الأسس مثل التجريد والتعميم، كما تتخذ أشكالا عديدة مثل المسح Survey النظري أو الميداني، وتحليل المضمون Content Analysis، ودراسة الحالة، ومهما اختلفت أشكال المنهج الوصفي إلا أنها جميعا تقوم على أساس الوصف المنظم للحقائق والخصائص المتعلقة بظاهرة أو مشكلة محددة بشكل عملي ودقيق[٣٤].

ونقرأ عند العساف أن المنهج الوصفي هو كل منهج يرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها، فهو إطار عام تقع تحته كل البحوث التي[٣٥]:

ـ تصف الظاهرة فقط (مسحي).

ـ توضح العلاقة ومقدارها (ارتباطي).

ـ تكتشف الأسباب وراء سلوك معين (تحليل).

وارتباطا بدراسة اللغات أو اللهجات، يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف مستوياتها المختلفة، أي من نواحي أصواتها، ومقاطعها، وأبنيتها، ودلالتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف.

وغالبا ما تنصب الدراسة الوصفية على اللغات واللهجات المعاصرة، التي تدخل فيها الدراسات الصوتية أو التركيبية أو الدلالية، ومن بين أبرز الأمثلة على تطبيق المنهج الوصفي نجد الأطالس اللغوية التي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوي مصنفا، دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوي هنا أو هناك[٣٦].

ومن أكبر الباحثين الذين أثروا في مجال الفصل بين الدراسات الوصفية والتاريخية، فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) الذي وضع حجر الأساس في

الدراسات اللغوية البنيوية أو الوصفية، وأثار في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشر بعد وفاته سنة ١٩١٦م، وجهة نظر جديدة "إذ اعتبر اللغويات الوصفية، لا تقل أهمية عن اللغويات التاريخية، كما حدد وظيفة كل منهج وحدوده"[٣٧].

وقد شهد القرن العشرين مدارس لغوية وصفية متعددة[٣٨]، أهمها:

- المدرسة اللغوية البنيوية (اللسانيات البنيوية) Structural Linguistics

- مدرسة النحو التوليدي - التحويلي Transformational – Generative Grammar.

- مدرسة/ نظرية الخانات[٣٩] Tagmemic Analysis.

- ويكثر استعمال اصطلاح علم اللغة البنيوي Structural Linguitics مرادفا لعلم اللغة الوصفي، الذي هدفه الرئيسي وصف تركيب اللغة، وقد يستعمل هذا الاصطلاح في معنى أضيق ليشير إلى أعمال مدرسة لغوية معينة من مدارس علم اللغة الوصفي تؤمن بأن أي تغير في اللغة لا يحدث خبط عشواء، أو بصورة فردية، ولكن يؤثر في نظام اللغة وإطارها العام، مع وجود خيط معين يربط التغيرات بعضها ببعض[٤٠].

ويعتمد المنهج الوصفي على نظامين، أحدهما خارجي والآخر داخلي. وللنظام الخارجي أسس هي[٤١]:

- أخذ المادة اللغوية عن الناطقين مباشرة، الشيء الذي أدى إلى الاهتمام باللغة المنطوقة، والاحتفاء بدراسة اللهجات.

- وحدة الزمان والمكان، لأن الاقتصار على حقبة زمنية، ومساحة جغرافية يعني سهولة وصف اللغة؛ لوضوح خصائصها الموحدة.

أما النظام الداخلي للمنهج الوصفي فيعتمد على الاستقراء، والتصنيف، والاصطلاح، والتقعيد، والموضوعية.

وقد نتج عن هذه الأسس شروطا يلتزم بها الواصف اللغوي في دراسته، وهي:

- أن يتجنب الدخول في تصنيفات سابقة.
- أن يستعمل حقائق اللغة في وصفها ودراستها لذاتها وبذاتها.
- أن يرتضي معيارا شكليا أو وظيفيا في تقسيمه أو توصيفه، أو كلاهما معا.

وقد أسفرت الدراسات الوصفية للهجات، إلى تقسيم اللغة الواحدة إلى مستويات(٤٢):

- معيارية Standard Language
- ولهجية dialect
- ولغة العامة slang
- ولغة الخاصة Jargon (التي تشيع في وسط حرفي ما)
- والمبتذلة Vulgarisms

ومن المعلوم أن العالم الوصفي يهتم بمفردات اللغة من جانبها الوظيفي، لا من جانبها الاشتقاقي التاريخي، ولا من جانبها الدلالي، ومن ثم فتصور معنى الكلمة من وجهة نظر علم اللغة الوصفي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمورفيم. فمفردات أي لغة تعرف بأنها "مجموع رصيد المورفيمات وتجمعاتها"(٤٣).

كما ينتج عن مجهودات العالم الوصفي للغة، أو ما يعرف بالمحلل اللغوي، النحو الوصفي للغة الذي يقدم قائمة دقيقة بالفونيمات الموجودة في اللغة مع ذكر ألوفوناتها(٤٤) (المتغيرات اللفظية)، وبيان الظروف والملابسات التي بتأثيرها تظهر هذه المتغيرات. هذا بالإضافة إلى وصف الفونيمات فوق التركيبية الموجودة في اللغة (التنغيم ـ النبر ـ المفصل). وعلى أساس هذه البيانات العلمية الدقيقة يصبح من الممكن أن توضع في شكل دروس سلسلة من التمرينات النطقية، والتدريبات التي تأخذ بعين الاعتبار الصعوبات الصوتية والفونيمية الموجودة في تلك اللغة، مع

التركيز على هذه الملامح الخاصة التي قد تسبب بعض المتاعب لأولئك المتعلمين الذين يدرسون اللغة من خلال تصورهم للغة أخرى(٤٥).

٢,٣ المنهج التاريخي:

يَعُدُّ الباحث التاريخي نفسه مسؤولا عن الإجابة عن تاريخ الظاهرة اللغوية: ما أصلها؟ وماذا أصبحت؟ ومتى؟ وإلى أين تتجه؟ حيث يقوم بمراقبة تطور الظاهرة، ويرسم خطها البياني من حيث الاستعمال: قلة وكثرة، حياة وموتا، ثم يحاول أن يتبين القوانين التي تحكم مسار الظاهرة، والعوامل اللفظية والحضارية التي قد أثرت فيها، أو تؤثر فيها، أو سوف تؤثر فيها(٤٦).

ويتميز علم اللغة التاريخي بفاعلية مستمرة فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغيرها عبر الزمان والمكان، خاصة وأن هذا التغيير يحدث في كل الاتجاهات (النماذج الصوتية، والتراكيب الصرفية والنحوية والمفردات)، ولكن ليس على مستوى واحد، ولا طبقا لنظام معين ثابت. وتعتمد هذه التغيرات اللغوية على مجموعة من العوامل التاريخية، فبينما تمكن دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة، فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها(٤٧).

وإذا ما حاولنا الحديث عن اللغة العربية العامية، التي نتكلم بها اليوم في البلاد العربية، فإن وصف هذه اللغة من نواحيها المختلفة أمر سهل ميسور؛ إذ يقال مثلا: إن الاستفهام يعبر عنه بنبر أحد أجزاء الجملة، وإن النفي يكون بالأداة (مش) مثلا، وإن ترتيب الجملة فيها: فاعل + فعل + مفعول...إلخ. ولكن معرفة سر وصول هذه النواحي المختلفة من صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، وغيرها، إلى ما وصلت إليه، كان من الممكن أن يظل لغزا، لولا معرفتنا بالفصحى. وكان من الممكن أن يزداد وضوح التطور وأسراره في هذه اللغة العامية، لو أننا توصلنا إلى معرفة حلقات التطور

المختلفة، منذ الجاهلية حتى الآن[٤٨].

- وإذا ما كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية، فمن الصعب كثيرا الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي، وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العملية للاستعمال كذلك في الفرع التاريخي. فمدلولات المصطلحات: اللغة المعيارية Standard language، واللهجة Dialect، ولهجة الطبقات الدنيا Patois، واللغة الخاصة Jargon، والعامية Slang كلها تدخل في ميدان الدراستين الوصفية والتاريخية، وكذلك في علم اللغة الجغرافي[٤٩].

فالمنهج التاريخي يدرس اللغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محاولا الوقوف على سر هذا التطور، وقوانينه المختلفة.

ويشير ماريو باي إلى استعمال المصطلحات التالية في الميدان التاريخي على وجه الخصوص[٥٠]:

- ـ المصطلح الأول: وحدة الأصل monogenesis، الذي يشير إلى النظرية التي تزعم أن اللغات كلها ترجع إلى أصل واحد مشترك.

- المصطلح الثاني: الطبقة السفلى Substratum، ويطلق على الصيغة الكلامية المبكرة التي كانت تستعمل بواسطة السكان الأصليين في منطقة ما.

- أما مصطلح الطبقة العليا Superstratum فهو مصطلح وثيق الصلة بالسابق ويطلق على لغة الغزاة الوافدين التي تدع اللغة الأصلية على قيد الحياة ولكن بعد التأثير عليها وإعطائها شكلا جديدا.

كما يعتمد المنهج التاريخي على أسس، نذكر منها[٥١]:

١- دراسة حياة اللغة بحقبها المتعددة؛ ولهذا سميت الدراسات اللغوية على وفق هذا المنهج بالدراسات التتابعية أو الطولية.

٢- دراسة تغيرات مستويات اللغة كافة، صوتية وصرفية وما إلى ذلك.

٣-اهتمامه بدراسة اللغة من خلال الوثائق، والنقوش، والآثار، والمخطوطات.

وتتجلى أهمية الدراسة اللغوية وفق هذا المنهج في[٥٢]:

- كتابة تاريخ دقيق للغة عبر مراحلها الزمنية.
- مساهمة المنهج التاريخي في توسيع آفاق فهم اللغة والتغيرات التي تطرأ عليها.

٣,٣ المنهج المقارن:

يعد المنهج المقارن جزءا من المنهج التاريخي في دراسة اللغة، وهو يتميز عن المنهج التاريخي في عمومه بأنه يركز على بحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة، ويركز بشكل خاص على بحث الظاهرة اللغوية التي تنتمي إلى أصل واحد كاللغات السامية أو الحامية أو الهندية الأوروبية. ويكون هدفه من ذلك التأصيل التاريخي؛ كأن يستدل على قِدَم الظاهرة بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها بتفرد اللغة المعنية بها من بين أخواتها، بحسب تاريخ تلك اللغة[٥٣]، وهذا ما نجده عند فندريس الذي يؤكد على أن "المنهج المقارن ليس إلا امتدادا للمنهج التاريخي، في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل منهج التفكير، الذي يطلق على العهود التاريخية، إلى عهود لا نملك منها أية وثيقة"[٥٤].

كما نقرأ عند ماريو باي "إن منهج البحث التاريخي المقارن ربما امتزج بالمنهج الوصفي حين يأخذ الدارس لغة ما في فترتين زمنيتين معالجا كلا منهما أولا معالجة وصفية (وذلك باستخلاص النماذج الصوتية والتراكيب النحوية والرصيد اللغوي لكل مرحلة من مراحل اللغة) وأخيرا يقارن الاثنتين ليصل من ذلك إلى التغيرات التي طرأت على الظواهر التي يهتم بدراستها"[٥٥].

ويقدم لنا النحو المقارن نظاما، تصنف فيه اللغات في أسرات تبعا لخصائصها؛

فبمقارنة الأصوات والصيغ تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة. وقد نجح اللغويون في أن يحددوا ما قبل تاريخ اللغات الهندية الأوروبية، ولكنهم لم يصلوا إلى معرفة من كانوا يتكلمونها(٥٦).

ويقوم المنهج المقارن على "مقارنة للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في اللغات التي تنتمي إلى مجموعة لغوية واحدة أو عائلة لغوية واحدة"(٥٧).

كما تتعدد أهداف المنهج المقارن، ونذكر منها:

١- محاولة إعادة تكوين اللغة الأم، واستنتاج الخصائص المشتركة بين اللغات المنتمية إلى أسرة واحدة، لينشأ ما يسمى بالنحو المقارن.

٢- تصنيف اللغات إلى أسر وفصائل لغوية على أساس التشابه في الأصوات والصرف والنحو والمعجم.

٣- دراسة التقابلات المطردة: الصوتية والصرفية والنحوية، وبناء المعجم التأصيلي (الاشتقاقي)، مما يهيئ لبناء التاريخ اللغوي لعائلة أو فصيلة أو حتى لغة واحدة.

٤- متابعة ما يعرض للغات العائلة الواحدة من تغيرات تبعدها عن أصلها، مما يؤدي إلى استنباط قوانين التغيّر اللغوي.

٥- بحث الظاهرة اللغوية، ولاسيما الشاذة منها، في أكثر من لغة تنتمي إلى عائلة واحدة؛ لاستنتاج أحكام لا يُتوصّل إليها لو اقتصرت الدراسة على لغة واحدة فحسب.

فمن يلج ميدان الدراسة السامية المقارنة، يدرك على الفور مدى الصعوبة، التي تقابل الباحث، عندما يريد الرجوع بظاهرة ما في هذه اللغات إلى أصلها؛ ذلك لأن

هذه اللغات السامية ليست حلقات متصلة في سلسلة لغوية واحدة، يمكن اعتبار إحداها أقدم اللغات، والثانية أحدث منها...وهكذا، بل هي على العكس من ذلك، تعد خلفا للغة واحدة هي ما اصطلح العلماء على تسميته (بالسامية الأم) وهذه اللغة لا وجود لها الآن في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة(٥٨).

ويصير المنهج المقارن ـ أحيانا ـ عديم الجدوى، خاصة إذا ترك لوسائله الخاصة، لأنه يفترض أن تطور اللغات قد وقع بصورة مطردة متصلة لم يصبها عارض خارجي. ومع امتداد للتاريخ، فإنه يتحدى التاريخ، إذ لا يستخدم إلا مقررات نظرية ويتخذ من التاريخ صورة مبسطة تنحصر في سلسلة متتابعة مطردة من الأسباب والمسببات عاطلة من كل ما يخلع التاريخ طابعه الحقيقي، وهو التعقد والتنوع.

وقد يكون هذا المنهج مدفوعا إلى ذلك بضرورة حتمية، لأنه في جهله بالظروف السياسية والاجتماعية التي فيه تطورت اللغة، يبني ما قبل تاريخها بوسائل لغوية(٥٩).

٤,٣ علم اللغة الجغرافي:

ارتأينا أن ندرج علم اللغة الجغرافي ضمن المناهج المعتمدة من طرف علماء اللغة، والباحثين في الظواهر اللغوية لما له من فضل في تطوير الدرس اللغوي، ومثالا على ذلك، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، الأطالس اللغوية التي تعتبر نتاج الاستعانة بالجغرافيا اللغوية "فقد اقتبس علم اللغة، منذ أكثر من نصف قرن مضى، طرق علم الجغرافيا، ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدوّن عليها ظواهر لغوية، تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات بين اللغات المختلفة، واللهجات المتباينة"(٦٠).

- ومن بين أبحاث علم اللغة الجغرافي دراسة عوامل مثل: اللغات المحلية

area languages، ومجالات النفوذ اللغوي، ولغات السكان الأصليين Indigenous، والاستعمارية Colonial أو superimposed، مع تتبع نفوذ الأخيرة على الأولى حتى بعد زوال الاستعمار. وكذلك دراسة موضوع اللغات الأولية Primary والثانوية Secondary في منطقة معينة، وما يترتب على ذلك من ثنائية اللغة Bilingualism، أو تعددها multilingualism. ويعطي اهتماما أيضا لموضوع إحلال لغة محل أخرى، وموضوع اللغات الناشئة عن الهجرة أو التجنيس. كما يعطي اهتماما للمركز الاجتماعي أو التربوي (لغة رسمية official language، ولغة وطنية national language، ولغة أدبية literary language، ولهجة Dialect، ولهجة شائعة بين أفراد الطبقة الدنيا في المجتمع Patois، ولغة طبقية Class language، ومجموعة من الكلمات أو التعبيرات أو المصطلحات الخاصة بمهنة أو جماعة معينة Jargon، ولهجة عامية Slang). ويهتم إلى جانب هذا كله بمعامل معرفة القراءة والكتابة Literacy Coefficient الذي يوضح مجالات اللغة المكتوبة، وبالمعاملين الوطني Nationalistic coefficien، والديني Liturgical اللذين يؤثران في حياة لغة ما، ومدى فاعليتها. وأخيرا يعطي اهتماما لمشكلة التعايش السلمي بين لغتين (أو أكثر) في مكان واحد، أو احتكاكهما وتبادل التأثير والتأثر بينهما(٦١).

ونقرأ عند خليل عساكر ما ورد عن العالم اللغوي السويسري شتيجر حيث قال في تقرير له : "وبالنسبة للغة العربية، نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوي لها، سيحدث ثورة في كل الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات، وباللغات الشعبية العصرية. وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ الأصوات، التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية، وتنوع مفرداتها، إلى غير ذلك من المكتشفات، التي لا يمكن أن تتم، إلا إذا جمعت هذه المواد. إنه سيكون عملا ثقافيا من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخر في تاريخ الثقافة

العالمية"[٦٢].

ولاشك في أن المسح الجغرافي للهجات العربية المختلفة، في البلاد العربية، له فوائد جليلة، أهمها[٦٣]:

١ـ دراسة هذه اللهجات لذاتها، دراسة علمية عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، ولمعرفة التغييرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت لآخر.

٢ـ إثراء الدراسات في العربية الفصحى نفسها، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافي كتابة تاريخ هذه اللغة في عصورها المختلفة، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلة باللغة الفصحى، وأبعدها عنها.

٣ـ يمدنا هذا المسح الجغرافي بالمعلومات اللازمة لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة في الوطن العربي، ويفسر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللهجات في تراثنا العربي.

٤ـ يتيح لنا هذا العمل فرص الدراسة المقارنة، لا بين اللهجات واللغة الفصحى فحسب، ولكن بين اللغات السامية المختلفة كذلك، ويساعدنا على الوقوف على مصادر الكلمات الأجنبية هنا وهناك.

٤ وسائل المستشرقين :

أردنا بعد الانتهاء مما تقدم أن نعرج على الوسائل والطرق التي اعتمدها المستشرقون في تقريب وتدريس اللهجات العربية لغير الناطقين بها، حيث وجدناها تعددت واختلفت، فهناك من قدّم أعماله مستعينا بقواعد العربية الفصحى، وهناك من استعمل لغته الأصلية وتقديم أمثلة بالعربية اللهجية قيد الدرس، أو استعمل العربية اللهجية فقط، كما نجد من اعتمد على لغته الأصلية إضافة إلى كتابة العبارات والجمل العربية بحروف لاتينية. وسنفصل في بعض هذه الطرق والوسائل على النحو الآتي:

- استعمل J.H. Delporte اللغة الفرنسية في دراسته حول العربية الجزائرية، مستعينا بأمثلة من اللهجة المدروسة(٦٤):

من ير اشكون جا *men, achekoun dja,* **qui est venu?**
اش تقـــــــول *ach teqoul,* **que dites-vous?**

- أما Michael Grunberg، فقد اعتمد على تعليم الأجانب كيفية تذكر العبارات والمفردات التي درسوها أثناء استعمالها، بالاعتماد على الصور الذهنية التي يخزنها المتعلم انطلاقا من تشابه نطق الكلمات العربية بالأمثلة المقدمة باللغة الإنجليزية؛ ومثال ذلك(٦٥):

The A HALLEB # I Leave
Imagine *I leave* the milk behind.

- في حين، وظف J.Desparmet العربية الجزائرية من خلال نصوص تعليمية درّس بها اللهجة الجزائرية، ومثال ذلك، ما نجده في النص المعنون ب (مْن الصْغُرْ حَتّى لَلْكْبُرْ): " *وَلْدَ الرْضَاعَة يَسَّمَى صَابِي، بَعْدْ مَا يَكْبَرْ يَرجَعْ فَ الخَمْسَ سْنِين يْقُولُوا لُه طْفَيِّلْ –وْلُّيَّدْ ج وْلِيدَاتْ، بَعْدْ مَا يَرجَعْ فَ العَشْرَ سْنِينْ يْقولُوا لَه وَلْدْ –طْفَلْ، وَقْتَ الِّي يَرجَعْ فَ الخَمْسطَاشَنْ سْنَة وْشَارْبُه يَبْدَا يَخْضَارْ يْقُولُوا لُه شَابْ –عَازَبْ، لَّمَا يَرجَعْ فَ العُشْرِينَ سْنَة يْقَولُوا لُه رَجَلْ، بَاقِي رَجَلْ حَتَّى يْشِيبْ يْقُولُوا لُه شِيبَانِي، حَتَّى يَهَرَّمْ يْقُولُوا فْلاَن شِيخْ كْبِيرْ مَا بْقَاتْ لُه إلاَّ المُوتْ.*

وْأَمَّا المْرَاة كِي تْكُونْ صْغِيرَة تْكُونْ طْفِيلَة –بْنِيَّة، وْبَعْدَ العَشْرَ سْنِينْ تَرجَعْ عَاتَقْ، وْمْنِينْ تَزَّوَّجْ تَسَّمَى عْرُوسَة، وْلَّمَا تَكْبَرْ شْوِيَة يْقُولُوا لْهَا مْرَاة، وْبَعْدْ مَا تْفُوتْ الرَّبْعِينْ سْنَة تَرجَعْ عَجُوزَة" (٦٦).

كما نجد ميخائيل الصباغ قد حاول، في دراسته الوصفية للهجة مصر والشام، أن يستعمل العربية الفصحى مع تقديم أمثلة من اللهجات المدروسة، ومثال ذلك(٦٧):

" ولما قصدوا التدقيق لتعريف البرهة التي وقع الفعل بها أضافوا على الفعل لفظة عمال ليميزوه أيضا عن الحال...ومثاله: *أنا عمّال بَاكُل/ أنت عَمّال بتاكل/ هو عَمّال بياكل/ إنتِ عمّالِهِ بتاكلي/ هيِّي عمّاله بتاكل/ نحنا عمّالين مناكل/ أنتوا عمّالن بتاكلوا/ هُمّي عمالين بياكلوا.*"

ولم تخل طرق تقريب وتدريس اللهجات العربية من تقنية الحوار التي تقرب المادة المدروسة، وتساعد المتعلم على تذكر الألفاظ والمفردات، ومثال ذلك(٦٨):

مارك : السلام عليكم

الحاج: وعليكم السلام

مارك : واش كاينة شي دار ل الكرا؟

الحاج: واش بغيتي محل كبير ولاّ صغير؟

مارك: بغيت دار متوسّطة، يكون فيها صالون وبيت النعاس والدوش وكوزينة وكَتدخل ليها الشمس ويكون السطح ديالي بوحدي.

الحاج: كاينة وحدة وَلَكن التمن ديالها ٠٠٠ ,٢٠ ريال.

مارك: لا بزّاف علّيا، عَلَحقّاش أنا غير بوحدي وما غاديش نقدر نخلص هد التمن.

وتبقى الإشارة، في الأخير، لضرورة وضع أعمال المستشرقين اللغوية التي اهتمت باللهجات العربية موضعها الصحيح في إطار الدراسات اللغوية الحديثة، والاستفادة من المناهج والنظريات التي اعتمدها المستشرقون، ونقدها والوقوف عند الأخطاء التي وقع فيها الدارسون، مع الابتعاد عن الصراع الفكري والنظرة السلبية للآخر. كما يجب الأخذ بعين الاعتبار ضرورة فتح آفاق تدريس الاستشراق اللغوي داخل الجامعات العربية والمغربية على وجه الخصوص، والعمل على ترجمة الأعمال

المهمة لكبار المستشرقين لما لذلك من آثر إيجابي على الدرس اللغوي العربي.

*** هوامش البحث ***

(١) يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠١، ص ١٣ .

(٢) إسماعيل أحمد اعمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ط١، دار البشير، ١٩٩٦، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) يوسف جبرا، تاريخ دارسة اللغة العربية في أوربا، مطبعة الشباب، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٤ .

(٤) محمد كرد علي، غرائب الغرب، ج ١، ط ٢، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٣، ص٢٤٤ .

(٥) محمد كرد علي، القديم والحديث، ط ١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٢٥، ص ٢٨ .

(٦) لويس شيخو، أطرب الشعر وأطيب النثر، ط٢، ١٩٠٧، ص ٢٠٩ .

(٧) محمد كرد علي، القديم والحديث، ص ٣٠.

(٨) محمد كرد علي، مجلة المقتبس، مجلد ٨، ١٩٠٦، ص ٤٠١. للرجوع إلى أرشيف المجلة يرجى زيارة الرابط الآتي:
، الاطلاع بتاريخ ١٢ مارس ٢٠١٥.-http://shamela.ws/browse.php/book-26523/page-6613#page-2

(٩) للمزيد ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة، ص ٣١٦. وبشرى حسين علي، الصوتيات النطقية العربية في دراسات المستشرقين، ص ١٧. وزيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ت فاروق بيضاوي وكمال دسوقي، ط٢، ص ٣٧.

(١٠) يوهان فوك، المرجع السابق، ص ١٣-١٤.

(١١) أحمد محمد هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، مطبعة وزارة الأوقاف القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩-١٠

(١٢) كمال رضوان، الاستشراق الألماني: الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنغن، دار صادر بيروت، ١٩٧٤، ص ١٣.

(١٣) إسماعيل أحمد عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص ٣٠٣.

(١٤) نفسه.

(١٥) أحمد شاكر، أعمال المستشرقين في المعجم العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥ هـ، ص ٦٦.

(١٦) حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج١، دار مصر للطباعة، ١٩٦٨، ص ٩٤.

(١٧) للمزيد أنظر أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار

المعارف، ١٩٧٤، ص ٥٧٤-٥٧٧.

(١٨) ابراهيم الكعاك، نحو العربية اللهجية والازدواجية اللغوية، مختبر اللغة والمجتمع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفبل، القنيطرة، ٢٠١٣.

(١٩) عمر مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب القاهرة١٩٩٥، ص٩٥.

(٢٠) يقف إبراهيم الكعاك عند ظاهرة اللحن ويعتبرها سلوكا لغويا ينبغي الاهتمام به ودراسته، وتتبع تطوره عبر مساره التاريخي، الشيء الذي سيساعدنا على الوقوف على أهم خصائص العربية اللهجية لكل منطقة، إضافة إلى أوجه الاختلاف والائتلاف، مؤكدا على أن الدارجة أو العامية ما هي إلا صورة طبق الأصل للطريقة التي كان يتكلم بها العرب إبان القرون الأولى للهجرة.

(٢٠) للمزيد أنظر: إبراهيم الكعاك، اللغية التقنية للخطأ اللغوي في الثقافة العربية، ورد:
Les techolectes / langues spécialisé en contexte
، ٢٠١٤.Rabat net، مطبعة CNRST-URAC56، تنسيق: ليلى المسعودي وآخرين. القنيطرة، منشورات مختبر اللغة والمجتمع plurilingue

٢١ عيسى اسكندر المعلوف، اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج٣، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٧، ص ٣٦٨ .

(٢٢) عيسى اسكندر المعلوف، مرجع سابق، ص ٣٦٨ .

(٢٣) ظافر يوسف، جهود المستشرقين الألمان في دراسة اللهجات العربية المحكية وتحديات العولمة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٣، الجزء ٤، ص ٨٥٣.

(٢٤) نفسه ، ص ٨٥٤ .

(٢٥) نفسه.

(٢٦) عيسى اسكندر المعلوف، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

(٢٧) ظافر يوسف، مرجع سابق، ص ٨٥٧.

(٢٨) محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، مطبعة الحسبي الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٩، ص٥.

(٢٩) ظافر يوسف، نفسه.

(٣٠) إسماعيل أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص١٨ .

(٣١) محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ط ١، دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠٠٥، ص ١٣ .

(٣٢) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط ٨، عالم الكتب، ١٩٩٨، ص ٤٤.

(٣٣) ذوقان عبيدات، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٢،

ص١٠٣ .

(٣٤) نفسه.

(٣٥) صالح حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط ٤، الرياض، ٢٠٠٦، ص ١٨٩.

(٣٦) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٨٢ .

(٣٧) ماريو باي، لغات البشر – أصولها وطبيعتها وتطورها، ترجمة صلاح العربي، ط ١، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٤.

(٣٨) للاطلاع على خصائص هذه الدارس يُنظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ١٨٣ – ١٩٥.

(٣٩) نظرية للغوي البنيوي الأمريكي كينيث بايك، ترمي إلى مقابلة تحليلين للسلوك النطقي، والتي ترى أن الجملة قالب يتكون من خانات لكل منها
نوع خاص من الكلمات أو العبارات تشغلها.
ومصطلح (القالب) أو (الإطار) الذي تستخدمه هذه المدرسة هو عبارة عن ارتباط بين موقع وظيفي وفئة من الوحدات التي تشغل هذا الموقع، مؤلفة من وظيفة وشكل. للمزيد، ينظر: مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة والمناهج.

(٤٠) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص ٣٦.

(٤١) إسماعيل أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤٢) نفسه، ص ١١٠.

(٤٣) ماريو باي، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٤٤) " في اللغة s تستعمل بمعنى متغير تركيبي للوحدة الصوتية، فهو تغيير تَلفُّظ حرف من الحروف بحسب وقوعه في الكلمات، مثل حرف "
كما في اللهجة المصرية.« G »، ونجد في العربية حرف الجيم يلفظ "ج" كما يلفظ "د+ج"، ويلفظ « Z » و « S »الفرنسية حيث يلفظ
للمزيد ينظر: مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ص ٢٠.

(٤٥) ماريو باي، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤٦) إسماعيل أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٤٧) ماريو باي، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٤٨) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ١٩٦.

(٤٩) ماريو باي، مرجع سابق، ص ١٣٨.
(٥٠) نفسه، ص١٣٩.
(٥١) رمضان عبد الثواب، مرجع سابق، ص ١٩٦.
(٥٢) نفسه.
(٥٣) اسماعيل أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص ٤٢.
(٥٤) جوزيف فندريس، اللغة، ت: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٥٠، ص ٣٧٥.
(٥٥) ماريو باي، مرجع سابق، ص ٥٩.
(٥٦) جوزيف فندريس، مرجع سابق، ص ٣٧٥.
(٥٧) مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص٥٣.
(٥٨) رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص ٢٠٠.
(٥٩) جوزيف فندريس، مرجع سابق، ص ٣٧٦-٣٧٧.
(٦٠) رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص ١٤٧.
(٦١) للمزيد: ينظر ماريو باي، أسس علم اللغة، ص ٦٥ ـ ص ١٩٢.
(٦٢) خليل عساكر، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد السابع، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٣٧٩.
(٦٣) رمضان عبد التواب، مرجع سابق، ص ١٤٩
(64) J. H. Delporte fils, principes de l'idiom arabe en usage a Algér, Alger, 1834, page 57-58.
(65) Michel Grunberg, survival linkword arabic, Austin seal, 1982, page 6.
(66) J. Desparmet, enseignement de l'Arabe dialectal d'apres la methode directe, 2eme edition, alger, 1907, p 78.
(67) Mihail Sabbag's, Grammatik der arabichen umgangssprache in Syrien und Aegypten, Strasburg, 1986, p30.
(٦٨) هيئة السلام الأمريكية – المغرب، الدارجة المغربية، ٢٠١١، ص ١٢٦ .

❊❊❊

المحظرة الشنقيطية[1]
في دفاتر المستشرقين

■ د.بوها ولد محمد عبد الله[*]

تقديم

يعالج هذا المقال العلمي إشكاليةً قل البحث فيها، نظرا لانصراف الأقدمين وأغلب المعاصرين عنها مع ضرورتها، وظهور الحاجة لطرقها بالبحث وتجليتها لعموم المهتمين والباحثين والقراء، إنه يسعى لدرس الاستشراق في البلاد الشنقيطية وبالتحديد درسِ تعاطي المستشرقين مع إحدى أبرز المؤسسات الدينية في هذه البلاد، ألا وهي المحظرة.

وقد دخلت بلاد شنقيط في الاهتمام الاستشراقي بما هي جزءُ من منظومة حضارية كبرى كانت عبر القرون محط اهتمام ومحل أطماع الإنسان الغربي، والندُ الحقيقي الذي يملأ على الغربي آفاق الاهتمام طيلة قرون سلفت، لذا بدأت فرنسا في إرسال العلماء والمستكشفين إلى بلاد شنقيط بغية اكتشاف شعبها ومعرفة موارده،

(*)أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية- موريتانيا.

حيث تعرض هؤلاء المستشرقون إلى دراسة تاريخ البلاد منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام مرورا بأطوار تشكل دولة المرابطين والهجرات العربية إلى الصحراء، ثم الأدوار التي اضطلعت بها المحْظرة الشنقيطية في الحفاظ على هوية البلاد وتحصين المجتمع ضد أي وافد فكري لاينطلق من المعتقدات الإسلامية، كما تطرق المستشرقون للأدوار التي لعبتها المحْظرة في غرب إفريقيا من نشر للإسلام حيث تفطن المستشرق الفرنسي (مولين Mollien) وهو في طريقه لرصد مناطق حوض النهر إلى هؤلاء الدعاة الذين ساهموا في نشر الدعوة الإسلامية في هذه المناطق حتى أصبحت أعداد المسلمين في تزايد لفت انتباهه وشغل باله وهو يتلقى أخبار البعثة التبشيرية التي وصلت لتوها مضيق رأس الرجاء الصالح، ويجزم وهو مستاء من الأمر أن الدعاة الشناقطة سيصلون إلى وسط إفريقيا قبل أن تصلها البعثة التبشيرية.

أولا: تسمية المحظرة:

قدمت للمحظرة عدة تعاريف منها:أنها ظاهرة شنقيطية مبتكرة لنشر الإسلام و المحافظة على إقامة الدين في بلادهم. وأنها تحمل بعض سمات المؤسسات العربية والإسلامية التي نشأت في مدن الثغور وحواضر الخلافة الثقافية. ولكنها تمتاز بخصائصها المستنبطة من واقع الحياة البدوية[٢]. وإلى جانب دورها التعليمي التربوي الرائد، اضطلعت المحْظرة بأدوار اجتماعية كثيرة، فإمام المحْظرة له دور محوري في حياة أهل الصحراء، يلجئون إليه في توثيق العقود وفي حل النزاعات أي أنه سلطة قضائية في العرف الاجتماعي الشنقيطي.

المحْضرة أو المحْظرة، تنطق في العامية الشنقيطية بالظاء المعجمة، وقد كان الشناقطة أهل بدو يحتظرون فيحيطون منازلهم ومرابض أغنامهم، ومراح أبقارهم ومعاطن إبلهم، بأسيجة من أغصان وجذوع الشجر، وكان الطلبة يتوافدون من كل حدب وصوب إلى الشيخ فيحضرون مجلسه وينهلون من علمه. وهكذا يرى الأديب

أحمد بن أحميد أن الاشتقاق للغوي للكلمة لا يستبعد ان يكون اسمها من الحظيرة وما يحرز به على المال، وفي المقابل يرى العلامة محمد سالم بن عبد الودود أنها من الحضور[٣]، مستشهدا بقول لبيد:

أقـوى وأقفـر واسط فيرام من أهلـه فصوائف فحزام

فالواديان وكل مغنى منهم وعلى المياه محـاضر وخيـام

وخلاصة القول أنها شكل تربوي جديد ابتكره الإنسان الشنقيطي كصمام أمان للهوية الدينية الثقافية الحضارية، وصرحا لتكوين الأجيال المتعاقبة في ظروف استثنائية.

ثانيا- فئات مستشرقي شنقيط :

تقلصت العلاقات بين الشرق الإسلامي وأوربا بعد انتهاء الحروب الصليبية التي تركت الأثر المرير في نفوس المسلمين وانحصرت الصلات بين الطرفين على الأمور التجارية خاصة خلال القرنين الثالث عشر والخامس عشر، ثم أدى التوسع العثماني في البلقان إلى تكوين الأحلاف المسيحية لوقف هذا التوسع، كذلك استمرت الحملات الصليبية على شمال إفريقيا خاصة بعد ضياع الأندلس من المسلمين[٤].

وقد جاءت الرحلات الفرنسية إلى البلدان الإفريقية، وكان الفضل لكتاب المدرسة الكلاسيكية في تطويرها لأغراض كثيرة منها ما هو علمي ومنها ما هو لأغراض أخرى جسدتها خصوصيات كل رحلة.

"وما كان يبحث عنه الرحالة منذ القرن السابع عشر ... «ينضاف إليه » الرحلات التبشيرية والإرساليات الدينية...كما كانت هناك الحكايات والقصص التي انبنت على ديكور الشرق وعاداته وسلوكه...كما كانت هناك على المستوى الدولي المتطلبات التجارية في فترة صعود المد الرأسمالي والكولونيالي الغربي"[٥].

أما في القرن الثامن عشر، فقد عرفت الرحلة الفرنسية تحولا جذريا مع تنامي التيار الرومانطيقي حيث أصبحت تابعة لنوازع فردية لدى كتابها تحث على اكتشاف الماضي المتجسد في حضارة الشرق والدعوة إلى الاغتراب و من دعاة هذا الاتجاه الذي اجتاح أوروبا في القرن 18، الروائي الإنجليزية دايال ديفو الذي كتب روايته الشهيرة "روبنسون كروزر" [٦] التي تحث أحداثها الشباب على ركوب أمواج المغامرة واتخاذها سبيلاً لاكتشاف الذات.[٧] أما في فرنسا فقد دشن متنورو القرن الثامن عشر حب التطلع لمعارف الشرق بدءا من مونتسكيو حتى فولتير، "واستمدت هذه الفلسفة التواقة إلى كل ما يمت بصلة للمعارف الأنتروبولوجية و الإتنوغرافية والطبيعية من خلال هذه الرحلات نظرياتها حول التعصب الديني ونظريات الاستبداد السياسي.."[٨].

وهكذا نجحت البرجوازية الأوربية في التوفيق بين الرأسمالية والمعرفة المتجسدة في علماء وفلاسفة عصر التنوير. هذا التوفيق الذي سيقضى على بقايا النظام الإقطاعي القديم وأعطى دفعا للظاهرة الاستعمارية التي كانت محصلتها غزو الرأسمالية الأوروبية لمناطق شاسعة من العالم.

ومع مطلع القرن التاسع عشر بدأت الجمعيات الجغرافية[٩] بالظهور والتي كانت وراء العديد من الرحلات إلى مختلف بلدان العالم ومن بينها البلاد الموريتانية، وقد تأسست هذه الجمعيات من طرف علماء وباحثين في مسعى لدعم الإكتشافات الجغرافية في مناطق مختلفة من العالم ومن ضمنها المناطق الإفريقية.

وقد عملت هذه الجمعيات على دعم المستكشفين والرحالة من خلال التكوين والتأطير العلمي وكذلك التكفل بالجوانب المالية، لما تتطلبه الرحلة من مبالغ مالية ضخمة. كما شكل ظهور هذه الجمعيات وما توفره من مادة سوسيو- ثقافية مهمة عن هذه المجتمعات حافزا لمؤسسات النشر، حيث عرف الربع الأول من القرن التاسع عشر ظهور مجلات متخصصة توظف ما تجود به الرحلات الاستكشافية من مادة

غزيرة ومتنوعة، ومن أبرز هذه المجلات مجلة الجمعية الباريسية التي عرفت النور في ١٨٢١ و المجلة الاستعمارية ١٨٤١ وغيرها من المجلات والحوليات التي تخصصت في هذا الصدد.

"وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي كانت بعض دول أوروبا ذات الأهداف الاستعمارية قد شرعت في احتلال بلدان من الوطن الإسلامي وممارسة مختلف أشكال القهر المادي والفكري وقد مهدت لهذا الاحتلال وعاصرته رحلات كثيرة لا تحصى لنخبة من المثقفين الفرنسيين وطرق تفكيرهم والعودة إلى ماضيهم و سعوا إلى إحياء القوميات التاريخية القديمة في البلدان الإسلامية لهدف زعزعة النفوس وبث الشك فيها والتفريق بينها وبسط نفوذهم الفكري والسياسي والعسكري على تلك البلدان"(١٠).

وقد دعت الأهداف الاستشراقية الوافد الأوروبي إلى معرفة شعوب الغرب الإفريقي بالقدر الذي يحقق هذه الأهداف, وكانت الصورة المسبقة في أذهان المستشرقين عن البلاد الموريتانية هي صورة الشرق المسلم، وبعد دخولهم للبلاد تعددت الصور التي قدموها عن هذا المجتمع وإن كان الجانب السلبي يطغى على أغلبها.

وقد وصل المستشرقون إلى بلاد شنقيط أفواجا وجماعات، حيث كتبوا عنها، كل من زاويته وخلفيته التي حملته إلى هذه البلاد، ومن بين هؤلاء الأكاديمي الذي حركه الدافع العلمي و آخرون تحركهم الإيديولوجيا والصراع الحضاري، كما ينضاف إليهم العسكري الذي جاء في مهمة استخباراتية ذات طابع استشراقي-استعماري وكل هؤلاء تندرج نصوصهم التي كتبوها عن هذه البلاد في خدمة الدوافع الاستشراقية.

ثالثا: المستشرقون والمحْظرة:

تباينت آراء المستشرقين حول مؤسسة المحْظرة، فبينما رآها البعض بعين الإعجاب، وانبهر بما تقدمه من معارف جمة، في فضاء شبه معزول عن المدن والقرى، وما أعطي أهلها من حماس وحب لطلب العلم، رغم قسوة الطبيعة الصحراوية. أما البعض الأخر فنظر إلى المحْظرة بعين الازدراء واعتبر أن كل المعارف التي تقدمها، لاتعدو كونها محفوظات تلقن للصبيان حتى يلقنوها للأجيال اللاحقة، دون أن تكون هناك قيمة مضافة تنعكس على حياة الناس، ورأوا في طريقة التدريس المحظري مشقة وخطورة على ذاكرة الأطفال[١١]. وهناك من أصحاب هذا الاتجاه، من بالغ حتى اعتبر المحْظرة عديمة الفائدة، ولا تحمل فكرا وخالية من معاني العقيدة الإسلامية، وبعبارة أدق تفتقد إلى الرسالية ولا تحمل مشروعا، حسب ما رأى أصحاب هذا الاتجاه الأخير.

فـأما أصحاب الاتجاه الأول فقد أدركوا الدور الكبير الذي تلعبه المحْظرة في المجتمع الشنقيطي، يبدأ من تربية النشء وتقويم المجتمع على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، حيث يحفظون الصغار القرآن الكريم، في سن مبكر، ويتدرجون بين المتون الأخرى (الفقه واللغة...الخ).

أ ـ مراحل الدراسة في المحْظرة:

وقد تابع المستشرقون باستغراب الأعداد الكبيرة للطلاب التي تأتي من كل حدب وصوب في ظروف قاسية، يقطع الطلاب فيها المسافات الطوال، وزاد حيرتهم هذا الحماس الشديد والمجهود المضاعف المبذول من طرف الطلاب في سبيل تحصيل العلم، تحت خيمة لا تقيهم برد الشتاء ولا تكف عنهم حرارة الصيف. وأيضا شيخ المحْظرة الذي يسخر وقته ويبذل كل الجهد لتعليم وتكوين علماء أفذاذ.

وقد قادتهم هذه المتابعة إلى ملاحظة النتائج التي حققتها المحْظرة الشنقيطية خارج الفضاء الشنقيطي في المشرق والمغرب وفي غرب إفريقيا من خلال سفراء المحْظرة الذين ذاع صيتهم في كل هذه الأقطار، حتى حاربت جهودهم المباركة الدعوة النصرانية في غرب إفريقيا، حيث سجل المبشرون ـ في الغرب الإفريقي ـ انزعاجهم من جهود الدعاة الموريتانيين. هذا الانزعاج سيكون ـ لاحقا ـ سببا من الأسباب التي تدفع بالمستشرقين إلى دراسة مؤسسة المحْظرة و فهم حيثيات هذه العملية التربوية ومعرفة نظامها وأعرافها عن قرب.

وقد تتبع (أتين ريشى Etienne Richet) بدايات دخول الطالب للمحظرة والظروف العامة فيها: يقول: إن الطالب منذ دخوله للمحظرة وحتى يحفظ الجزء أو الجزئيين لا يدفع أي مقابل مادي، وإذا حفظ الجزئين، يقدم هدية لشيخه، تقدر ثلاث مائة أفرانك، وفي نهاية دراسته يختبره الشيخ وإذا نجح في الاختبار يكتب له إجازة من عنده مع سند(١٢).

ويضيف (پول بينلفى Paul Painlevé) أن الدراسة في المحْظرة، هي ميزة مشرفة يفتخر بها الشبان ويعيرون قرناءهم الذين لم يكن لهم الحظ في ولوجها ، فيذكر تدافع الطلاب للتسجيل في المحْظرة ويتنقلون مع شيخهم أينما حل وأرتحل. كما "عبر بول بين لفى" عن تقديره المكانة التي يحظى بها الشيخ في هذا المجتمع قائلا: فطلاب المحْظرة يفدون من كل حدب وصوب إلى خيمة معلم المحْظرة، ويحظى هذا الشيخ بتقدير الأهالي والطلاب ويبقى فضله قائما على الطلاب حتى بعد انتهاء الدراسة، يتجسد ذاك في هدايا تقدم له، عرفانا له بالجميل(١٣).

كما لم يغب عن المستشرقين أن التأثير في هذا المجتمع قد لا يأتي بسهولة، لكن المبدأ الذي عملوا على أساسه هو: "أنه كلما تقدمنا شوطا في معرفة هذه المؤسسة، كلما قلصنا المسافة بيننا وبين المجتمع من جهة، و اقتربنا شوطا من مكان التأثير من جهة أخرى" ، يقول المستشرق (پول مارتي Paul Marty) مستشار الإدارة الفرنسية

للشؤون الإسلامية لمنطقة إفريقيا الغربية، أن المحْظرة هي المؤسسة المسؤولة عن تصدير القضاة والأئمة والفقهاء، وتسند لفئة للزوايا أهل العلم، وبالتالي يجب على الإدارة الاستعمارية أن تحيطها بعنايتها.(١٤).

ب ـ الأدوار التي اضطلعت بها المحْظرة:

ويضيف مارتي واصفا معلمي المحْظرة، وهو الخبير في المجال، و المدرك لخطورة مشروع المحْظرة على المخطط الإستعماري في المنطقة قائلا: أساتذة المحاظِر هم علماء وأساتذة جامعيون يقدمون دروسهم تحت الخيام من أمثلة هؤلاء العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي(١٥) وقد تطرق (پول مارتي) لمكانة هذا الرجل وعلمه وعدد من مؤلفاته الريان في تفسير القرآن(١٦).

كما حاربت المحْظرة التنصير في غرب إفريقيا، بدأ من الجوار السنغال، فقد لاحظ بول مارتي الدور الذي تقوم به المحْظرة الموريتانية في الضفة السنغالية خلال القرن القرن ١٩م، وما لقيته من إقبال كبير لفت انتباه المبشرين .(١٧) في وقت كان المنصرون المسيحيون قد استقروا في نفس الضفة (١٨).

ينضاف إلى ذلك شهادة أخرى من الرحالة موليين Mollien، تطلعنا على المناطق التي وصلتها المحْظرة وحاربت فيها التنصير. فقد كان التجار الشناقطة يتنقلون بمحاظرهم حيثما حلوا وارتحلوا دون أن تمنعهم المهن التي يمارسونها، فنشروا الإسلام في أصقاع لم تكن لتصلها في تلك الفترة، وأنقذوها من خطر التبشير المحدق، ، فنافسوا المبشرين المسيحيين في غرب إفريقيا ، فهاهو الرحالة الفرنسي موليين، متضايق من هذه المسألة فيقول بأن المبشرين المسيحين في رأس الرجاء الصالح لن يصلوا إلى مناطق وسط إفريقيا إلا بعد أن يكون الإسلام قد تمكن بفعل دعوة العلماء الشناقطة(١٩).

ج ـ تتبع نشاط المحْظرة في غرب إفريقيا:

خرج الشيخ محمد هادي[٢٠] من المناطق الشرقية للبلاد الموريتانية متوجها إلى غينيا حيث حل بقرية ساندیا وظل بها يدعو للإسلام حتى أعتقل من الجهات الاستعمارية في ١٩١٢[٢١]. كما رحلت السلطات الفرنسية الشريف سيدي محمد حيدرة[٢٢] من بلاد ديولا الوثنيين لكونه جاء لنشر الإسلام بها.[٢٣] كما وجه (بول مارتي) اللوم للإداريين الفرنسيين على تجاهل نشاط الشيخ محفوظ[٢٤] الدعوي في بلاد ديولا الوثنية وقد كانت لهذا الشيخ علاقة طيبة بزعماء هذه البلاد [٢٥].

بينما ذهب البعض الآخر إلى التقليل من الدور الذي تلعبه المحْظرة، ومن هؤلاء (فرانسيس دو شاسى Francis de chassey)، إذ يقول: "إن التعليم القرآني بوصفه تعليم شعائر وألفاظ، لا معنى لهما بالنسبة للأطفال، وبوصفه تمرين حفظ لا يرقى إلى مستوى تمرين للفكر، فكيف به والحال هذه أن يصل إلى أفكار الأطفال؟ قد ينوم في أحسن الأحوال نشاطه الناشئ ويجعله ينحرف عن المجهود الفكري في المقابل ، تلك هي نهاية الحرية الجميلة التي تمتلكها، هذه المدرسة المفتوحة في العراء وبداية سطوة نظام متعجرف بقدر ما هو قاس يوشك أن يفقد فيه الطفل عفويته وتوازنه"[٢٦].

وناقض (فرانسيس دو شاسى Francis de chassey) زميله (أتين ريشى Etienne Richet) (E. Richet)، الذي أشاد بعلم أهل الصحراء و النشاط الحماسي الذي يمتلك طلاب هذه الجامعة، متناسيا حالتهم الصعبة وقسوة المناخ التي لم تمنعهم من تحصيل العلم في براري الصحراء.[٢٧] كما قال بذلك مارتي، عندما تحدث عن موسوعية علماء شنقيط، والفترات الطويلة التي يمضونها في تحصيل العلم. من جانب آخر يطلعنا على رقم مهم لعدد الطلاب في إحدى المحاظِر، حيث يقول بأسلوب المتعجب، تضم إحدى المحاظِر ٣٨ طالبا، وهو ما يعني اهتمام الأهالي بهذه المؤسسة والتعامل معها، قصد إنجاح مشروعها[٢٨].

ويضيف إن هذا التعليم لا يرقى إلى أن يعلم عقيدة أو فكرا، ولا أن ينور لرواده الطريق بل على العكس من ذلك فهو خطر على الأطفال وقد يتسبب في إفساد عقولهم : "لا يمارس المعلم أي تأثير أخلاقي إنما يكتفي بشحن الذاكرة، ولا يولي أي اهتمام لتعليمهم العقيدة الإسلامية التي يجهلها جهلا عميقا. إنه تاجر لغة عربية وكأي تاجر فإنه من النادر أن تجد لديه أفكارا سياسية دقيقة على الأقل أفكارا معبرا عنها بشكل صريح"(٢٩).

لن يتوقف هذا التنقيص والتقليل من شأن المحْظرة عند هذا الحد بل تحول إلى موقف حازم للحد من عملها والأدوار التي تلعبها، وهو اعتراف ضمني بالدور الكبير الذي تلعبه المحْظرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في المنطقة حيث وضعت الإدارة الفرنسية عدة خطط لهذا الأمر، بناء على ما وصل إليه الحاكم العام للمنطقة، من تقارير تفيد بخطورة النشاط التربوي الذي تلعبه المحْظرة، على المشروع الفرنسي في غرب إفريقيا. فحاول الحاكم العام إنشاء مدرسة لمعلمي القرآن يتلقون تعويضات مالية ويكونون تحت تأثير من فرنسا، ومن أجل محاربة المحاظِر التي تنشأ في كل مكان خارج رقابة وتوجيه الإدارة، ويطلعنا دي شاسه على هذه الإرهاصات قائلا: "... طلب (الحاكم العام) من مدير التعليم في تونس أن يكتب له ما يجري به العمل هناك ومن السيد (دو فلكورDe Felcourt.) ، في القنصلية في القاهرة طالبا معرفة سياسة الإنجليز . في هذه المسألة. كما بعث الحاكم المساعد (كلوزل Clozel)، إلى الجزائر سنة ١٩٠٦، وقد عاد إليه بتقرير عن المدارس والتعليم الفرنسي ـ الإسلامي في هذه المستعمرة"(٣٠).

ولا يقل خطر المبشرين الذين أبدو إعجابهم بالمحْظرة، عن غيرهم ممن نعتوها بأوصاف سلبية، ومن خلال تقارير هؤلاء المستشرقين جميعا، خرجت الإدارة الاستعمارية بمجموعة من المقترحات كان أولها محاولة الاحتواء، فأعطت عناية خاصة للمحاظر فشكلت برامج لذلك، إذ أصبحت تمنح رخصا، لمن تأمنه على

مشروعها، هذه الرخص، قابلة للسحب إذا لم يستوف الشروط المفروضة على المحْظرة ويلزم الطفل كي يسمح له بالذهاب إلى المحْظرة لإمضاء ساعتين يوميا في المدرسة الفرنسية، أو بالحصول على شهادة مدرسية قبل دخول المحْظرة القرآنية أو دعم من معلم المحْظرة يخصص ساعتين يوميا لتدريس الفرنسية،يقول دي شاسه أن الهدف من ذلك هو إدماج الأطفال وإطلاع السكان المحليين على لغتنا مع احترام معتقداتهم.(٣١)

من جهة أخرى جاء التسويق للثقافة الفرنسية عن طريق فرض المدرسة الفرنسية على طلاب المحاظِر، ومع ذلك ظل الإقبال عليها بين ضعيف وشبه ضعيف، وهو ما يظهر من خلال تقرير للضابط :J.Rosso، حيث يقول: إن إقبال أبناء البيظَان ظل معدوما في السنوات الأولى، وإقبال أبناء الزنوج موجود لكنه ضعيف، لم يتجاوز خلال عامي ١٩٠٥ و١٩٠٦، الأربعة والعشرين طالبا، بعد ان كانوا سبعة طلاب، رغم توفير منح دراسية لكل من يلتحق بهذه المدرسة... "(٣٢)

وهو ما يجعل البرامج التربوية الفرنسية عاجزة عن تحقيق ما كان يتوخى منها، خاصة أن أغلب الطلاب لا يدخل المدرسة إلا بعد أن يقطع أشواطا في التعليم المحظري أو يزاوج بينهما، وهو ما انصاعت له الإدارة الفرنسية، عندما علمت أن المحْظرة مقدسة عند هذا المجتمع ويرى دي شاسه أن هذا الفشل مرده قلة الحكمة، والأولى أن تفرض التعاليم الدينية المسيحية بشكل علني مع الثقافة الفرنسية، وإلغائه مادام لا يحقق ما تصبوا إليه، الإدارة فيقول: "مبدأ المدرسة (أي المدرسة الفرنسية)، ممتاز ولكن تطبيقه ينبغي أن يكون حكيما، في هذه الحال يكون العمل بالتميز اللاهوتي أو لا يكون أبدا"(٣٣).

وشكلت الإدارة الاستعمارية من بين المستشرقين لجان لإحصاء المحاظِر في البلاد الموريتانية، تقوم بجمع معلومات عامة عن الشيخ (المنطقة التي ينحدر منها، والمشايخ الذين أخذ عنهم والطريقة التي يتبعها، وموقفه من الإدارة الفرنسية)،

وكذلك عن المحْظرة (عدد طلابها والكتب التي تدرس فيها....)، ومن أمثلة ذلك الوثيقة التي قدمها: " كوستاف اودان Gustave Audan" ، عن المحاظِر في كيدي ماغة، حيث كان مفوضا في إفريقيا الغربية الفرنسية (A .O.F)، أحصى خلالها: مائة و ستا و ستين إماما ومعلما، وقدم تفاصيل موسعة عن كل شيخ محظرة على حدة(٣٤).

وخلاصة القول إن المستشرقين وقفوا على التعليم المحظري من جميع جوانبه، سواء تعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس، أو من حيث المكانة التي تحظى بها في هذا المجتمع ، والدور الذي لعبه علماء المحْظرة في تحصين المجتمع الشنقيطي و نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ومحاربتهم للتنصير كذلك، فكانت مصدر قلق لهم ، فجاء الدافع التعرف عليها عن قرب قصد كبح عطائها وطمس إشعاعها العلمي والثقافي.

*** هوامش البحث ***

١ : مؤسسة تعليمية تقليدية وقد عرفناها في بحثنا للدكتوراه بعنوان التأثير الإستشراقي على الهوية الشنقيطية، بالقول: " فالمحْظرة إذن شكل تربوي جديد ابتكره الإنسان الشنقيطي كصمام أمان للهوية الدينية الثقافية الحضارية، وصرحا لتكوين الأجيال المتعاقبة في ظروف استثنائية". رسالة دكتوراه ، نوقشت في جامعة سيدي محمد بن عبدالله –فاس بالمغرب.

٢: حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

٣: بلاد شنقيط المنارة والرباط سابق، ص:٦١

٤: مصر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، إلهام محمد علي ذهني، الهيئة المصرية العامة، القاهرة:٢٠٠٥. ص:٤٩.

٥: تائهون في صحراء الإسلام صورة الصحراء العربية في كتابة الرحالة والمستشرقين الفرنسيين منى عبد الكريم محمود. ص ٨. الطبعة ١،.الأهالي للطباعة والنشر. سورية دمشق ٢٠٠٣.

٦: : روبنسون كروزو هي قصه كتبها دانيال ديفو، نشرت للمرة الأولى سنة .1719 تعتبر أحيانا الرواية الأولى في أنكلترا، تدعوا أحداثها للمغامرة والانعزال، وتظهر مدى التطور الذي وصلت له اوربا.

٧: أدب الرحلة حسين محمد فهيم ص:١٥١. عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ١٩٨٩.

٨: تائهون في صحراء الإسلام. سابق: ص:٩.

9 : Dominique Lejeune, Les societés de géographie en France et l'expansion coloniale au XIXème siècle, Paris, Albin Michel, 1993, 236

١٠: البدو بعيون غربية عمار السنجري المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط١. ٢٠٠٨ ص ٧.

١١: يتحدث المستشرق إدموندو دي أميتشس عن الكتاب القرآني المغربي وتتقارب الأوصاف مع اختلاف بسيط في أعداد الطلاب التي هي بالعشرات في المحْظرة: "...الكتاب القرآني الذي يتكون من حوالي ستة أطفال تحت رقابة المعلم الذي يحمل العصا وعلى أهبة معاقبة أي شرود من جانب تلاميذه...والذين يتناوبون على لوحة واحدة للقراءة.."الرحلة في صورة الآخر قراءة في نصوص الرحالة الأوربيين تأليف مشترك إشراف:كريم بجيت، مقال: الإيديولوجيا الاستشراقية في رحلة إدموندو دي أميتشس حول المغرب خالد شاوش، ص:١٣١، ٢٠١٣

12 :Etienne Richet ,La Mauritanie ;p :119

13 :Etienne Richet, (professeur, au collège des seinces sociales, membre du conseil supérieur des colonies), La Mauritanie , préfaces :Paul Painlevé (membre de l'institut ancien président du conseil) paris, 1920.

14 : Paul Marty . Les tribus de la Haute MAURITANIE,p:85, comité de l'Afrique française Paris 1915 .

١٥:محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن علي بن يمغدش بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت بن يذر بن إبراهيم الأموي.

16 : Les tribus de la Haute MAURITANIE,p:56, Paul Marty, comité de l'Afrique française Paris 1915

17 :Paul marty, L'émirat des Trarza p:٢٧١

18 : Paul marty, L'émirat des Trarza p :286:

19 :Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'afrique

نقلا عن مجتمع البيظَان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الإستكشافية الفرنسية، سابق،

ص:٣٠٠،

٢٠: أحد الدعاة الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي.

٢١: الوثائق الوطنية ملف E2/44. النحوي ص: ٣٤٣

٢٢: تلقي تعاليم الدين الإسلامي على يد الدعاة الشناقطة.

٢٣: النحوي ٣٤٣.

٢٤: أحد الدعاة الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي تحدث عنه بول مارتي في روايته لأخبار الدعاة الشناقطة.

25 : paul marty. L'islam au sénégal p :46/ T1

٢٦: (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتانيا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص: ١٢٦. ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر.

27 :La mauritanie, Etienne Richet . P : 119 Paris 1920.

28 : Etudes sur l'islam au sénégal P :١٨

٢٩: (فرانسيس دو شاسه Francis de chassey)، موريتاينا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص:١٢٧. ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر.

٣٠: (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتاينا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص: ١٢٧. ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر.

٣١:السابق، ص: ١٢٦.

32 J.Roos, l'adjoint au commissaire,:Territoire civil de la Mauritanie (Rapport d'ensemble),P :54. Saint-Luis, Imprimerie du gouvernement 1908

٣٣: (فرانسيس دو شاسي Francis de chassey)، موريتاينا من سنة ١٩٠٠ إلى ١٩٧٥، ص:١٣٠. ترجمة محمد ولد بوعليبة دارجسور للنشر

٣٤:المقاومة السوننكية، اللإستعمار في كيدي ماغة،ص:٨٣، ١٩٠. د.محمدالمحبوب ولد محمد المختار ولد بيه.مكتبة القرنين،٢٠١٠.

❊❊❊

The Preparatory Shanqeetian School in the Orientalists' Journals

Dr. Bouha Wild Mohammad Abdellah

A new and valuable research on the role of the preparatory Shanqeetian, that is the Mauritanian, is presented by Dr. Bouha Wild Mohammad Abdellah, in which he explains the orientalists' view of the Mauritanian preparatory, which played the role of primary schools in urban and Islamic villages. It was found that the orientalists were divided between those who were impressed with the role of the preparatory one room schools and those who were trying to disparage them, but they all agreed to their danger because of the published Islamic knowledge that stands in the face of the Frenchification given the humbleness of the place and methodology, which was limited to memorization of the Quran and the teaching of some Islamic and linguistic rules. These humble one room schools produced a generation of scholars who spread in West Africa as missionaries of Islam and whose activity had an influence that had already preceded the influence of the Christian missionaries.

***

Arabic Dialects in the Orientalist Thought

By: 'Abdel 'Ali Ehmamou

Founding the oriental linguistics of the approaches of the study of Eastern languages, especially Arabic, and exploring the details of dialects and their evolution, derivations, history, geography and rules, 'Abdel 'Ali Ehmamou came up with the descriptive, historical and comparative approach, which were establishing tools for the science of dialect study. In his research on Arabic dialects in the orientalist thought, he presents valuable summaries of writings that had consumed the efforts and lives of senior linguists of orientalism along with his special interest in classifying their methodologies, which established new approaches in the dissection of the structure of languages and dialects.

***

Imam Zein El Abidine (Peace be upon him) in the Thought of Orientalists

Study and Analysis

By: Karim Jihad al-Hassani

The researcher Karim Jihad al-Hassani presents the vision of the orientalists regarding the status and biography of Imam Zein El Abidine (Peace be upon him), and it appears in the context of the research that his life of worship was admired and appreciated by some of them even if there was not enough delving into the details of his attitudes (Peace be upon him); the truth is that the biography of the Imam which embedded the calamity of Karbala and beyond is not diminished in its worshipping dimension, which was not isolated from the process of establishing the parameters of the true religion during the Umayyad period of vulgarizing the principles, the values and the systems of this religion.

***

The Value of Oriental Studies in the Islamic Studies (A Critical Evaluative View)

By: Dr. Khalid Ibrahim Al-Mahjoubi

Using the standards of sound scientific research, Dr. Khalid Ibrahim Al-Mahjoubi evaluates the value of oriental studies in the Islamic Studies and proves through many evidences that most of the orientalist studies, especially in the Islamic religious studies, are slander, fanaticism and ideological agenda, prompting the religious orientalist to bypass the sources of orientalists when they would write a biography of the great messenger (Peace be upon him) as Muhammad Asad admitted that the writings of orientalists on Islam do more harm than good; however, the fair, who were a few, have distanced themselves from the heritage of the fanatic orientalist and have done Islam, Muslims and Arabs justice, even though their product was not free from correctable errors and another group who have been obliged by the scientific subject, not the religious one, to be accurate upon examining the scientific heritage of Muslims.

This evaluation is very important especially for those who are engaged in scientific research in the field of Islamic sciences. It requires the researcher to return to the original Islamic sources before resorting to what the orientalists wrote for the sake of accuracy and scientific honesty.

***

In the Dimensions and Determinants of the Orientalist Vision in the Study of the Islamic Heritage and History

By: Prof. Dr. Taleb Jassim Al-Anzi
Researcher Sajedah Al Hassani

In the Dimensions and Determinants of the Orientalist Vision in the Study of the Islamic Heritage and History, Dr. Taleb Jassim Al-Anzi discusses the ideological background of orientalist research and the dominance of the idea of European centrism over the orientalist approaches, which had a profound influence on the formation of a stereotyped image different from the reality of Islam and the East.

***

Codified Letters
from the Orientalist Point of View

By: Dr. Mohammed Jawad Iskandarlo
Arabized by: Raed Ali Ghaleb

In the framework of the Quranic studies, Dr. Mohammed Jawad Iskandarlo deals with the orientalists' research on the codified letters based on the Leiden Encyclopedia, and proves at the end of the research that they had put forward hypotheses that are not based on sound scientific grounds, such as saying that the separate letters are but abbreviations of the reciters' names from whom Zeid Bin Thabet had benefitted in collecting the Quran during the days of Uthman Bin 'Affan, and that the orientalists' purpose was to strengthen the theory of human intervention in the Quranic text. This argument is refuted due to the fact that the letters had been separate in Qur'anic copies previous to the collection of the Qur'an during the period of the third Caliph.

***

Orientalist Studies and Their Dangers on the Islamic Doctrine and Thought

By: Dr. Lakhdar Ben Bouzeid

Throughout the history of the East-West confrontation, many writings have been published in the critique of orientalism, some of which included self-criticism by orientalists, which made it urgent to summarize those researches and to present these critical ideas within a comprehensive framework. This is what Dr. Lakhdar Ben Bouzeid presents for when he summarizes every drawback he found on orientalism from the stage of the missionary activity to colonialism, presenting evidences on the seriousness of relying on the research of most orientalists in Islamic studies, and revealing their goals that targeted the origin of the Islamic faith and its fundamentals.

***

Publishing Rules

- Adhering to the academic methodology in terms of documentation in both presentation and critique
- Focusing on the orientalist heritage critique and going beyond exposing ideas and narrating accounts.
- The studies undergo a review by an authoritative committee.
- The researcher is committed to adhere to the modifications produced by the committee.
- Researches might be delayed due to technical circumstances, which has nothing to do with the researcher's prestige
- A research must not have been ever published previously.
- The Journal has the right to republish the researches in its original language or in a translated form, whether independently or in a book form or on electronic websites.
- The research does not necessarily reflect the Journal's opinion.
- The researcher must send his/ her résumé, the cultural activity, the academic title along with the phone number and his/ her e-mail.

Advisory Board

1 - Prof. Dr. Fadel al-Milani

2 - Prof. Dr.Ahmad Mahdawe

3 - Prof. Dr. Samir Khalil Samir

4 - Prof. Dr.Hassan Esa al-Hakeem

5 - Prof. Dr. Ahmad Moussali

6 - Prof. Dr. Zuhair Ghazi Zahid

7 - Prof. Dr. Talal Atrissi

8 - Prof. Dr. Abed Naji

9 - Prof. Dr. Akram M. Abed Kassar

Editorial Board

1 - Prof. Dr. Salah al-Fartousy

2 - Prof. Dr. Muhammad Kareem al-Shammary

3 - Prof. Dr. Taleb Jasim al-U'nezi

4 - Prof. Dr. Ali Naser Muhammad

5 - Prof. Dr. Khudeir Mathloum al-Bedeiri

6 - Prof. Dr. Jawad Munshed al-Nasrallah

7 - Prof.A. Dr. Muhammad AliRezaiy al-Asbahani

8 - Prof.A. Dr. Muhammad Taqi al-Subhani

9 - Prof.A. Dr. Sattar Jabr al-A'raji

Orientalist Studies

An Exquisite Quarterly Focusing on Presenting and Critiquing Orientalist Heritage

ISSN: 2409 – 1928

5rd Year – 15th Issue – summer of 2018 G. / 1439 H.

The Administrative Staff:

The Administrative General Director
Sayed Ahmad al-Safi

Editor-in-chief
Sayed Hashim al-Milani

Managing Editor
Prof. Dr. Hady Abdel Nabi al-Tamimi

Editorial Director
Naser Shokr

Center's E-mail
info@iicss.iq

Journal's E-mail
info@m.iicss.iq
Tel 00-964-7808504092

Orientalism Studies

Masterful Quarterly Dedicated to presenting
and Criticizing Orientalism Heritage

ISSN NUMBER: 2409-1928

www.m.iicss.iq موقـع المجلة
info@m.iicss.iq بريـد المجلة
www.iicss.iq موقع المركز

دراسات استشراقية